

جامعة الخليل  
كلية الدراسات العليا  
قسم اللغة العربية

الغربة والحنين إلى الديار  
في شعر العصر العباسي الثاني  
(232 هـ \_ 334 هـ)

إعداد الطالب :

محمد عبد المنعم محمد قباچه

إشراف:

الدكتور: عبد المنعم حافظ الرجبي

أستاذ الأدب القديم المشارك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل.

نيسان 2008م

الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني

(232هـ-334هـ)

إعداد الطالب: محمد عبد المنعم محمد قباجة

نوقشت هذه الرسالة يوم السبت... بتاريخ 12... الموافق 14... ب... بيوم آخر 429 هـ

وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:

1. > عبد المنعم الرجبي
2. د. عبد المنعم الرجبي
3. د. علي عمرو

## الإهداء

إلى من أفنيا عمرهما تضحية وعطاء ، إلى من زرع الأمل في طريقي ، وعاشا

ينتظران يوم الفرح حتى أتاها ، إلى من قال الله تعالى فيهما:

" وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " : أمي وأبي

وإلى إخوتي: نور الدين، وهبة، وهناء، وشرف الدين، وسيف الدين، وصلاح الدين.

أهدي هذا البحث

## الشكر

لا يسعني في هذه المقام إلا أن أتقدم بوافر شكري، وعظيم امتناني إلى من واكب هذا العمل من كونه فكرة حتى رأى النور متكاملًا: وفرّ لي الوقت اللازم، وفتح صدره لمناقشتي، وسدّد خطواتي، وأغنى بحثي بملحوظاته القيّمة، إلى أستاذي الدكتور **عبد المنعم الرجبي** جزاه الله خير الجزاء، وأسبغ عليه الصحة والعافية.

ويطيب لي -كذلك- أن أُعبّر عن عميق تقديري وامتناني للأستاذ الدكتور **حسن عبد الهادي**، الذي لم يبخل عليّ بما احتجت إليه من مصادر قيّمة .

كما يطيب لي أن أتقدم باحترامي وتقديري وعرفاني لأساتذة قسم اللغة العربية بجامعة الخليل جميعاً، لما أبدوه من تشجيع ومساندة فبارك الله فيهم جميعاً.

## الفهرس

الإهداء.....	ب
الشكر.....	ت
المقدمة.....	ج-ر
التمهيد : ظاهرة الغربة والحنين المعنى والتطور.....	1 - 29
الفصل الأول : موضوعات شعر الغربة والحنين.....	30-127
أولاً : حنين بكاء الأطلال والديار.....	37
ثانياً : حنين المكروهين.....	95
ثالثاً : حنين المجاهدين.....	123
الفصل الثاني : المكان في شعر الغربة والحنين.....	128-161
أولاً : المكان مبعثاً للذة عند شعراء الحنين.....	131
ثانياً : المكان مبعثاً للألم عند شعراء الحنين.....	145
الفصل الثالث : الدراسة الفنية.....	162-236
أولاً : البناء العام للقصيدة.....	163
ثانياً : اللغة والأسلوب.....	177
ثالثاً : الموسيقى.....	195
رابعاً : الصورة الشعرية.....	208
خامساً : التجربة الشعرية.....	220
الخاتمة.....	237
المصادر والمراجع.....	243
الدوريات.....	261
الرسائل الجامعية.....	263
الفهرس التحليلي.....	264
ملخص باللغة الإنجليزي.....	266

## المقدمة:

الحمد لله الذي يطيب بذكره ابتداء الكلام، وتفتتح الأذهان، وتيسر الأعمال، وتنجح المقاصد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للأنام ؛ جاءهم بالخير والعلم والإحسان، فعمّت منة اللطائف والأفضال.

فقد أنعم الله علينا بنعم جلييلة ، وفضائل جزيلة ، من إيمان وتواصل ومحبة وإنسانية قبل هذا وذاك، وجعل من عناصر إنسانيتنا العاطفة والإحساس الرقيقين، اللذين يولدان الرحمة: رحمة الإنسان للإنسان، ورحمته للحيوان، ورحمته حتى لظواهر الطبيعية، هذه الرحمة التي انبثق منها حبّ الإنسان لأخيه، وحبّة لبلده وموطنه.

ولما قال الله - سبحانه وتعالى - لآدم - عليه السلام-: " اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ "

{البقرة/35}، ارتبط الموطن بالسكن بما يمثله من هدوء وراحة نفسية واطمئنان، فارتبط الإنسان بهذا الوطن ارتباطاً يكاد يكون عضوياً. وحين عبر عن حبه لهذا الوطن، سواء أكان في إقامته فيه، أم في نأيه عنه، كان التعبير عن ذلك حنيناً ورقة.

والحنين فطرة في الإنسان ؛ فإذا ابتعد عن المكان الذي فيه سكنه وهدوؤه واطمئنانه، شدّته إليه أو اصرّ قوياً، هي الحنين إليه، وتكاد تدفعه دفعاً إلى العودة إليه.

والحنين عاطفة إنسانية سامية، فيها الإخلاص والوفاء والحب، إذ كيف يستطيع الإنسان أن ينسى وطناً عاش تحت سمائه، ودرج فوق أرضه، وشهد آماله وآلامه؟ وكما عظم هذا التعلق، وكثر ذلك الارتباط كان الإنسان قريباً من السمو والكمال بمعنى أنه قريب من تحقيق إنسانيته بمثلها العليا.

وقد كان الشعراء يعبرون عن حنينهم إلى وطن تركوه ؛ إما راغبين في العلم، أو المال، أو صحبة السلطان، وإما مكرهين في حالة النفي والفقر، الذي يدفع الإنسان دفعاً للبحث

عن مادة وجوده وهي الغذاء، كما أن الشاعر قد يكره على مكان يقيم فيه، كالسجن مثلاً، فتندفع عواطفه في زفرات شعرية، يحن فيها إلى وطنه أو أهله، أو إلى الحرية وهي الأعلى، كما أن الشاعر قد يخرج إلى ساحات الجهاد، وفي شدة المعركة والقلق الشديد يتذكر سكنه، وأهله، وأحبائه، فيحن إليهم وهو في ذلك الموقف الحرج.

وقد عبر الأدب العربي في عصوره كلها عن هذه العاطفة السامية، أي أن شعر الحنين قديم قدم الشعر العربي نفسه، وقد صدق من قال إن شعر الوقوف على الأطلال ومناجاتها هو شعر حنين إلى الوطن والديار، مختلطاً بالحب وبالعواطف التي شهدتها هذه الأطلال، حتى إذا كانت المدن والحوضر، وتقل مركز السلطان بين حاضرة وأخرى، وصحبه الشعراء في هذه الحاضرة أو تلك، عبروا عن حنينهم إلى هذه الحواضر المختلفة، كما أن كثيراً من الناس نتيجة للظروف السيئة، سواء أكانت سياسية، أم اجتماعية، أم اقتصادية، شعرَ بغربة نفسية في مجتمعه نفسه، فتحدث عن ذلك بنفثات شعرية هي من صلب شعر الحنين.

والملاحظ أن هذا العصر بالذات قد شهد كثيراً من التقلبات السياسية والثورات، واستبدال الخلفاء، وتغير الحواضر، وزادت فيه الفروق الاقتصادية بين أفراد المجتمع، كما زادت فيه الفروق الاجتماعية بينهم أيضاً، كل ذلك قد جعل هؤلاء الشعراء الذين هم بوصلة الحياة، ومؤشر تقلبها، يعبرون عن هذا القلق ويحنون إلى الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

ولما كان هذا الشعر الذي يعبر عن الحنين تسجيلاً لموقف معين، أو إحساساً ما، كانت صفة القصر غالبية عليه فكثرت المقطعات. وشعراء هذا العصر كثر ويكفيك أن يكون منهم: ابن الرومي، والبحتري، وابن المعتز، وعلي بن الجهم، والصنوبري وغيرهم، الذين خاضوا

في أغراض الشعر المختلفة، وكان لهم في الحنين حضور بارز، ولكن الحنين باعتباره عاطفة إنسانية، لم يكن مقصوراً على هؤلاء فقط، بل كان لغيرهم من الشعراء والعلماء تعبير عن وجدانهم وشوقهم وحنينهم، مثل: جحظة البرمكي، وابن دريد، وعاصم الكاتب وغيرهم.

ولم تكن هذه الدراسة بدعة في موضوعها؛ إذ سبقت بدراسات كثيرة حول ظاهرة الاغتراب والحنين، لكن الحديث عن هذه الظاهرة كان غير مقتصر على هذا العصر، بل كان الدارسون يضمنون بحوثهم شيئاً من واقع هذا العصر وشعره كأمثلة على هذه الظاهرة.

لكن هذه الدراسة خصصت للعصر العباسي الثاني (232هـ - 334هـ)؛ إذ لم أجد - فيما أعلم - دراسة سبقتي إلى هذا الموضوع، بل إنه يأتي ضمن سلسلة دراسات للغربة والحنين في العصور السابقة، حيث تناول هذه الظاهرة في العصر الجاهلي إبراهيم حور، لكن هذه الدراسة أتبعته بدراسة أخرى شملت العصرين: الجاهلي والأموي للدكتور عبد المنعم الرجبي. وعلمت أن باحثة تعكف على دراسة هذه الظاهرة في العصر العباسي الأول. وتناولت الباحثة سميرة سلامي هذا الموضوع في كتابها: الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري. وبهذا تكون دراستي هذه تنممة لما تم البدء به، لتكتمل حلقات هذه السلسلة من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي الثاني.

ولا بد أن يواجه الباحث صعوبات في سعيه لشمول بحثه، وقد تمثلت الصعوبات في هذه الدراسة في توفير النصوص غير الموجودة، وبخاصة النصوص التي تعود لشعراء ليس لهم دواوين مطبوعة أو محققة، بل كانت أشعارهم ضمن دراسات فنية في دورية أو ضمن بحث. وقد بذلت جهداً غير قليل للتغلب على هذه المشكلة، حتى ذلل قسم كبير منها عن طريق السفر غير مرة إلى الأردن، حيث استعنت كثيراً بمكتبة الجامعة الأردنية، ومكتبة جامعة اليرموك، حيث سدنا فراغاً كبيراً بتوفير الكتب غير المتوفرة.



وإذا تحدثت عن الصعوبة، فلا بد من التعرّيج على بعض العوامل التي سهلت السير في هذا البحث، حتى أنجز في وقت ليس بطويل، منها: توفر كتب التراجم بأنواعها، وكذلك كتب الأدب، ودواوين الشعراء المعروفين، كما أن التقويم المستمر من الأستاذ المشرف ساعد كثيراً في تجاوز كثير من الصعوبات ووفر الوقت والجهد، وجعل الموضوع مركزاً حول الظاهرة، وحافظ عليه من التشتت والانفلات.

ومثل هذه الدراسة، إذا أُريد لها النجاح والشمولية، فلا بد أن تعتمد على المنهج التكاملي؛ فتستعين بالتاريخي في دراسة الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتطورها، كما تستعين بالنفسي في استكناه نمو نفسية الأديب في حنيه إلى بلده أو محبوه أو حريته، وتستعين كذلك بالمنهج الوصفي التحليلي في التعامل مع النصوص لسبر غورها، وكشف خبئها، وارتباط بقائها. لذلك لم يكن هناك مناص من اعتماد الدراسة على المنهج التكاملي، يغطي الجوانب التاريخية والنفسية والفنية.

وقد قسمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة؛ ففي التمهيد: تناولت ظاهرة الغربة والحنين في تطورها اللغوي والتاريخي والواقعي، كما بينت أسبابها، وبواعثها، وأشكالها.

أما في الفصل الأول: فقد تحدثت عن الظاهرة من حيث: الموضوعات التي تناولها شعراء الحنين، حيث قسمت هذا الشعر إلى أقسام هي: حنين بكاء الأطلال والديار، وحنين المكرهين، وحنين المجاهدين. وفصلت في موضوعات كل قسم من هذه الأقسام، واستنتجت من النصوص المختلفة موضوعات الحنين في هذه الأشعار، حيث تناول شعر الحنين إلى الأطلال مثلاً موجودات الطلل، وأثر الطبيعة على ذلك الطلل، وحالة الشاعر النفسية،

وأصحابه، واللائمين على بكائه، وبينت ما كان من هذه الموضوعات تقليدياً، كما بينت التجديد فيها إن وجد.

أما شعر المكرهين في موضوع الحنين، فقد تحدثت عن شعر المطرودين، والمسجونين، من حيث الموضوعات الواردة في حنينهم، مثل: الوطن، والحرية، والسجن، والسجان، والقيود، والبكاء، وطول الليل، وغير ذلك.

وفي مجال الجهاد لم أجد إلا نصوصاً قليلة لابن الرومي، في مرافقته للجيش التي خرجت إما لقتال الزنج، أو الخارجين عن الدولة؛ فتناولت ما فيها من موضوعات الحنين، مثل: عنصر الأمن المفقود في المكان الجديد، الموجود في الوطن، وكذلك حالة الشاعر النفسية، وهو مع الجيش.

وفي الفصل الثاني: تحدثت عما يعنيه المكان في شعر الحنين؛ إذ كان شعر الحنين في معظمه يدور حول أمكنه معينة هي: الوطن بأية صورة من الصور، وتناولت خطين متوازيين في مجال المكان، الأول: المكان الذي يمثل مصدر أمن وسكينة وهدوء للشاعر، وهو المكان الذي يحن إليه، والثاني: هو المكان الذي يمثل مصدر القلق والألم والحرمان للشاعر، وهو المكان الذي هو فيه.

وفي الفصل الثالث: تناولت الدراسة الفنية لشعر الحنين، من حيث بناء القصيدة، واللغة والأسلوب، والصورة، والموسيقا، والتجربة الشعرية في شعر الحنين، بما فيها من عناصر تقوم عليها التجربة، وكيفية تناغم هذه العناصر مع بعضها أو عدم هذا التناغم، وصولاً إلى إبداع اللوحة الشعرية.

وفي مجال الحديث عن المصادر والمراجع التي أفدت منها، فهي كثيرة لا مجال لذكرها هنا، ولكن يكفي التمثيل فقط؛ ففي مجال التراجم أفدت من الوافي بالوفيات للصفدي،

والأغاني للأصفهاني، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي. وفي مجال الأدب واستقراء النصوص، أفدت من الأغاني للأصفهاني، والديارات للشابشتي، وشعراء عباسيون منسيون لإبراهيم النجار، كما عدت إلى دواوين بعض الشعراء، مثل: ابن الرومي، البحتري، وابن المعتز وغيرهم. ومن المصادر والمراجع ذات الصلة، أفدت من رسالة في الحنين للأوطان للجاحظ، وكتاب الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان، والوطن في الأدب العربي لإبراهيم الأبياري، وفي الترجمة لبعض المواضع، أفدت من معجم البلدان لياقوت الحموي، ومعجم ما استعجم للوزير البكري.

واستعنت بتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، والعصر العباسي الثاني لشوقي ضيف، حين تحدثت عن ظروف العصر. وفي الدراسة الفنية أفدت من مصادر ومراجع شتى، منها: عيار الشعر لابن طباطبا، والموازنة للأمدي، والعمدة لابن رشيق، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي، وموسيقى الشعر لإبراهيم أنيس، والصورة والبناء الشعري لمحمد حسن عبد الله، وفي النقد الأدبي لشوقي ضيف، وغيرها.

ولم تقتصر دراستي على المصادر والمراجع، بل استعنت بالبحوث والمقالات المنشورة في الدوريات، كما أفدت من الرسائل الجامعية المختلفة؛ فأفدت من مقال لعزة حسن بعنوان "شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري"، ومقال آخر لعبده بدوي بعنوان "الغربة المكانية في الشعر العربي" كما أفدت من رسالة الأستاذ المشرف وعنوانها: "الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي"، وغيرها.

وبعد ذلك ختمت الدراسة بملحوظات خرجت بها، بعد جولتي مع شعر الغربة والحنين

في العصر العباسي الثاني. آملاً من الله التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير.

**الباحث**

## التمهيد: ظاهرة الغربة والحنين المعنى والتطور:

- الحنين : المعنى اللغوي.
- الغربة وتطورها الدلالي.
- عوامل الاغتراب.
- أنواع الغربة.

## الحنين:

### المعنى اللغوي:

حن يحن حنيناً: صوت، والحنين: صوتُ الطرب لحزن أو فرح، والحنين: الشوق وتوقان النفس<sup>(1)</sup>. والحنين بمعنى الصوت وبمعنى الشوق متقاربان، بل متلازمان؛ لأن توقان النفس إلى الشيء، وشوقها إليه يكون غالباً مصحوباً بصوت ما. ونقول: حنت الإبل إلى أوطانها: أي نزعت، وحننت الناقة في إثر ولدها: أي أصدرت صوتاً مع النزوع إليه. وقيل: حنين الناقة هو نزوعها بصوت وبدون صوت، والأكثر أن الحنين بالصوت<sup>(2)</sup>. ومن الحنين قول العجاج<sup>(3)</sup>:

حَنَّتْ قَلُوصِي أَمْسٍ بِالْأُرْدُنِّ      حَنِّي فَمَا ظَلُمْتُ أَنْ تَحْنِي<sup>(4)</sup>

ولعله عنى الصوت في المقام الأول؛ لأن الإنسان يدرك الصوت من الدابة، أكثر من إدراكه حالة النزوع في نفسها، ومن ذلك قول الشاعر:

يُجَاوِبُنْ مَلُوحاً كَأَنَّ حَنِينَهَا      قُبَيْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ تَرْجِيْعُ زَامِرٍ<sup>(5)</sup>

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنن).

(2) ينظر: نفسه، والمادة نفسها.

(3) العجاج: عبد الله بن ربيعة السعدي، راجز مجيد، ولد في الجاهلية وأسلم. توفي (95 هـ وقيل قبلها). تنظر ترجمته في: (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 575/2، والزركلي، الأعلام، 87/4).

(4) ديوان العجاج، 190.

(5) الزامر: الذي يغني في المزمار. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (زمر) والبيت في ديوان الراعي النميري، 164.

فهو يعني هنا الصوت؛ لاقترانته بترجيع الزامر. ولعل اقتران الصوت بالنزوع واضح في الرواية التي تفيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع بلالاً - رضي الله عنه - ينشد<sup>(1)</sup>:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً      بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليل<sup>(2)</sup>

فقال له: حننت يا ابن السوداء<sup>(3)</sup>.

وحن عليه: عطف عليه، والحنان: العطف والرحمة، وأنشد سيبويه:

فقال: حنانٌ ما أتى بك ههنا      أذو نسبٍ أم أنت بالحي عارف<sup>(4)</sup>

والحنّة بالكسر: رقة القلب<sup>(5)</sup>، وسميت القوس: الحنانة، من قولنا حنت القوس حيناً إذا صوتت، ومنه قول الشاعر<sup>(6)</sup>:

وفي منكبي حنانةٍ عودٌ نبعه      تخيرها لي سوق مكة بائع<sup>(7)</sup>

أي: في سوق مكة.

وتحنن عليه: أي رحمه، ومنه قول الحطيئة:

تحنن عليّ هداك المليك      فإن لكلٍ مقامٍ مقالا<sup>(8)</sup>

والحنانة من النساء: هي التي تحن إلى زوجها الأول، وقيل: هي التي تحن على

ولدها الذي من زوجها الأول<sup>(9)</sup>. وهنا تعني النزوع بصورة مباشرة، وهذا لا يمنع أن يرافق ذلك صوت، لكن يعرف نزوعها من تصرفها.

(1) ينظر البيت في: الأصفهاني، ابن داود: الزهرة، 804/2، والقالبي، الأمالي 246/1، والمرزوقي، الأزمنة والأمكنة 132/2  
(2) إذخر: ثنية بين مكة والمدينة، ينظر: الأندلسي، معجم ما استعجم 128/1، جليل، جبل في مكة. ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان 175/2.  
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 589/2. ولم أعثر عليه في كتب الحديث الشريف.  
(4) ينظر: الكتاب 320/1، وهذا البيت للمندر بن درهم الكلبلي، ولم أعثر له على ترجمة في ما وقع بين يدي من مصادر. ينظر أيضاً (البغدادي، خزانة الأدب، 112/2)  
(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة (حنن).  
(6) لم أعثر على قائل هذا البيت.  
(7) ينظر البيت في: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 223/6.  
(8) ديوان الحطيئة، 72  
(9) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنن).

والحنان: من صفات الله سبحانه وتعالى، أي ذو الرحمة والتعطف<sup>(1)</sup>، ويقال في الأمثال: "ماله حانّة ولا آنة"<sup>(2)</sup>، أي: ليس له ناقة ولا شاة؛ فالحانّة هي الناقة، والآنة هي الشاة، وقيل الآنة هي الأمة لأنها تتن من التعب<sup>(3)</sup>.

ليس بمنكر أن يتلازم الصوت مع النزوع والشوق إلى الشيء، فإن عاطفة الشوق ملهبة، تدفعه إلى التنفيس عنها سواء أكان ذلك بالأنين أم بالنفثات النثرية والشعرية، فكثيراً ما يفرّج الإنسان عن نفسه ببث ذاتها كلاماً منثوراً أو شعراً منظوماً يعبر فيه عن هذه العاطفة الملتهبة.

والملاحظ أن الحنين فيه التواء وميل، سواء أكان ذلك الالتواء مادياً أم معنوياً. فعندما نقول: حنت القوس؛ فإن صوتها يأتي من انحنائها وميلها عند انطلاق السهم، وهي أكثر ما تكون ميلاً وانحناء في تلك اللحظة.

وكذلك عندما يحن الإنسان إلى شيء فإنه يلتوي إليه معنوياً، وكأنه يرجع إليه من مكانه الذي هو فيه، إلى المكان الذي حن إليه، أو يرجع إليه من زمانه الذي هو فيه، إلى الزمان الذي حن إليه. وهذا الالتفات ذاته يكون في الإنسان والدابة؛ فالدابة التي تحن إلى ولدها أو وطنها تكثر الالتفات إلى مكانه، والمغترب الذي يحن إلى بلده، فإنه كثيراً ما يتجه إليه مادياً، أي يتجه صوبه ويخاطبه ويناجيه، هذا زيادة على النزوع المعنوي الذي هو السبب الأكد لمثل هذه الحركات المادية.

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنن).

(2) ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 2/292.

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنن).

والملاحظ أيضاً أن الحنان في معظمه، يدل على الشوق، ويرتبط بالعطف، وفي ذلك رقة غير منكورة من العاطف، وعاطفة حرى من المشتاق، فلا غرو أن يعبر الرقيق على رفته، وأن يبث المشتاق شوقه. ومن أجمل صور التعبير عن ذلك: الشعر.

### الغربة وتطورها الدالي:

لما كان الشعر صورة عن واقع المجتمع، ولوحة ترسمها ريشة فنان، يدرك بحواسه وبشعوره أكثر مما يدرك الآخرون، بل وأدق وأكثر شفافية، فإن الحديث عن الغربة في الشعر يمثل علامة جوهريّة، ومحوراً رئيساً في الحياة والأدب؛ لأن التطورات الاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية، زيادة على السياسية، تداخلت جميعاً لتشكل صورة المجتمع بخصائصه وصفاته، لتشمل جوانب الحياة كلها ومنها الشعر، باعتباره نشاطاً اجتماعياً.

ولا أدل على ذلك، من اختلاف الشعر في طبيعته وأغراضه بين عصر وآخر، وقد يبدو هذا الاختلاف من خلال غلبة أغراض شعرية على أخرى، أو بروز أغراض جديدة، أو زوال أغراض أخرى لم يعد لها وظيفة، كما يبدو أيضاً من خلال السمات الفنية للشعر، من غلبة مذهب، أو ابتكار مذهب، أو اختفاء آخر<sup>(1)</sup>.

وبما أن الغربة شغلت مساحة واضحة في شعر هذا العصر؛ فإن البحث عن معناها عند العرب في بداية أمرها، تقع ضمن الجذر (غرب)، والمعاني التي يحملها هذا الجذر معان متعددة، استخدموها في شعرهم ولغتهم، وهي ما يعيننا في هذا البحث. أما ما اكتسبه اللفظ من معان تتعلق بالمفاهيم الفلسفية<sup>(2)</sup> فهذا لم يعرفه القدماء في دلالاته الفلسفية، فأثرت ألا أقف عند هذه التقسيمات الفلسفية.

(1) ينظر: دعدور، أشرف: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، 16  
(2) ينظر: رجب، محمود: الاغتراب سيرة ومصطلح، 53



## ومن حيث اللغة:

الغَرْبُ: هو الذهاب والتتحي عن الناس، وقد غَرَبَ عَنَّا يَغْرُبُ غَرْباً، وغَرَّبَ وأغْرَبَ: إذا ذهب وتتحى. وغَرَّبَهُ وأغْرَبَهُ: إذا نحَّاه، والغَرْبَةُ، والغَرْبُ: النوى والبعد، وغَرْبَةُ النوى: بعدها، وغَرَّبَ: أي بَعَدَ.

ويقال: اغْرُبْ عني: أي تباعد، والغَرْبَةُ والغَرْبُ: النزوح عن الوطن، ومنه قول المتلمس<sup>(1)</sup>:

ألا أبلغا أفتاء سعدٍ بنِ ملكٍ رسالةً منَ قد صار في الغَرْبِ جانبُهُ<sup>(2)</sup>

والاغتراب والتغرب: النزوح عن الوطن، ورجل غَرِبٌ أو غريب: غريب عن وطنه<sup>(3)</sup>.

وفي معنى البعد والاغتراب يأتي حديث النبي صلى الله عليه وسلم- الذي أمر فيه بتغريب الزاني سنة إذا لم يحصن<sup>(4)</sup>، والتغريب هنا النفي عن البلد.

ولعل متتبع هذا الجذر (غرب) في المعجم، يجد في الغربية معاني البعد والانثقاق، والابتعاد والمفارقة والتواجد في مكان ليس مألوفاً لديه<sup>(5)</sup>.

ويرى صالح زامل أن المعنى المشترك في معظم المعاجم، هو الانفصال والابتعاد<sup>(6)</sup>.

(1) المتلمس: جرير بن عبد العزى الضبيعي، شاعر جاهلي من البحرين، نادم عمرو بن هند وهو خال طرفة بن العبد توفي (43ق.هـ). تنظر ترجمته في: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 179/1، والبصري، الحماسة البصرية، 129/1، والبكري، سمط اللآلي، 205/1.

(2) ديوان المتلمس، 65.

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(غرب)

(4) ينظر: البخاري، الصحيح، 150/3.

(5) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (غرب)، والزبيدي، تاج العروس في شرح القاموس، مادة (غرب).

(6) ينظر: تحول المثال، دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، 11.

والغربة بصورة عامة، عاطفة تستولي على المرء، مما يجعله يعيش في قلق، وكآبة لشعوره بالبعد عما يهوى أو يرغب<sup>(1)</sup>.

والاصطلاح في اللغات الأجنبية، يحمل في ثناياه معنى البعد، ومنه في الإنجليزية واللاتينية بمعنى التعلق بالآخر، أو الانتماء إليه<sup>(2)</sup>.

ويلاحظ أن الاغتراب له بعدان: طوعي وقسري؛ فالطوعي يمثل نفسية من يحب التنقل والبعد عن وطنه وأهله بمحض إرادته، للكسب أو السياحة أو غير ذلك، بينما القسري يعبر عن مفارقة إجبارية، كمفارقة المحارب المجرى، أو المضطر لكسب الرزق، أو من نفاه السلطان رغماً عنه<sup>(3)</sup>، ومن هنا قالوا: الاغتراب قديم قدم الإنسان، وقدم مطامحه ومطامعه، والمناسبات التي تتحكم فيه: ظعناً أو إقامة<sup>(4)</sup>.

ولما كانت الغربة مقرونة بالألم والمشقة، فقد لقيت عناية خاصة من الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأعطاهما ما تستحقه من عناية واهتمام، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : "موتٌ غربة شهادة"<sup>(5)</sup>، وهو حديث ضعيف لسنده.

والشهادة مرتبة عظيمة لا ينالها بكاملها إلا من ضحى بأعز ما يملك، وهي الروح، ولعل في الغربة تضحية تماثل التضحية بالروح أو تقاربها. أما في حديث النبي - عليه السلام - : "ما مات ميت بأرض غربة إلا قيس له من مسقط رأسه إلى منقطع أثره في الجنة"<sup>(6)</sup>، فدلالة توكيدية على ألم الغربة ومشاقها؛ إذ استحق الميت في الغربة ليس الجنة فقط، وإنما يقاس له قياساً، أي يعطى مساحة داخل الجنة، وإن القليل من الجنة يكفي، ولا قليل فيها،

(1) ينظر: حيرب، حنان: الاغتراب في الشعر الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين، ص39، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، 1997

(2) ينظر: شاخت، ريتشارد: الاغتراب67، وجعفر، محمد راضي: الغربة والاعتراب في التراث، ص65، مجلة المورد، م25، ع1، 1997م.

(3) ينظر: صالح، بلال: الاغتراب في شعر المتنبي. ص6، ماجستير، الجامعة الهاشمية، 2004.

(4) ينظر: حسن، محمد عبد الغني: الشعر العربي وأدب الاغتراب واللقاء. ص249. مجلة الكلمة، ع1-2، سنة 1974 .

(5) ينظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجه 55/1 ( حديث رقم 1613).

(6) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، 55/1، حديث رقم (1614)

لكن هذا الحديث فيه إحساس وتقدير لما يعانيه المغترب، وبخاصة إذا مات في غربته بعيداً عن أهله وأحبائه، ونسيم بلده، ومراتع صباه.

وهناك منحنى آخر للغربة، فيه صفة البطولة والإصرار؛ لأن الإنسان يكابد فيه ما يكابد الغريب من حنين وشوق وصبر شديد، وهذا المنحنى البطولي هو الذي أضفاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - على من يتمسك بمبادئ الإسلام وقيمه، حين يفسد الناس، وتختل الموازين، ويصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً<sup>(1)</sup>.

أما عن تطور الاغتراب؛ فيبدو أنه سمةً جوهريةً للوجود الإنساني يمكن رصدها في الأزمان كلها، وفي المجتمعات كافة، ويبدو أن الإنسان منذ بدأ يضرب في الأرض، قد حمل في جوانبه ضرباً من الإحساس بالغربة لونت قطاعات عريضة من أدبه بهذا الإحساس<sup>(2)</sup>.

ولعل حديث الشاعر الجاهلي عن الأطلال في مطالع قصائده، يمثل إحساساً بالغربة بعد الأنا، وإن الإفقار والإجداب هما صورة لانعكاس المنظر الخارجي على نفسية الشاعر الذي أحس بتبدل المكان<sup>(3)</sup>، فهو حين ينقل طرفه مستوحشاً بين المربع والأطلال، ويجدها خواءً لا أنس فيها ولا حركة، بل أضحت جزءاً من الماضي الذي ابتلعه العدم، يقف الشاعر مع هذا الإيحاء الشديد بالكآبة والغربة؛ أي أن الغربة هي معادل لفقد الأحباب والألف، والاغتراب هنا معادل موضوعي للعدم والجذب، وبخاصة في بيئة الشاعر القاحلة، وهذا التعبير عنها في مطالع القصائد يوحي بإحساسهم الشديد بفجيرة الغربة، حين يفرق بين المحبين نتيجة الترحل خلف العشب والماء مواد الحياة<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: البخاري، الصحيح، 373/3.

(2) ينظر: فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، 7.

(3) ينظر: حسن، عزة: شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث. ص 636، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م43، ج1، 1968.

(4) ينظر: فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، 8.

ثم تتطور الغربية لتتسع وتعبّر عن إحساس خاص بجماعة من الشعراء، رفضهم مجتمعهم، وهي غربة الصعاليك، التي فيها من الآلام والحسرات ما يجعل الشاعر يأنس بالوحش، ويألف الخلوات، كردة فعل على الغربة<sup>(1)</sup>.

وحين ظهر الإسلام، وتراجع الأساس القبلي للاغتراب، وحل محله أساس إسلامي، تمثل في خروج الجند لفتح البلدان، فرأوا بلاداً تختلف عن بلادهم في جوها، وطبيعتها، ومظاهر حياتها، فعاش كثير منهم هناك بأجسادهم، وبقيت أرواحهم ومشاعرهم في أوطانهم، ومع أهلهم، وكثيراً ما كانت الغربة تبرز في نفسية الشاعر، حين يجد حوله قوماً لا يعرف لغتهم، ولا نمط حياتهم. ويرى بعض الباحثين أن هذه الأشعار الوجدانية الرقيقة، التي قالها الشعراء الفاتحون، وانسكبت في أعماق المشاعر العاطفية، أصدقها وأشدّها حرارة؛ استوعبت كل ما عبر عنه البكاء على الأطلال من مشاعر، وإحساس بالاغتراب، وعدت معادلاً للمقدمة الطليية، وتسامياً لشعر الأطلال وتطويراً له، ولعل هذا يفسر اختفاء المقدمات الطليية من أشعار العرب الفاتحين<sup>(2)</sup>.

وحين استقر الوضع في العصر الأموي، ونشأ جيل جديد من العرب، لم تعد الجزيرة موطنه، ولا الديار تجذبه، ولم يعد يرى نفسه غريباً في البلاد المفتوحة، بل عد البلاد بلاده: اندمج مع سكانها، وتلاءم مع نمط حياتها، وعاش حياة الترف، وحلت القيم الحضارية فيها محل القيم البدوية، فكان الاغتراب هنا مختلفاً عما عهدناه من ذي قبل.

لكن هذه الحال لا تنطبق على البادية، حيث بقيت أشعار الغربة تعبّر عن الإحساس القديم ذاته، وبقي العربي ينظر للغربة كمصدر للكرب والمذلة<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، 13.  
(2) ينظر: طنوس، وهيب: الوطن في الشعر العربي، 343، وسلامي، سميرة: الاغتراب في الشعر العباسي، 84، وحسن، عزة: شعر الوقوف على الديار من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، ص 641. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م43، ج1، 1968.  
(3) ينظر: الجاحظ، رسالة في الحنين إلى الأوطان، 10.

فلو قدر لأحدهم - لسبب من الأسباب - أن يعيش مع القيم الحضارية بتترفها ونعيمها، لضاق بها وحن إلى بلاده ومظاهر حياتها المختلفة، وما أجمل ما عبرت عن ذلك ميسون بنت بحدل الكلبية، حين تزوجها معاوية، ونقلها من البادية إلى الشام، فضاقت نفسها، وعرف حنينها إلى الصحراء، فطلب من الرعاة أن يملوا بقصرها الذي بناه لها على طرف البادية، لعل ذلك يسكن ما بها، فما زادها ذلك إلا شوقاً وحنيناً وبكاءً، فأخرجت من أعماقها هذه

الزفرات المحرقة: [الوافر]

لَبِيَّتْ تَخْفِقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ      أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفِ  
وَلُبُسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي      أَحَبُّ إِلَيَّ لِبَسِ الشَّفُوفِ  
خَشُونَةُ عَيْشَتِي فِي الْبَدْوِ أَشْهَى      إِلَى نَفْسِي مِنَ الْعَيْشِ الظَّرِيفِ  
فَمَا أَبْغِي سِوَى وَطْنِي بَدِيلاً      فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطْنٍ شَرِيفِ<sup>(1)</sup>

ثم ظهر الاغتراب السياسي لدى المناوئين للحكم الأموي، كالزبيريين، والخوارج، والشيعية، وأدى هذا النوع من الاغتراب إلى اغتراب من نوع جديد، تمثل في النفي والسجن، أما العصر العباسي فجاءت أنواع جديدة من الغربة، غير تلك التي عرضت حتى الآن ؛ فقد زاد عدد المناوئين للحكومة، وهذه الزيادة تمثلت في الأمويين أنفسهم، وكما أن اعتماد العباسيين على الأجانب أذكى غربة العربي في بلده.

وقد أدت طبيعة التطور الحضاري في هذه المرحلة إلى تغيير مفهوم الوطن ؛ فأصبح الوطن هو المدينة، وأصبح الاغتراب يعني الاغتراب عن المدينة، فظهر الحنين إلى المدن

(1) تنظر الأبيات في: البغدادي، خزنة الأدب ولب الباب لسان العرب، 593/3

بصورة واسعة، كما أن كثرة الصراعات على السلطة، وبين الأجناس، وبين المذاهب، أدى إلى نوع من الاغتراب عن الآخرين، عبر عنه الشعراء بصور شتى<sup>(1)</sup>.

### عوامل الاغتراب:

لكل شيء أسبابه وعوامله، ولكل شيء مظاهره وأشكاله، وكثيراً ما يكون المظهر والسبب واحداً، والغربة كغيرها من الظواهر، لها أسباب ولها مظاهر أو أنواع. وإن كانت الغربة في العصر الجاهلي تعود إلى البعد عن الوطن في كثير منها، وفي العصر الإسلامي إلى السبب نفسه، نتيجة انتشار الجيوش الفاتحة، فإن الأمر اختلف فيما تلا من العصور؛ وذلك لاختلاف ظروف الحياة، وتفرع الأمور، وتشابك الأحوال. ولعل عصراً ما لم يشهد من هذا الاختلاف والتفرع ما شهده العصر العباسي، بل لعل العصر العباسي الثاني هو أكثر هذه العصور اختلافاً وتنوعاً؛ فبرزت فيه مظاهر للحياة، وأشكال للحكم، وأساليب للكسب لم يكن كثير منها قد عرف فيما سبق من العصور، وحتى لا يكون الحديث تاريخياً محضاً، فلا بد من الإيجاز الشديد في هذا التمهيد، إيجازاً يختصر الحوادث، ويعطي صورة أقرب إلى التمام عن عوامل الغربة والاغتراب في هذه الفترة.

### 1 - العامل السياسي:

شهد العصر العباسي الثاني كثيراً من القلاقل والفتن والثورات؛ ففيه بدأ التفتت في قوة الخلافة، ومنه ابتدأ الضعف في جسمها، ودخلت إليه الأيدي الأجنبية تعين الخليفة على أعدائه من أقاربه، وتتاصر أحد أبناء الخليفة ضد الآخر، بل وتقتل الخليفة إن لم يرقها تصرفه أو موقفه، ومن الذين اشتد نفوذهم ما بين (300-334هـ) الأتراك؛ وقد جاء بهم المعتصم

(1) ينظر: سلامي، سميرة: الاغتراب في الشعر العباسي، 92 وما بعدها.

شراءً ؛ لأنهم رقيق تركي فأكثر من شرائهم من سمرقند<sup>(1)</sup> وفرغانة<sup>(2)</sup>، وقد وُصفوا بالصبر في القتال والحدق بالرمي في كل الاتجاهات، وبلغ عددهم في أول أمرهم ثمانية عشر ألفاً<sup>(3)</sup>. وأصبح العدد يزيد في كل يوم ؛ فازداد خطرهم مع ازدياد عددهم، وكان خطرهم في اتجاهين:

الاتجاه الأول: علاقتهم بالناس؛ حيث ضاقت بهم شوارع بغداد، وقد كانوا بدواً جفاة يركبون الخيل، ويركضونها في الشوارع فتطأ الشيوخ والنساء والأطفال، وتخرّب الأسواق، وتكدر حياة الناس<sup>(4)</sup>، والاتجاه الثاني: علاقتهم بالحكومة؛ ذكر عدد من المؤرخين أن هؤلاء الأتراك كانوا موغلين في البداوة، ولم يُعرفوا بحضارة ولا ثقافة، ولا عرفوا بزراعة ولا صناعة، ولا تجارة ولا سلطان ولا سياسة ولا علم، لكنهم سرعان ما سيطروا على الخلافة؛ فقد بنى لهم المعتصم مدينة خاصة هي سامراء، ثم ولى عليهم كبيرهم أشناس<sup>(5)</sup>، وجمعهم في مصر، وجعل له الحق في أن يولي عليها من شاء، وكان يدعى له فيها على المنابر<sup>(6)</sup>. وبهذا فتح المعتصم الباب لقواده الأتراك ليمسكوا بزمام الشؤون الإدارية، زيادة على إمساكهم بزمام الشؤون العسكرية<sup>(7)</sup>.

وجاء الواثق ولم يعين له ولي عهد، ففتح بذلك باباً لتدخل الأمراء الأتراك في تعيين ولي عهده، أو تعيين الخليفة. وقد حاول المتوكل أن يتخلص منهم، فتخلصوا منه<sup>(8)</sup>، ومنذ ذلك العهد، أصبح الخليفة لا قيمة له أمام هؤلاء الأتراك؛ فقد استولوا على الشؤون،

(1) سمرقند: مدينة من خراسان، حسنة كبيرة، كثيرة الخصب والنعم. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 246/3.

(2) فرغانة: في خراسان، إقليم واسع وعريض موضوع على سبع مدائن. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 252/4.

(3) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 233/2.

(4) ينظر: ضيف، شوقي: العصر العباسي الثاني، 15.

(5) أشناس: أبو جعفر، عبد اشتره رجل من بغداد، صار من كبار قادة المعتصم، وولاه مصر. تنتظر ترجمته في: (ابن تغري بردي،

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 372/2).

(6) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 229/2.

(7) ينظر: ضيف، شوقي: العصر العباسي الثاني، 11.

(8) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، 229/5.

واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير، إن أرادوا أبقوه، وإن أرادوا خلعه، وإن أرادوا قتلوه<sup>(1)</sup>.

وصدق في ذلك من قال<sup>(2)</sup>:

خليفةٌ في قفصٍ      بين وصيفٍ وبُغَا  
يقول ما قالاه      كما يقول البيغَا<sup>(3)</sup>

ولعل ما يطرف - وإن كان يحز في القلب - ما قيل: إنه لما ولى الأتراك المعتز بالله، جلس على سرير الخلافة، وأحضر المنجمون، فسألوه كم يظل خليفة للمسلمين، فقال أحد الظرفاء: أنا أعرف من هؤلاء المنجمين بمقدار خلافته وعمره، فقالوا: كم تقول إنه يعيش؟ فقال: طالما أراد الترك ذلك<sup>(4)</sup>.

ولما كانت هذه الحال، فقد كثرت الثورات، وليس ذلك بغريب، فلا بد من رجل قوي يحس بنفسه حين تضعف الخلافة، أو الحكم الفردي، فيستغل حاجة الناس للهدوء والأمان، فيعلن ثورته، وبالتأكيد سيجد من يلتف حوله تخلصاً من هذه الأوضاع السياسية المؤلمة، التي تترك بصماتها على معظم أوضاع الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والأمنية، والأخلاقية. ومن هذه الثورات:

■ ثورة الزنج: شغلت هذه الثورة الدولة العباسية ما يقرب من أربع عشرة سنة ونصف، واستمرت ما بين (255-270 هـ)، حيث أعد لهذه الثورة رجل فارسي زعم أنه من بني عبد القيس من سكان البحرين، ورحل إلى البصرة ونشر دعوته وآراءه ضد الدولة

(1) ينظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، 181.

(2) لم أعثر على قائل هذه الأبيات.

(3) ينظر الأبيات في: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4/145. بُغَا: يعرف بالشرابي، أصله تركي من كبار قادة المتوكل، خرج على مجموعة من الخلفاء العباسيين، توفي مقتولاً سنة (254 هـ). تنظر ترجمته في: الصفي، الوافي بالوفيات، 10/173. ووصيف: أمير تركي من غلمان المتوكل وقادته، قُتل بعد أن ثار عليه الشعب سنة (253 هـ). تنظر ترجمته في: الصفي، الوافي بالوفيات، 27/444.

(4) ينظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، 181.



العباسية، فأمن به نفر غير قليل، فجاءته فكرة الالتفات إلى الزنج العاملين وتأليبهم على الدولة العباسية، ونجح له الأمر، وأشاع بين الناس أن اسمه علي بن محمد، ووصل بنسبه إلى إمام الزيدية زيد بن علي زين الدين الحسين، ليثبت حقه الشرعي في الثورة ضد الدولة العباسية<sup>(1)</sup>.

وسرعان ما التف حول هذا الثائر عدد غير قليل من الزنج، فكانوا يغيرون على المدن والقرى، ويعملون القتل والنهب والدمار، في المدن والقرى التي يدخلونها، فصار الناس يلتجئون إلى البراري والأشجار خوفاً من القتل<sup>(2)</sup>، فتصدى لهم عدد من الخلفاء: كالمهدي، والمعتمد والموفق، وفي نهاية الأمر حوَّصر صاحب الزنج في أحد حصونه، وقتل سنة (270 هـ)، وبذلك انتهت هذه الثورة، مخلفة وراءها عدداً كبيراً من القتلى<sup>(3)</sup>.

■ ثورة القرامطة: تنسب إلى رجل اسمه حمدان من سواد الكوفة، ويزعم الطبري أن أهل قريته كانوا يلقبونه لقباً نبطياً هو (قُرْمَط) لاحمرار دائم في عينيه<sup>(4)</sup>؛ وكان ذلك حين بعث عبد الله بن مأمون القداح<sup>(5)</sup> صديقه الحسين الأهوازي<sup>(6)</sup> إلى الكوفة لينشر دعوته السرية ضد الدولة العباسية حيث كان ابن ميمون المؤسس الأول للحركة الإسماعيلية<sup>(7)</sup>، وواضع مبادئها، وقد انضم إلى هذه الدعوة كثير من الفلاحين في سواد الكوفة، لأنها وعدتهم بتغيير ظروفهم الاقتصادية، كما انضم إليها كثير من أبناء الطبقة الكادحة؛ لأنهم

(1) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، 410/9، والمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، 108/4، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 21/3.

(2) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، 120/4.

(3) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، 663/9.

(4) ينظر: نفسه، 26/10.

(5) ابن قداح: عبد الله ميمون القداح، فقيه واهي الحديث عند علماء السنة، ثقة عند الشيعة، والده فارسي، وكان يعمل في بري القداح وهي السهام مات (180 هـ). تنظر ترجمته في: (العسقلاني، ابن حجر: تهذيب التهذيب، 49/6).

(6) لم أعتز له على ترجمة.

(7) الحركة الإسماعيلية: حركة تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، تنادي بإثبات الإمامة لإسماعيل لأنه ابن جعفر الأكبر، ولها عدة آراء في موت جعفر الصادق أو عدم موته (ينظر: البغدادي، ابن ماهر، الفرق بين الفرق، 62، والشهرستاني، الملل والنحل، 191).

وعدوا بالتحول من الشقاء إلى السعادة<sup>(1)</sup>، وقد تعدت دعوتهم إنشاء مجتمع اشتراكي إلى التحلل من الدين الحنيف<sup>(2)</sup>، وتلقب قادتهم بالمهدي، وخليفة الله، وأمير المؤمنين، ليكتسبوا صبغة دينية، ولكنهم عاثوا في الأرض فساداً؛ فهاجموا قوافل الحجاج سنة (294هـ)<sup>(3)</sup>، وبلغت قوة الحركة أوجها في الأحساء والبحرين، حيث أسست دولة امتدت إلى منتصف القرن الرابع، حتى إذا كانت سنة (317 هـ) دخل أحد قادتهم مكة يوم التروية، وقتل الحجاج وهم متعلقون بأستار الكعبة، ويقال إن هذا القائد كان زنديقاً لا يصلي ولا يصوم<sup>(4)</sup>، ثم ضعف سلطانهم حين دخلت العراق تحت حكم البويهيين، حتى اضطروا إلى الدخول في طاعة الخلافة العباسية<sup>(5)</sup>.

وهناك الكثير من الأحداث التي وقعت في هذا العصر، يصعب حصرها، وقد قاسى الناس من هذه الأحداث والأوضاع، حيث الصراعات الدامية، والمجازر الجماعية، والنزيف الذي لا ينقطع، والقلق الذي لا ينتهي، بحيث لم يبقَ أمان ولا طمأنينة، وبخاصة أن الخلافة كانت تتأخر كثيراً في حسم هذه الأحداث، هذا في حال قوتها، فعاش الشعب في عذاب ورعب، فكانت غربة الناس قاسية: غربة في هروبهم عن أوطانهم، وغربة في علاقتهم بحكامهم، وغربة في تنوع الثورات الدينية والسياسية، وغربة نفسية أشد من تلك الأنواع جميعاً. وليست هذه الأوضاع السياسية السيئة الملبئة بالفتن والثورات والخروج على الدولة، وليدة العصر العباسي الثاني، ولكنها امتداد لأحوال مشابهة من التمرد والثورات والخروج

(1) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، 191.

(2) ينظر: نفسه، 193.

(3) ينظر: الطبري: تاريخ الطبري، 124/10، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 159/3.

(4) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 244/3.

(5) ينظر: ضيف، شوقي: العصر العباسي الثاني، 24.

على الدولة في العصر العباسي الأول<sup>(1)</sup>. ولكن ربما زادت هذه الأحوال بشكل ملحوظ خلال العصر العباسي الثاني لتسلط الأجنبي على الحكم.

## 2- العامل الاقتصادي:

لم يكن الوضع الاقتصادي أحسن حالاً من الوضع السياسي؛ وذلك أنه مرتبط به الارتباط كله، فكيف يؤمن على مال أو تجارة أو على ضياع أو عقارات في مجتمع سيطرت عليه الفتن السياسية، والثورات والقلقل والعسف السياسي، والظلم. والمعروف أنه لم تكن أموال الدولة موزعة توزيعاً متقارباً، حتى مع كثرة الإيرادات، ولا كانت الفروق الطبقيّة طفيفة، بل كانت هناك مسافات سحيقة بين الطبقات، فكثير من مال الدولة ينفق على الخلفاء والأمراء ورؤساء الجند، وعمال الدولة، وهؤلاء ينفقونه بلا حساب على المقربين منهم، من أدباء ومغنين وجوارٍ وأتباع، أما عامة الشعب فيعيشون حياة الفقر والبؤس<sup>(2)</sup>.

وقد سيطر النظام الإقطاعي على الكثير من قطاعات الأملاك، وكان النظام المالي فاسداً من أساسه، وانقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الخاصة، وهي الطبقة المستغلة، وتشمل الخليفة، والقادة، والوزراء، وذوي النفوذ، وبعض التجار، والإقطاعيين، وقد عاشت هذه الطبقة حياة ناعمة لاهية، وتفننت في بناء القصور، حتى أرهقت خزائن الدولة، وتبارى هؤلاء في إنفاق الأموال على موائدهم، وملابسهم، وشراء الجوارى، حتى بلغ ذلك حداً جاوز الإسراف. أما الطبقة الثانية فهي طبقة العامة، وهي الطبقة المستغلة، وتضم أغلب أفراد الشعب، وقد عانت هذه الطبقة الأمرين؛ فهي التي تدفع الضرائب، وهي التي لا يحق لها أن تناقش، وقد

(1) للمزيد حول هذه الأوضاع من هذا العصر ينظر: الخواجة، إبراهيم شحادة، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، 189-214.

(2) ينظر: أمين، أحمد: ضحى الإسلام، 127/1.

كانت الضرائب ثقيلة جداً، وتنوعت، وفرضت ضرائب جديدة لم تكن معروفة من قبل، حتى قال المقدسي عنها: " أما الضرائب، فتقيلة كثيرة، محدثة في البر والبحر، وفي البصرة تفتيش صعب، وشوكات منكرة، وكذلك بالبطائح، تُقَوَّم الأقمشة وتفتش، والقرامطة لهم ديوان على باب البصرة، والديلم لهم ديوان آخر لجباية الضرائب، حتى الحاج يؤخذ على ما يحمل من أغراض"<sup>(1)</sup>.

وقد فرضت الضرائب على المنتوجات، وعلى كل ما يباع، حتى الملح، وهو ما

انطبق عليه قول الشاعر الجاهلي<sup>(2)</sup>: [الطويل]

أفي كل أسواقِ العراقِ إتاوةٌ      وفي كل ما باع أمرؤ مَكْسُ درهم<sup>(3)</sup>

وقد ظهرت صورة أخرى لابتزاز الأموال، وهي مصادرة أموال المغضوب عليه؛ فإذا غضب الخليفة أو أحد وزرائه أو أحد قادة جنده على خصمه السياسي، سارع إلى مصادرة أمواله، وتخريمه مقادير هائلة، وقلما سلم وزير معزول، أو قائد مطرود من التعرض للمصادرة، حتى قيل إن ما صادره الوزير ابن خاقان، من أموال الوزير ابن الفرات ما قدره ألف ألف دينار، وتسعمائة ألف دينار، سوى الأثاث والأشياء الأخرى<sup>(4)</sup>. وحين كانت هذه الطبقة تستغل هذه الأموال أبشع استغلال، كان الشعب يعيش حالة إضرار وحرمان، يفتقر إلى لقمة العيش، ويعاني من الموت الجماعي، بسبب المجاعات المتعاقبة، وموجات الغلاء المتتالية، وقد أفرط الغلاء سنة (334 هـ)، حتى عدم الناس الخبز، وأكلوا الموتى والجيف، حتى يقف الناس منهم على ظهر الطريق، يصيح: الجوع الجوع، حتى يسقط ويموت، وحتى

(1) ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 133.

(2) هو جابر بن حنّيّ التغلبي. شاعر جاهلي صديق لامرئ القيس. تنظر ترجمته في: المفضل الضبّي، المفضليات، حاشية المحقق، 209.

(3) ينظر البيت في: الجاحظ، الحيوان، 327/1.

(4) ينظر: الخضري، محمد: محاضرات في تاريخ الدول الإسلامية: الدولة العباسية، 319.

لم يستطع الناس دفن موتاهم، فكانت الكلاب تأكلهم، حتى قيل: إن امرأة قد سرقت صبيًا، فشوته، وأكلت بعضه، ثم ألقى القبض عليها فقتلت<sup>(1)</sup>.

وقد عبر الشعراء عن هذا الغلاء وما يتبعه من مصادرة لحياة الإنسان، فقال أحدهم<sup>(2)</sup>:

[مخلع البسيط]

قد أصبح الناسُ في غلاء      وفي بلاء تداولوه  
من يلزم البيت يودِ جوعاً      أو يشهد الناس يأكلوه<sup>(3)</sup>  
وقال آخر<sup>(4)</sup>:

لا تخرجن من البيوت      لحاجة أو غير حاجة  
والباب أغلقه عليك      مؤثقا منه رتاجه  
لا يقتنصك الجائعون      فيطبخونك شورباجه<sup>(5)</sup>

وأمام هذا الضيق الاقتصادي، والفجوة بين الحاكم والمحكوم، عاش الناس غربة مريرة، لا تقاس بها الغربة السياسية؛ إذ لا يفكر الإنسان الجائع في السياسة فعمقت هذه الأوضاع الاقتصادية المتردية الشعور بالغربة داخل الوطن نفسه، وهي غربة نفسية، وهي أعمق أنواع الغربة، وأشدّها أثراً في نفس الإنسان.

### 3- العامل الاجتماعي:

الحياة الاجتماعية انعكاس أكيد للحالة السياسية والاقتصادية؛ ففي حالة الفساد الاقتصادي، والاضطراب السياسي والإداري، تبرز خلال النفاق، والخداع، والغدر، والمكر، للتخلص من وضع مؤلم، أو اكتساب شيء مادي، أو منصب سياسي.

(1) ينظر: المحسن التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 351/1.

(2) الأبيات لأبي نصر الكاتب، ولم أعثر على ترجمة وافية له من المصادر.

(3) تنظر الأبيات في: العاملي، بهاء الدين: الكشكول، 311/2.

(4) لم أعثر على قائل هذه الأبيات في المصادر.

(5) تنظر الأبيات في: العاملي، بهاء الدين، الكشكول، 312/2. والشورباجة نوع من الطعام.

وقد برزت الرشوة كظاهرة عمت معظم الوظائف والإدارات، حتى وصلت إلى القضاء، ونتج عن هذه الرشوة، كثرة العزل والتولية بين الولاة والموظفين، كذلك فرضت ظاهرة المجون نفسها بصورة لافتة، حتى أصبحت شيئاً عادياً ومألوفاً عند الناس، ولا يعاقب عليها القانون، ولا ينكرها الذوق الاجتماعي، وقد انتشرت دور الفسق واللهو والفجور في كل مكان، وفي المحلات العامة والخاصة، حتى أمام أبواب الجوامع كما يقول المقدسي<sup>(1)</sup>.

وبرزت ظاهرة الغزل الغلمان بروزاً فاق كل ما سبق، وتغنى بها الشعراء، وتملح بها

الفقهاء والأمرء، حتى قال أحد الشعراء<sup>(2)</sup>: [الخفيف]

مجلسٌ في فناء دجَّةٍ يَرْتَا (م) حُ إِلَيْهِ الْخَلِيعُ وَالْمَسْتَوْرُ

لِكَ الظَّبِيَّةِ الْغَرِيْرَةَ إِنْ شَاءَ (م) تَ، وَإِنْ عَفْتَهَا فَظَبِيٌّ غَرِيْرُ

كُلُّ هَذَا بَدْرَهْمِيْنَ فَإِنْ زِدْ (م) تَ، فَأَنْتَ الْمَبْجَلُ الْمَحْبُورُ<sup>(3)</sup>

وهذا يظهر أن هذه الظاهرة -الغزل بالغلمان- لم تعد من القبائح التي تحط من قدر الإنسان، ولم يكن أصحاب المناصب الكبرى في الدولة يتخرجون من إظهار ولعهم بالغلمان، وقد روي عن الكثير من الزعماء الدينيين انغماسهم في ذلك، مثل: القاضي التنوخي<sup>(4)</sup>، والمفجع البصري<sup>(5)</sup>، وغيرهما.

ومن المظاهر الاجتماعية التي سادت في هذه الفترة، ظاهرة الخرافات والأوهام والتنجيل، وقد نتجت هذه الظاهرة لتعلق الناس بأسباب موهومة، في الحصول على الغنى،

(1) ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 407.

(2) الأبيات لابن العصب الملحي، واسمه علي بن محمد بن الفتح، توفي (374 هـ). تنظر ترجمته في: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 210/5.

(3) تنظر الأبيات في: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 211/5.

(4) القاضي التنوخي: علي بن محمد، قاض أديب شاعر، عالم بأصول المعتزلة، رحل إلى بغداد والبصرة، توفي (342 هـ). تنظر ترجمته في (الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر 2/ 105، والحموي، ياقوت: معجم الأدياء: 1872/4)

(5) المفجع البصري: محمد بن أحمد بن عيد الله البصري، عالم شاعر أديب، من غلاة الشيعة، من كتبه "عراس المجالس، وأشعار الجوارح". توفي سنة (320 هـ). تنظر ترجمته في: (الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 129/2، والقفطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 13).

لعجزهم عن تحصيله بالوسائل المعقولة، فالتجأ الناس إلى التنجيم والاعتقاد بالطالع، والسحر والطلسمات، والبحث عن الكنوز المخبوءة<sup>(1)</sup>.

ويرسم التوحيدي صورة قاتمة، حين يصف حال المجتمع، قائلاً: "إن الصدق والعشرة والمؤاخاة والألفة، وما يلحق بها من الرعاية، والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمساواة والجود والكرم، قد ارتفع رسمه بين الناس، وعفى أثره عن العام والخاص"<sup>(2)</sup>. كل هذا السوء دفع بكثير من الناس إلى هجر أوطانهم، وإن بقيت قلوبهم معلقة فيها، فعاشوا ظاهرة الغربة المكانية، في حين عاش كثيرون غيرهم ممن بقي في وطنه الغربة النفسية الحادة؛ لأنهم يضلون مع الضالين، حتى اغترب فريق داخل مجتمعهم، وعاشوا مجتمعاً داخلياً، بحثوا فيه عن سعادتهم بطريقتهم الخاصة، وهم الصوفيون.

#### 4- العامل الثقافي:

كثيراً ما تأتي النوازل والكوارث بنتائج إيجابية غير متوقعة، وقد ظهرت دلائل تصديق هذه المقولة في الناحية الثقافية في هذه الفترة، حيث يلمس القارئ أو الباحث رقيماً ثقافياً، في مجالاته: الأدبية والعلمية والعقلية، وربما يعود هذا في جزء منه إلى امتزاج الثقافات الناجم عن حركة الترجمة، وقد كانت الترجمة قبل هذا العصر، لكن هذا العصر عصر قطاف ثمار الترجمة، ونشطت الترجمة من السريانية إلى العربية في هذا العصر، أكثر من العصور السابقة<sup>(3)</sup>.

ويعود الرقي الثقافي في جزء منه أيضاً، إلى تعدد مراكز الحكم في الدولة، أو تنافس الوزراء والأمراء، حيث أوى إلى هؤلاء العلماء والأدباء، وصارت مجالسهم ينافس بعضها

(1) ينظر: الزهري، محمود غناوي: الأدب في ظل بني بويه، 53.

(2) الإمتاع والمؤانسة، 16/1.

(3) ينظر: أمين، أحمد: ظهر الإسلام، 31/2.

بعضاً، وأغدقوا على العلماء والكتاب والأدباء الأموال الكثيرة، ليشتبعوا فضلهم، ويتغنوا بمجدهم منافسةً لغيرهم.

ويرجع الرقي الثقافي في جزء آخر منه، إلى ظهور الفرق والجماعات، التي قام الجدل بينها لإثبات صحة هذه، وفساد تلك<sup>(1)</sup>. وهذه النهضة الثقافية كان لها أثرها في نمو وعي الناس، وبخاصة الشعراء الذين شحذت هذه الحركة الثقافية وعيهم، فأرتهم فساد المجتمع مجسماً، ربما أكثر مما هو في الواقع، فبرزت معاناتهم وغربتهم بين واقع أليم، وصورة مثالية رسمها وعيهم الثقافي لحالٍ يحبون أن يعيشوها، وقد صور المتنبّي مثل تلك الحال، في قوله<sup>(2)</sup>:

[الكامل]

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

أي أن الغربة هنا نشأت في نفوس هؤلاء، من المسافات القائمة بين الواقع والإمكان، أو بين الواقع والمثال<sup>(3)</sup>.

### أنواع الغربة:

تعددت أنواع الاغتراب، لتعدد الأسباب التي أدت له ، وإن كانت هذه الأنواع تصب في النهاية في مصب واحد، هو الإحساس بالألم نتيجة هذا الاغتراب، ومن أنواع الاغتراب:

### الاغتراب عن الوطن:

كانت العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، من أكبر الدوافع وراء الهجرة، لكن هذه الهجرة كانت إجبارية في بعض الأحيان، واختيارية في أحيان أخرى: أما الجانب

(1) ينظر: ميّز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، 1/8.

(2) العكبري، التبيان في شرح الديوان، 124/4.

(3) ينظر: سلامي، سميرة: الاغتراب في الشعر العباسي، 119.



الإجباري فيها، فهو الاغتراب بسبب الفقر والبؤس والاضطهاد السياسي ونبذ المجتمع، فكانت الهجرة عن الوطن بحثاً عن الأمن، وسعيًا وراء الرزق.

والجانب الثاني من غربة الوطن هو الجانب الاختياري، ومردّها إلى كثرة الأمراء والإمارات والوزراء المتنافسين، فكان الشعراء يهجرون أوطانهم طوعاً للذهاب إلى هذا الوزير أو ذلك، لنفوق الشعر عندهم، وتسابقهم في اجتلاب الشعراء والإغداق عليهم<sup>(1)</sup>. وعد أحد الباحثين هذه الغربة مكانية، وهي الإحساس الذي يشعر به الإنسان في بعده عن وطنه<sup>(2)</sup>. ولا شك في أن كثرة الفتن والثورات والنزاعات السياسية، بين الخلافة ومناوئها، والخارجين عليها، والمآمرات والدسائس السياسية، والحزبية والكيدية أوقعت الكثير في حبالها، فصادرت حرياتهم، وأودعوا السجون، وكفى بالانفراد والضيق باعثاً على إثارة العاطفة والشعور بالحرمان، والتوق إلى الحرية، وإلى مجالس الإخوان، والجلوس مع الأصدقاء والأهل، والحنين الزائد إلى الربوع والديار، لكن الحرية هي الأعلى والأعلى، فانطلقت حناجر الشعراء المسجونين بقصائد غاية في الرقة، وقمة في التعبير عن خلجات النفس الإنسانية.

### الاغتراب عن المجتمع:

وهذا شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والعادات السائدة، أو عن السلطة والسياسة الحاكمة، وما يصاحب ذلك من إحساس بالألم أو الحسرة أو التشاؤم أو اليأس، وسبقت الإشارة إلى أن الوضع الاقتصادي قد جعل غالبية فئات الشعب في فقر وعوز، وأن المحن والمجاعات والمرض، كل ذلك أدى إلى هذه العزلة، والشعور بالغربة داخل المجتمع.

(1) ينظر: سلامي، سميرة: الاغتراب في الشعر العباسي، 123 وما بعدها.  
(2) ينظر: دعور، اشرف: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، 22.

كما أن انحراف العادات الاجتماعية، وانقلاب الموازين، وانتشار الأخلاق السيئة، والانحراف الاجتماعي، أشعر كثيراً من الشعراء بالغربة داخل مجتمعهم، وما أصدق ما عبر

به ابن دريد<sup>(1)</sup>، حين قال:

[الطويل]

أرى الناس قد أغروا ببغي وريبةٍ      وغيّ إذا ما ميّز الناسَ عاقلُ  
 وإذا ما رأوا خيراً رموه بظنّة      وإنّ عاينوا شراً فكلّ مناضلُ  
 وإنّ عاينوا حبراً أديباً مهذباً      حسيباً، يقولوا إنّهُ لمخاتلُ  
 وإن كان ذا ذهنٍ رموه ببِدعةٍ      وسَمَوْهُ زنديقاً وفيه يجادلُ  
 وإن كان ذا دينٍ يُسمّوه نَعجةً      وليس له عقل ولا فيه طائلُ  
 وما الناس إلا جاحد ومعاند      وذو حسد قد بان فيه التخاذلُ<sup>(2)</sup>

ولعل جحظة البرمكي<sup>(3)</sup>، قد رسم صورة طريفة لزمن سبب كثيراً من الاغتراب

للشعراء، حيث قال:

[مجزوء الكامل]

لا تعجبي يا هندُ من      حالي فما فيها عَجَبُ  
 إنّ الزمان بمن تقد (م)      م في النباهة منقلبُ  
 فالجهل يضطهد الحجي      والرأسُ يعلوه الذنبُ<sup>(4)</sup>

الاغتراب السياسي:

اتصف كثير من الأمراء والحكام والوزراء في هذه الفترة، بالقسوة والظلم والاستغلال  
 زيادة على فساد كثير منهم أخلاقياً، فزادت الهوة اتساعاً بين الناس وحكامهم، ففقد الناس ثقتهم

(1) ابن دريد: محمد الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، قيل: ابن دريد، أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب المقصورة الدريدية، توفي وقد أصابه الفالج سنة (321 هـ). تنظر ترجمته في: (الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، 2489/6، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، 497/1. والسبكي، طبقات الشافعية، 145/2. والبغدادي، تاريخ بغداد، 195/2).

(2) ديوان ابن دريد، 99-100.

(3) جحظة البرمكي: أحمد بن جعفر بن موسى، نديم أديب مغن، لقب بذلك لنتوء في عينيه، وكان عارفاً للموسيقى، له مصنفات منها (المشاهدات، وأخبار الطنبوريين، وله ديوان شعر، توفي (324 هـ). تنظر ترجمته في: (الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، 207/1، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، 41/1، والعسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، 146/1).

(4) تنظر الأبيات في: الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، 213/1.

بالحكام، وراحوا يعلنون سخطهم العنيف على سياسة الدولة، وبغضهم لرجالها، وأكثر ما ظهر ذلك، عند الشعراء الذين رفضوا بيع أنفسهم للسلطان، ومنه قول جحظة في وزير المقتدر أبي الجمال<sup>(1)</sup>:

[الوافر]

إذا كان الوزيرُ أبا الجمال      ومحتسب البلاد الدانيالي  
فَعَدَّ عن البلاد فَعَنَ قَلِيل      ترى الأيام في صُور الليالي  
تَقَضَّتْ بهجة الدنيا وولَّت      وآذن كلَّ شيءٍ بارتحال<sup>(2)</sup>

وهذا ما أطلق عليه أحد الباحثين: الغربة الزمانية، ويعني بها الحالة النفسية التي تصيب الإنسان داخل وطنه في مرحلة زمنية، تجعله يشعر بالغربة بين أهله وذويه في مجتمع قد نشأ فيه<sup>(3)</sup>.

### الاغتراب عن الذات:

وهو أخطر أنواع الاغتراب ؛ لأن الإنسان فيه يغترب عن نفسه، وذلك أنه لا يحتمل العيش وحيداً، فلا يستطيع إلا أن يحاول استئصال الهوة الناشئة بين نفسه الفردية المرهفة الصادقة، وبين مجتمعه المنحرف، ولكن بطريق الاستسلام والخضوع التام، لسلطة هذا المجتمع سواء أكانت سياسية أم سلطة العادات والتقاليد والأخلاق الزائفة. وفي هذه الحال يتحول الإنسان إلى آلة بشرية، إنه "يكف عن أن يصبح نفسه، ويعتق نوع الشخصية المقدم من جانب النماذج الحضارية، ويصبح -تماماً- كما يتوقع الآخرون منه أن يكون ، فالشخص الذي يتنازل عن نفسه الفردية، ويصبح آلة متطابقاً مع ملايين الآخرين من الآلات المحيطة

(1) أبو الجمال: الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، كان سيئ السيرة في وزارته، وكان وزيراً للمعتضد بعد أبيه، ثم وزيراً للمكتفي. تنظر ترجمته في: المرزباني، معجم الشعراء، 230.  
(2) ينظر: ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، 274.  
(3) ينظر: دعور، أشرف: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، 23.

به، لا يحتاج إلى أن يشعر بأنه وحيد وقلق، لكن الثمن الذي يدفعه غالٍ، إنه فقدان نفسه<sup>(1)</sup> وهذا النوع من الاغتراب سلخ الشاعر من نفسه الأصيلة، وظهر للناس بصورة أخرى؛ فظهرت أشعار الكدية، وأشعار المجون بأشكالها كافة.

### الاغتراب الروحي:

وهو مرتبط بالدين الذي يعمق الشعور، بأن هذه الحياة ليست حياة الروح الخالدة، وأن هذه الدنيا زائلة، فيعيش الإنسان فيها كأنه غريب، وينتظر اليوم الذي تعود فيه الروح إلى عالمها. وهذا المفهوم نجده أكثر عمقاً ووضوحاً عند شعراء الزهد والتصوف، حيث لم يشعروا بغربتهم على المستوى الزمني، أو المستوى المكاني، بل شعروا بغربتهم بهذا الوجود، وغربة أرواحهم في أجسادهم، وهذه المفاهيم تكتسب أهميتها، وتلقى قبولاً من الناس في الفترات الحرجة، والأوقات العصيبة، حين يضيع الأمان، وتتأزم الأمور<sup>(2)</sup>.

وسماها ابن قيم الجوزية غربة الهمة، أو غربة طلب الرزق، أو غربة العارف<sup>(3)</sup>. وقد تناول الغربة كثير من الدارسين موجزين أو مفصلين، حول أنواع الغربة - كما هي الحال - عند الفلاسفة، والعلماء، وعند الشعراء، وليس هذا موضع الحديث عن ذلك كله. ولكن الذي لا يمكن أن يغفل عنه إنسان، أن الغربة بأشكالها هي المنبع والدافع وراء الشعور بالحنين إلى الشيء المفقود، سواء أكان الوطن أم الحرية أم الأصدقاء أم الأمن، أم الوضع الاقتصادي المعيشي السائد. فلما أحس الشعراء بلذع الغربة، ومرارة المفارقة لما سبق، لهجت أسننتهم بشعر يعبر عن خلجاتهم، ومشاعرهم، فاض حنياً ورقة وعاطفة. وأنى

(1) مجاهد، عبد المنعم مجاهد: الاغتراب في الفلسفة المعاصرة، 18، نقلاً عن: أريك فروم، الخوف من الحرية، 36.

(2) ينظر: دعدور، أشرف: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، 24.

(3) ينظر: الغربة والاعتراب، 13.

للإنسان المركب من هذه الشبكة الكثيفة من الأعصاب والأحاسيس أن يغفل عما يؤثر فيه؟ لذلك، جاءت أشعار الحنين كنوع من الإدانة لهذه الانحرافات الكثيرة، والمفارقات المتعددة.

ولما كان "لابد للمصدر أن ينفث"<sup>(1)</sup>، فإن داء الصدور هنا هو الشوق يعتلج داخل نفوس الشعراء، ويدفعهم دفعا لإخراجه إلى الوجود في صورة من الصور، هو البركان الذي يغلي ويشتد حتى يخرج حممه الملتهبة؛ فالشوق لابد أن يتجلى في مظهر ما، وهو غالباً ما يكون عند الشعراء على صورة شعر الحنين. وهكذا يكون شعر الحنين هو المظهر الخارجي الملاحظ للانفعال النفسي الكبير، وهو الشوق إلى الشيء المفارق.

ولما كان الشعر لوحة فنية يرسمها الشاعر ببراعته، كما يرسم الفنان بريشته، فلا بد أن تكون هذه اللوحة ذات ألوان وإيحاءات ودلالات، تزداد تأثيراً بمقدار ما تكون متقنة، وصادرة عن تجربة حقيقية. وهكذا تأتي أشعار الحنين صورة فنية مميزة رسمتها ريشة الشاعر، وأبدعها خياله، ولونتها عاطفته، وغذاها حبه لوطنه أو لصديقه، أو لشبابه، فانسابت من لسانه عذبة حانية، ولكنها موجعة؛ لأنها ذوبت نفسه، وعصارة عاطفته، ووقعت في أذن السامع الواعي فأثرت في نفسه ربما ما يقارب ما أثرته في نفس صاحبها وربما أكثر وربما أقل، ولكنها على كل حال لابد أن تثير كوامن النفوس.

وأي نفس تلك التي لم تفارق شيئاً عزيزاً عليها؟! ومن هنا كان اشتراك الناس في الإحساس بالحنين والشوق والألم، ومن هنا كانت طريقتهم في التعبير عنه مختلفة من شخص إلى آخر، لكن تعبير الشعراء يظل اللوحة الرائقة بلا شك.

(1) ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 249/2.

## تأصيل ظاهرة الغربة والحنين:

عرف الشعر العربي عدداً من الأغراض الشعرية، كالمديح والرثاء والهجاء والنسيب وغيرها، ولعل أول من وضع هذا التقسيم أبو تمام في حماسته؛ إذ بلغ عدد الأغراض عنده عشرة أغراض شعرية (1).

ثم جاء قدامة بن جعفر وجعلها في ستة أغراض هي:

المديح، والهجاء، والنسيب، والمراثي، والوصف، والتشبيه (2). في حين كانت عند أبي هلال العسكري خمسة أغراض فقط (3).

ويقع تحت هذه الأغراض تقسيمات، كل غرض له تفريعه الخاص، ولكن: أين يقع شعر الغربة والحنين من هذه الأغراض؟ أو أين موضعه من هذه التفريعات؟ وهل هو غرض شعري؟

إن الدارس للشعر العربي القديم، يجده لا يخلو من أشعار تعبر عن خلجات أصحابها، ومكونات نفوسهم، حين خرجوا من أوطانهم تحت ظرف من الظروف، قسراً أو طوعاً، وكان من ثمرات هذه الخلجات قصائد في الحنين إلى الأهل والأحبة والوطن، ومقطوعات يعبر فيها أصحابها عن شدة شوقهم إلى ديارهم.

ومن هنا جاء اهتمام عدد غير قليل من المؤلفين، الذي صنفوا مصنفاً في هذا الغرض، ولكن قبل الحديث عن هذا، يجب أن أشير إلى أن هذا الموضوع بوصفه غرضاً شعرياً ذكره قدامة بن جعفر، ووضعه تحت باب النسيب، يقول: "قد يدخل في النسيب التشوق

(1) ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: [ الحماسة 21، والمراثي 782، والأدب 815، والنسيب 1215، والهجاء 1429، والأضياف 1557، والمديح 1756، والصفات 1803، والسير والنعاس 1815، ومزمنة النساء 1867].

(2) ينظر: نقد الشعر، 58.

(3) ينظر: ديوان المعاني، 91/1.

والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابّة، والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة،  
وآثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الدائرة"<sup>(1)</sup>.

وذكره كذلك المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام، حين عدّه أول أغراض الشاعر  
القديم، يقول: "والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها، وغاياتهم التي ينزعون إليها،  
وصف الديار والآثار، والحنين إلى المعاهد والأوطان..."<sup>(2)</sup>.

من هذين القولين، يمكن أن نستدل إلى أنها إشارة واضحة، على أن الحنين إلى الوطن  
هو غرض شعري لا يقع تحت غرض آخر، بل تقع تحته تقسيمات وفروع، مثله مثل المديح  
والرثاء والهجاء وغيرها. وليس أدل على هذا من ظهور عدد من المصنفات والمؤلفات التي  
وضعت لخدمة هذا الغرض، وما ذلك إلا لكونه أحد الأغراض الشعرية. فابن النديم يذكر عدداً  
من المصنفات التي وضعها المصنفون تحت عنوان "الحنين إلى الأوطان"<sup>(3)</sup>، كما ذكر حاجي  
خليفة عدداً آخر، منها ما وصل إلينا، ومنها ما لم يصل<sup>(4)</sup>.

وما كان من الجاحظ إلا أن وضع كتاباً هو "الحنين إلى الأوطان" ووضع أبو الفرج  
الأصفهاني كتاباً آخر هو "أدب الغرباء".

إضافة إلى ما وُجد في ثنايا بعض المصنفات، من فصول خاصة بهذه الظاهرة<sup>(5)</sup>،  
وهي أكثر من أن تحصى.

ولكن ظهر بعض الباحثين المحدثين الذين نفوا وجود هذا الغرض الشعري، ووقوعه  
في الشعر العربي، وإن وُجد فإنه قليل معدود على أصابع اليد ولا يكاد يذكر<sup>(1)</sup>. لكنّ هذا

(1) نقد الشعر، 124.

(2) شرح ديوان الحماسة، 20/1.

(3) ينظر: الفهرست: [الحنين إلى الأوطان لابن خالد الرامهزي، 221، والحنين إلى الأوطان لأبي حاتم السجستاني، 87، وحبّ  
الأوطان للكسروي، 185].

(4) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: [النزوع إلى الأوطان للسمعاني، 1937/2، والحنين إلى الأوطان لابن المرزبان  
– وصل إلينا، 1/ 231] وغيرها.

(5) ينظر مثلاً: البحتري، الحماسة (باب ذل من اغترب عن قومه، 106)، والشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، 212/1،  
والمرزوقي، الأزمة والأمكنة، 248/2، وغيرها.

الادّعاء سرعان ما تهاوى، عندما قام أستاذي المشرف بالردّ على أصحاب هذا الادّعاء بدراسة شاملة، خاصة لهذا الغرض الشعري، تناول فيها الحنين إلى الديار في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، أثبت من خلالها وجود هذا الغرض ووقوعه في الشعر العربي<sup>(2)</sup>، وبحسب علمي واطلاعي، يمكنني القول: إن أستاذي المشرف يُعدّ أول من أصل لهذا الغرض الشعري، وتناوله بدراسة مستقلة، وما دراستي هذه إلا استكمالاً لما بدأه أستاذي، ومتابعة في إبراز هذا الغرض وإظهاره، كغيره من الأغراض الأخرى، وفيما يأتي من صفحات، سأحاول دراسة هذا الغرض وأبين ملامحه، وخصائصه، وموضوعاته.

---

(1) منهم: عزيزة مريدن في رسالتها (القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي 63-64)، وكمال نشأت في مقالة له في مجلة الكاتب القاهرية، السنة الثالثة، العدد 32، 1963م، ص 50، وعيسى الناعوري، أدب المهجر، 52. نقلاً عن رسالة: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 68-69، دكتوراه، القاهرة، 1979م.

(2) تنتظر آراؤهم وردّ الرجبي عليها في رسالته: الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 86-75. دكتوراه، القاهرة، 1979م.



## الفصل الأول: موضوعات شعر الغربة والحنين:

أولاً: حنين بكاء الأطلال والديار.

ثانياً: حنين المكرهين:

1 - المسجونون.

2 - المطرودون أو المنفيون.

3 - المسافرون.

ثالثاً: حنين المجاهدين.

## توطئة:

الحنين إلى الوطن فطرة في الإنسان، تجذبه إلى وطنه، ومراتع صباه، وهي "مستولية على الطباع، مستدعية أشدّ الشوق إليها"<sup>(1)</sup>؛ لأنه منذ عرف الإنسان الوجود، وعرفه الوجود، موصولاً ببيئته لا فكاك له منها . وكادت الصلة بينه وبين بيئته أن تكون أو تعد من الصلة بينه وبين أسرته، أو قريبة منها، وهو كما ينسب إلى أسرته ينسب إلى بيئته، وكما يستفيد صورته من أسرته يستفيدها من بيئته، غير أنه ينمو في أسرته مرتبطاً بأفراد، وينمو في بيئته مرتبطاً بأعداد<sup>(2)</sup>.

والأرض التي درج الإنسان على ظهرها، وتنسّم هواءها، وتغذى بغذائها، وشرب من مائها؛ منها أجزاءه التي انبنى بها جسمه، وخواطره التي انعقد عليها فكره، فهو من هذه الأرض بجسمه وفكره وعقله وأمله: بلسانها نطق، وبهديها سعى، وبهذه الأسباب كانت الأرض وطناً والإنسان مواطناً، أوجبت لكل منهما حقاً على الآخر.

ويجب الإنسان أرضاً غير أرضه، وأمة غير أمته، لكنه حين يرد إلى إيثار، يؤثر أرضه على كل أرض، وأمته على كل أمة، وحب الإنسان لوطنه لا يجعل منه عدواً لغيره من الأوطان؛ إذ إن حب الإنسان لوطنه هو من حبه لوجوده، وحبه لوجوده لا يعني حرمان غيره من الوجود<sup>(3)</sup>.

(1) الأبنيهي ، المستطرف في كل فنّ مستطرف ، 308 .  
(2) ينظر : الإبياري ، إبراهيم ، الوطن الأدب العربي ، 3 .  
(3) ينظر : نفسه ، 5 وما بعدها .

ومن هنا، زخرت الحكمة والأدب بما يوحي بحب الوطن، حتى صنفت فيه مصنفات<sup>(1)</sup>، زيادة على ما ورد على شكل فصول في كتب كثيرة تحدثت عن الغربة والاعتراب<sup>(2)</sup>.

وقد قرن حب الوطن بالحياة، كما قرن الجلاء عنه بالموت، قال سبحانه وتعالى: " وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا " <sup>(3)</sup>.

وقد جعل الله سبحانه التغريب عن الوطن عقوبة للذين يحاربون الله ورسوله ، في قوله تعالى : " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ " <sup>(4)</sup> .  
فها هو التغريب عن الوطن يعدل القتل والصلب والمثلة . ولم يُستثن من حب الوطن، والشوق إليه نبي ولا عظيم، ولا إنسان عادي، وهذا رسولنا - صلى الله عليه وسلم- حين أكره على الخروج من مكة، توجه إليها بجسمه ووجهه، وقال : "والله إنك لخير أرض الله، وأحبّ الأرض إليّ، والله لولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت"<sup>(5)</sup>، وفي ذلك دلالة على ما يربط الإنسان بوطنه من صلوات ووشائج، يعد تركها عذاباً وألماً.

(1) للمزيد عن مصنفات الحنين إلى الوطن ، ينظر : الجاحظ ، الحنين إلى الأوطان ، وابن المرزبان ، الحنين إلى الأوطان ، والإبياري ، إبراهيم ، الوطن في الأدب العربي ، وطنوس ، وهيب ، الوطن في الشعر العربي .

(2) ينظر مثلاً : الجاحظ : المحاسن والأضداد ، 92 وما بعدها ، والبيهقي ، المحاسن والمساوئ 290 وما بعدها ، وغيرها .

(3) النساء ، 66 .

(4) المائدة ، 33

(5) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، 1037/2، الحديث رقم (3108).

وقد روي أن الرسول عليه السلام سأل أحد الصحابة قائلاً له : كيف تركت مكة؟ قال:  
تركت الإذخر<sup>(1)</sup> وقد أعذق، والنمام<sup>(2)</sup> وقد أورك، فاغرورقت عينا رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

ولا غرابة في ذلك، فمن علامات الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقفة، وإلى مسقط  
رأسها مشتاقفة، وقد أوصى سيدنا يوسف - عليه السلام - بأن ينقل تابوته إلى مقابر آبائه في  
وطنه ، كما أوصى الإسكندر أن يحمل تابوته ليدفن في بلاد الروم حبا في وطنه<sup>(4)</sup>.

وفي حب الوطن، ورد قول لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : "عمر الله البلدان  
بحب الأوطان"<sup>(5)</sup>، كما ورد عنه - رضي الله عنه - قوله: "لولا حبّ الوطن لخرب البلد  
السوء"<sup>(6)</sup>.

وقد وصلت الحال أن تحدث الأطباء عن حبّ الوطن، وما في عناصر الوطن من  
دواعي شفاء العليل، فقال جالينوس<sup>(7)</sup>: "يتروح العليل بنسيم أرضه، كما تتروح الأرض الجذب  
ببل القطر"<sup>(8)</sup>، أما أبقراط<sup>(9)</sup> فقال: "يداوى العليل بحشائش أرضه؛ فإن الطبيعة تنزع إلى  
غذائها"<sup>(10)</sup>.

وقد ورد أن أحد بني هاشم قال: "قلت لأعرابي: من أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية.  
قلت: وأين تسكن منها؟ قال: مساقط الحمى، لعمر الله لا أريد بها بدلا، ولا أبغي عنها حولا،

(1) الإذخر : حشيش طيب الريح ، ينبت في الحزون والسهول . ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( ذخر ) .

(2) النمام : نبات له بذور مثل الريحان ، قوي الرائحة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( نم ) .

(3) ينظر : ابن هشام، السيرة النبوية، 329/3.

(4) ينظر : الأبيهي ، المستطرف في كل فنّ مستطرف ، 308 .

(5) الجاحظ ، الحيوان ، 227 / 3 ، والحنين إلى الأوطان ، 389 .

(6) الجاحظ ، الحيوان ، 227 / 3 ، والبيهقي ، المحاسن والمساوي ، 225 .

(7) جالينوس : طبيب يوناني ، يعد من أعظم الأطباء في العصور القديمة ، له مؤلفات في الطب ، تنظر ترجمته في : بعلبكي ، منير ،  
موسوعة المورد ، 186 / 4 .

(8) الجاحظ ، الحنين إلى الأوطان ، 389 ، والعسكري ، أبو هلال ، ديوان المعاني ، 188 / 2 .

(9) أبقراط : طبيب يوناني ، عمل على تحرير الطب من الخرافات ، وله القسم الذي نقيمه الأطباء عند تخرجهم . تنظر ترجمته :  
بعلبكي ، منير ، موسوعة المورد ، 108 / 5 .

(10) الجاحظ ، الحنين إلى الأوطان ، 389 ، والبيهقي ، المحاسن والمساوي ، 225 .

حفتها الفلوات، ونفحتها العذوات<sup>(1)</sup>، فلا يملوح ماؤها، ولا يمعر<sup>(2)</sup> جانبيها، ليس فيها قذى ولا أذى، فنحن بأرق عيش وأوسع معيشة. قال: فما طعامكم؟ قال: بخٍ بخٍ، طعامنا أطيب الطعام وأهنؤه: الفت<sup>(3)</sup>، والهبين<sup>(4)</sup> والضباب واليرابيع، والقنافذ والحيات، وربما أكلنا الجلد، فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً<sup>(5)</sup>.

وقد قيل لأعرابي: كيف تصنع بالبادية، إذا انتصف النهار، وانتعل كل شيء ظله<sup>(6)</sup>؟ فقال: وهل العيش إلا ذلك؟ يمشي أحدنا ميلاً، فيرفض عرقاً كأنه الجمان، ثم ينصب عصاه، ويلقي عليها كساه، وتقبل الرياح من كل جانب، فكأنه في إيوان كسرى<sup>(7)</sup>. وما أجمل ما علل

به ابن الرومي<sup>(8)</sup> حبّ الوطن حيث قال: [ الطويل ]

ولي وطن آليت ألا أبيعَه      وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا  
عهدت به شرَّحَ الشبابِ ونعمة      كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا  
وقد ألفتُهُ النفس حتى كأنها      لها جسد إن غاب غودرتُ هالكا  
وحببَ أوطانَ الرجال إليهمُ      مآرب قضّاهم الشبابُ هنالكا  
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمُ      عهودُ الصبّا فيها فحنّوا لذلكا<sup>(9)</sup>

وقال أحمد شوقي في المعني ذاته:

وطني لو شغلت بالخلد عنه      نازعتني إليه في الخلد نفسي<sup>(10)</sup>

(1) العذوات: جمع عذاة، وهي الأرض الطيبة التربة، البعيدة من الأنهار والبحور والسبخ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب (عذو)

(2) يمعر: المعر: سقوط الشعر والريش، وأمعرت الأرض: ليس فيها نبات. ابن منظور، لسان العرب، مادة (معر)

(3) الفت: نبت يخبز حبّه ويؤكل في الجذب، وخبزته غليظة ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (فتث).

(4) الهبين: والهبون: العناكب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (هين).

(5) الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، 393، والمحاسن والأضداد، 119، وابن المرزبان، الحنين إلى الأوطان، ص 164، المورد م 16، ع 1، 1987.

(6) أي صار الظل تحت الإنسان كأنه نعل.

(7) ينظر: الجاحظ، المحاسن والأضداد، 107.

(8) ابن الرومي: علي بن العباسي بن جريح ولد ونشأ ببغداد، كان شاعراً هجاء، له ديوان شعر مطبوع ومات مسموماً سنة (ت) 283 هـ. تنظر ترجمته في: (ابن خلكان، وفيات الأعيان 1 / 350، والمرزباني، معجم الشعراء، 289).

(9) ديوان ابن الرومي، 5 / 1825.

(10) الشوقيات، 46 / 2.

فأي ارتباط هذا بالوطن، ذاك الذي يجعل الإنسان يحن إليه حتى لو كان في الجنة؟! وحنين الإنسان لوطنه يكون في البعد عنه، وقد تحدث العلماء عن أن هذا الحنين يزداد كلما اقترب الإنسان من وطنه، أو دنا من شيء يربطه به ، وقد سأل أبو حيان التوحيدي<sup>(1)</sup> أستاذه مسكويه<sup>(2)</sup> قائلاً: "لم إذا كان الإنسان بعيداً عن وطنه، ومسقط رأسه وملهى عينه، ومضطجع جنبه، ومطرب نفسه، ومعدن أنسه، يكون أحمَد شوقاً، وأقل قلقاً، وأطفأ ثائرة وأسلى نفساً، وألهى فؤاداً، حتى إذا دنت الديار من الديار، وقوى الطمع في الجوار، نفذ الصبر، وذهب القرار، وحتى قال الشاعر: [ الوافر ]

وأعظم ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دنتِ الديارُ منِ الديارِ<sup>(3)</sup>

وهل هذا معنى يعم أو يخص؟ وما عليه؟ وهل له علة؟

فقال أبو علي مسكويه: هذا المعنى موجود في الأشياء الطبيعية أيضاً، مستمر فيها؛ وذلك أنك لو أرسلت حجراً من موضع عالٍ مركزه، لكان يبتدئ بحركته، وكلما قرب من مركزه احتدت الحركة، وصارت أسرع إلى أن تصير عند قربه من الأرض على أحد ما تكون وأسرعه . وكلما كان الموضع الذي يرسل منه الحجر أعلى، كان هذا المعنى فيه أبين وأظهر .

وكذلك حال النفس في أنها إذا كانت بعيدة من مألّفها، كان نزاعها أيسر، فكلما دنت

منه اشتد نزاعها وحركتها التي تسمّى شوقاً<sup>(4)</sup>.

(1) أبو حيان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس ، فيلسوف متصوف ، من مؤلفاته : الصداقة والصديق ، والإمتاع والمؤانسة ، والبصائر والذخائر، توفي في سنة (400هـ). تنظر ترجمته: الحموي ، ياقوت ، معجم الأديباء ، 4 / 1923 : ابن حجر ، لسان الميزان ، 6 / 369 .

(2) مسكويه : أحمد بن محمد بن يعقوب ، مؤرخ ، أصله من الرىّ وسكن أصفهان ، اشتغل بالفلسفة والمنطق من مؤلفاته : تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، وترتيب السعادات ، توفي ( 421 هـ ) . تنظر ترجمته في ( الحموي ، ياقوت ، معجم الأديباء ، 2 / 493 ، والبغدادى ، هدية العارفين ، 1 / 173 .

(3) لم أعر على قائله ، والبيت في : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، 7 / 369 .

(4) التوحيدي ، أبو حيان ، الهوامل والشوامل : سوالات أبي حيان لأبي علي مسكويه ، 298 .

ولقد ارتبط هذا الحنين إلى الوطن في بدايته الأولى في العصور الجاهلية بالوقوف على الأطلال ؛ لأن الطلل هو المكان المرتبط بزمن قد مضى، لكنه بقي في ذهن الشاعر بحيثياته وتفصيلاته، وحركاته وسكناته كلها، ومن الغريب أن أحد الدارسين وصل به الأمر إلى أن قال: " إن من الشعراء من لم يغادر وطنه، وكان يختلق وطناً - وهو مقيم- ثم يحن إليه في شعره"(1).

ولعل المتأمل في هذا الشعر - الذي عبّر فيه أصحابه عن حنينهم لأوطانهم - يجد تعبيراً عن إحساس في الرغبة بالرجوع إلى النقاء الأول، حيث عدّ الطلل وسكناه قبل أن يخرب مكانا للنقاء والصفاء، لهذا جاء الحديث عن الطلل كأنه رغبة في العودة إلى هذا النقاء والصفاء.

ولتسهيل الحديث عن شعر الحنين إلى الأوطان في هذا الفصل، سأقف عند العناوين

الآتية:

1- حنين بكاء الأطلال والديار: وتحت هذا العنوان سأتناول موضوعات الوقوف على الأطلال، بما فيها مثيرات الحنين لهذه الأطلال، ولأن الأماكن المتنوعة جزء من الديار، فلا بُد من الوقوف مع شعر الحنين إلى مجالس معينة، أو أماكن معينة كان لها حضور في شعر الحنين، وبخاصة الديارات، أو مدن معينة.

2- حنين المكروهين: أي الذين أكرهوا على مفارقة أوطانهم؛ كالمنفيين، والمطرودين، والأسرى، والمحبوسين.

3- حنين المجاهدين: رغم قلته في هذه الفترة من العصر.

(1) بدوي، عبده، الغربية المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر، ص5، م 15، ع 1، 1984.

## أولاً : حنين بكاء الأطلال والديار.

لما كان الارتباط شديداً بين الإنسان وموطنه، فقد عبّر الأدب العربي عن عاطفة الحب لهذا الوطن في عصوره كلها، وما شعر الوقوف على الأطلال، ومناجاتها إلا شعر في الحنين إلى الوطن والديار، مختلطاً بالحب والعواطف التي شهدتها هذه الأطلال<sup>(1)</sup>.

وقد حمل الشاعر المكان دلالات نفسية ووجدانية، فلم يكن حديثه عن الديار والمنازل، مجرد تجسيد لها أو تصوير للواقع المادي، وإنما كان تجسيدا للأحلام، والذكريات، والآمال، والطموحات. بمعنى أنه لم يكن يصور المكان صوراً فوتوغرافية لإبراز تفصيلاته، بقدر ما كان يتحدث عن هذا المكان، وكيف أثر فيه<sup>(2)</sup>.

وقد تناول الشعراء في العصور السابقة في حنينهم إلى الأطلال والديار، جملة الآثار في الديار، ثم فصلوا في بقايا هذه الديار، وما لحق بها من تخريب، سواء بفعل الأمطار أو السيول أو الرياح، وتحدثوا كذلك عن الحيوان الذي سكن الديار بعد أهلها، ثم تحدثوا عن موقعهم من هذه الديار، فاستسقى بعضهم لها، وعبّر معظمهم عن حالته النفسية لدى وقوفه عليها.

وفي هذه الفترة من العصر العباسي، تطورت الحياة؛ فسكن الناس المدن، ولم يعد هناك معنى للحديث عن الوحوش التي تعمر الديار، ولا عن كثير مما يتعلق ببيوت الشعر، مثل: النؤي، والوتد وغير ذلك، بل تحدثوا عن أشياء خاصة بعصرهم. ومن الموضوعات التي تناولها شعر بكاء الأطلال والديار:

الوقوف على الأطلال، وإلقاء التحية، وسؤال هذه الأطلال، والحديث عن الآثار والدّمّن والوحشة فيها. ثم آثار البرق والرعد والمطر الريح فيها، وبعد ذلك الحيوان الذي

(1) ينظر: جحا، فريد، الحنين واللقاء في شعر المهجر، 11.

(2) ينظر: التميمي، حسام، جماليات المكان في شعر البحري، 282، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، 2001م.



سكنها أو أوصل الراكب إليها، ثم بكاء الشاعر عند هذه الأطلال، وكيف لامه أصدقائه، ومقدار الألم الذي أحسّ به، ثم السقيا والدعاء لهذه الأطلال، ومن بعد ذلك الحديث عن زمن معين ارتبط بهذه الديار، وبأيام خاصة، ومراحل عمرية معينة.

## 1- الوقوف على الأطلال :

جرت عادة الشعراء أن يقف الشاعر، أو يوقف مطيته، أو يدعو صاحبه أو صحبه للوقوف مع حديث للنفس، أو مع الأصحاب والرفقاء، حول هذه الدّمّن. وكان وقوف الشعراء على الأطلال يعني وفاءهم لهذا المكان، ولمن كان يحله "فكانوا يرون الوقوف على الأطلال من الفتوة والمروءة، وأن طيّها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد"<sup>(1)</sup>.

وحين يقف الشاعر بالأطلال الدارسة، يظل مشدوداً إلى الماضي بكل ما يحويه وما يثيره، يوم أن كانت الأطلال تمثل شبابه وأحبته قبل أن تصير إلى ما صارت إليه، أي أن الشاعر حنّ إلى هذه الأطلال يوم أن كانت عامرة بأهلها، فيها الهناء والسعادة والحب والوفاء والصفاء والمرح<sup>(2)</sup>.

وفي هذه الفترة من العصر العباسي، وجدت الوقوف على نحو آخر؛ فالبحثري<sup>(3)</sup>،

يتحدث عن نفسه قائلاً: [الرمّل]

لا أرى بالعقيقِ رسماً يجيبُ      أسكنتُ آية الصبّاء والجنوبُ  
واقفٌ يسألُ الديار ، وَعَظْلٌ      في سؤالِ الديارِ أو تأنيبُ<sup>(4)</sup>

(1) الأمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، 403.

(2) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 272. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

(3) البحتري: الوليد بن عبيد، شاعر، ولد بمنبج ورحل إلى العراق، عاد إلى الشام بعد أن اتصل بجماعة من الخلفاء العباسيين له ديوان شعر مطبوع، وله الحماسة، مات سنة (284 هـ). تنظر ترجمته في: (ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 175، والعباسي، معاهد التنصيص، 1/ 234).

(4) ديوان البحتري، 1/ 355، والعقيق: واد لبني كلاب، نسبه إلى اليمن. (ينظر الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 4/ 140).

فالوقوف هنا وصف لنفسه وهو يسأل الديار، لكن لم يوضح عم يسأل، ولا كيف

كان وقوفه، وكذلك الأمر في قوله: [الطويل]

وما انفكَّ رَسْمُ الدارِ حَتَّى تَهَلَّلْتُ دموعي ، وَحَتَّى أَكْثَرَ اللّوَمَ صَاحِبِي  
وَقَفْنَا فِلا الأَطْلالُ رَدَّتْ إجابةً وَلَا العَذْلُ أَجْدَى فِي المَشْوَقِ المَخاطِبِ<sup>(1)</sup>

فوقوفه كان مع صاحبه، لكنه لم يتحدث عن كيفية الوقوف، ولا لماذا وقف، وحين

يقول: [الرملي]

ما على الركبِ من وقوفِ الرِّكابِ في مغانِي الصِّبَا ورَسَمِ التَّصَابِي<sup>(2)</sup>  
فإنه هنا يستثير الركب للوقوف، لكنه أيضا لم يوضح الغاية من وقوفه.

وقد اختلفت الحال في قوله: [البسيط]

كم من وقوفٍ على الأطلالِ والدِّمَنِ لم يشفِ من بُرحاءِ الشَّوقِ ذا شَجَنِ<sup>(3)</sup>

فالوقوف هنا كان كثيرا، لكنه لم ينفعه، لأنه ذو شجن وحزن، وهذا الوقوف لم يغير

من هذا الحزن شيئا. وكذلك الحال في قوله: [الكامل]

وأراكَ تَعَجَّبُ من صِبابَةٍ مُغرَمِ أسيانَ ، طالَ على الديارِ وقوفُهُ<sup>(4)</sup>

فالوقوف طويل، وهو مغرم ذو صباية، برح به الألم والأسى.

أما ابن المعتز<sup>(5)</sup>، فصور حاله عند الوقوف على الأطلال قائلاً: [البسيط]

يا دارُ يا دارَ أطرابي وأشجاني أبلى جديداً مغانيك الجدائيدان

لما وقفتُ على الأطلالِ أبكاني ما كان أضحكني منها وألهاني<sup>(1)</sup>

(1) ديوان البحري ، 108/1 .

(2) نفسه ، 83 / 1 .

(3) نفسه ، 258 / 4 .

(4) نفسه ، 1470 / 3 .

(5) ابن المعتز : عبد الله بن محمد ، خليفة يوم وليلة ، ولد في بغداد ، قتله مؤنس الخادم ، له مصنفات كثيرة منها : البديع ، وطبقات الشعراء قتل سنة ( 296 هـ ) . تنتظر ترجمته في : ( الأصفهاني ، الأغاني ، 10 / 217 ، والصولي ، أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق ، 107 ) .

فتحدث عن وقوفه وحده بضمير الفاعل المفرد، لكنه لم يذكر كيف وقف، ولا مدة الوقوف، ولا متى وقف، في حين يقف النابغة<sup>(2)</sup> في وقت الأصيل، ولذلك ارتباط نفسي واضح

في قوله: [ البسيط ]

وقفتُ بها أصيلاً أسألها عيتُ جواباً وما بالرَّبْعِ من أحدٍ<sup>(3)</sup>

وعنتره وقف ليقضي حاجة في نفسه، إذ يقول: [ الكامل ]

وقفت فيها ناقتي فكأنها فدنّ لأقضي حاجة المتلوم<sup>(4)</sup>

أما ابن الرومي، فلا يرى الوقوف على الأطلال، يقول: [ الرمل ]

طلّ دمع هريق في الأطلال بعد إقوائها من الخلال

أيُّ حق لها فيرعاه راعٍ من نوالٍ لأهلها ووصالٍ

فانصرفاً عن الوقوف عليها إنها من مواقف الضلال

لن ترى الدهر موقفاً لرشيد يشتري النكس فيه بالإبلال<sup>(5)</sup>

وهو موقف غريب في ظاهره؛ إذ جرت عادة الشعراء على الوقوف والاستيقاف، لكنه يدعو إلى عدم الوقوف، حتى عدّ ذلك من مواقف الضلال، فكيف يضل من وقف على الطلل، وهو لأحبته وخلانه؟ ومن المعلوم أن أبانواس، دعا دعوة واضحة إلى عدم الوقوف على الأطلال، وفي دعوته تهكم وسخرية على من يقف، يقول:

قل لمن يبكي على رسم درّسٍ واقفاً ما ضر لو كان جئس<sup>(6)</sup>

(1) ديوان ابن المعتز ، 189 / 1 .  
(2) النابغة : النابغة الذبياني : زياد بن معاوية ، شاعر جاهلي من أهل الحجاز ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم . توفي نحو ( 18 ق . هـ ) . تنتظر ترجمته في ( الأصفهاني ، الأغاني ، 5 / 11 ، والزركلي ، الأعلام ، 3 / 55 )  
(3) ديوان النابغة ، 1 .  
(4) ديوان عنتره ، 126 ، والقرشي ، جمهرة أشعار العرب ، 433 / 2 .  
(5) ديوان ابن الرومي ، 2054 / 56 ، وطلّ : ذهب هدرأ . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( طلل ) ، الإبلال : الشفاء من المرض ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( بلل ) النكس : الضعف . لسان العرب ، مادة ( نكس )  
(6) ديوان أبي نواس ، 134 .

فثورته على الطلل والوقوف عليه ظاهرة بارزة، يتهمك على الذي يقف ويدعوه إلى

الجلوس! وليس ببعيد قوله:

دع الأطلال تسفيها الجنوب وتبلي عهد جدتها الخطوب<sup>(1)</sup>

فهذه دعوة صريحة أيضاً إلى عدم الوقوف على الأطلال، ولعله في هذه الدعوة

وغيرها، إنما يسخر من هذه المقدمات، ومن الذين يتبعون هذا التقليد في قصائدهم.

يبدو لي أن الفلسفة دخلت مع الشعر في نص ابن الرومي، وأن استخدام العقل الذي

هو من سمات هذا العصر، بما في هذا الاستعمال من حجج وبراهين، قد أثر في النص أيضاً؛

فهو يرى أن مفارقة أصحاب الأطلال لأطلالهم لا يجعل لهذه الأطلال أهلاً لأن يراق فيها

الدمع، ولأن أهلها لا وصال لديهم ولا نوال، فلا حق لها كأطلال. هذا الكلام في ظاهره فصل

بين الطلل وصاحبه، ولكن عاطفة الحنين تنتزى من بين الكلمات، ودفقات الألم تتفقت من

لسانه الذي يحاول إمساكه عن التعبير عن هذه العاطفة، ألا ترى كيف عدّ الوقوف بالأطلال

ممرضاً؟ إذن، فالوقوف بالطلل مدعاة وباعث قوي في الحنين إلى ساكن الديار. وهذا النص

وإن كان في ظاهره دعوة لعدم الوقوف، إلا أن هذه الدعوة خوف على نفس الشاعر من أن

تمرض وتتألم، وتنعكس بعد إيلال، ولا أدل على ذلك من قوله:

[الرمل]

ليس تجدي على المسائل دارٌ غير هيّج السقام بعد اندمال<sup>(2)</sup>

هذه هي حال الوقوف على الطلل، لم يرتبط بزمن معين، ولا بهدف واضح، كما كان

الأمر في العصور السابقة، وبخاصة في العصر الجاهلي ولعل كون الحديث عن الطلل جاء

(1) ديوان أبي نواس ، 11.

(2) ديوان ابن الرومي ، 5 / 2054 .

تقليدا فقط، واتباعا لعمود الشعر العربي كتمهيد لغرض آخر، وكذلك أن هؤلاء الشعراء ربما لم يقفوا حقيقة على طلل، بل هي صورة ذهنية استحضروها ليتوصلوا بها إلى أغراضهم.

كل ذلك ربما جعل الوقوف وقوفا مجردا أقرب إلى الجمود، منه إلى الوقوف الحقيقي

## 2- السلام والتحية:

أكثر الشعراء الجاهليون من التسليم على الطلل، ولعلمهم في هذا يسلمون على صاحب الطلل، ولم يجد الشاعر بدا من التسليم، وبخاصة أن ذلك من مكارم الأخلاق. والشعراء في تحيتهم للديار وسلامهم عليها، إنما يحنون إلى الأيام السالفة، التي طالما تبادل أهل هذه الديار التي أصبحت دراسة ساكنة، "ومن شدة وجدهم وحنينهم، وقوة تعلقهم بتلك الأيام الغابرة، فإنهم يلغون عامل الزمن من حياتهم، ويخاطبون الأطلال، وكأن أهلها ما يزالون يحلون فيها"<sup>(1)</sup>. ولم أجد - فيما قرأت من نصوص الشعر المتعلقة بالأطلال في العصر العباسي الثاني- إلا عددا قليلا من الشعراء حيّا الطلل بصورة أو بأخرى؛ فابن الرومي يقول:

[مخلع البسيط]

حَيِّ الْمَعَاهِدَ وَالْمَنَازِلَ      الْمَقْفَرَاتِ بِلِ الْأَوَاهِلِ

بَدَأْنَ أَرَاماً خَوَا (م)      ذَلْ بَعْدَ أَرَامٍ خَوَاذِلِ

حَرَكْنَ شَجْوَكَ لِلْسَوَا (م)      لِ وَمَا أَحْرَنَ جَوَابِ سَائِلِ<sup>(2)</sup>

هكذا يراوح ابن الرومي في سلامه وتحيته، بين الطلل وصاحبه، فيطلب من نفسه

أن يحيي المعاهد المقفرة، ثم يستدرك بأنها وإن كانت مقفرة في الحقيقة، إلا أنها أهلة في

ذهنه بأهلها وسكانها، لذلك حركت شجوه وألمه، فكانت باعثا على السؤال.

(1) الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 277. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

(2) ديوان ابن الرومي 5 / 2031 .

وفي مقام آخر، ينيب ابن الرومي عن نفسه من يحيي الطلل يقول: [مخلع البسيط]

ألا اسلمي يا دارُ من دارٍ تهيجُ أطرابي وأذكاري

حيّتك عَنَّا شَمألُ سهوةٌ تسري إذا ما عرّس الساري<sup>(1)</sup>

فالذي قدّم التحية هنا هي الصبا الهابة من جهة الشمال، والعرب تتفاعل بالرياح

الشمالية، ففيها الندى والطرارة واللين والحياء، فإن لم يحيي الشاعر، فقد ناب عنه مُحَيٌّ

لطيف. أما ابن المعتز، فقد حياها في وضع خاص، يقول: [المديد]

عَرَفَ الدارَ فحيّا وناحا بعدما كان صحا واستراحا

ظلّ يلحاهُ العذولُ ويأبى في عنان العذُلِ إلا جماحا<sup>(2)</sup>

فكانت تحيته على معرفة تامة بعد أن عرف الدار، فابتدأها بالتحية، ثم أدى ما

عليه من النواح والبكاء، فكانت الدار باعثا على الحنين والشوق بعد أن صحا واستراح

كما يقول. وفي مكان آخر يقول: [المديد]

ألا حي ربعا بالمطيرة أعجما فلو كَلَمْتَ أرضاً إذاً لتكلما<sup>(3)</sup>

وكانت تحيته هنا لأن الطلل يستحق التحية، فلو كان شيء أعجم قادرا على الكلام

لكان هذا الطلل. ولعل في ذلك تواملا مع قول عنتره مع فرسه: [الكامل]

لو كان يعرف ما المحاورّة اشتكى أو كان لو عَرَفَ الكلام مكلمي<sup>(4)</sup>

(1) ديوان ابن الرومي ، 1036 /3 ، وسهوة : لينة ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( سهو ) ، وعرّس : نزل في آخر الليل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( عرس ) .

(2) ديوان ابن المعتز ، 459/1 .

(3) ديوان ابن المعتز ، 552/1 ، 131 . والمطيرة : قرية من نواحي سامراء ، من متنزهات بغداد وسامراء . ينظر ( الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، 151/5 )

(4) ديوان عنتره بن شداد ، 18 ، والقرشي ، جمهرة أشعار العرب ، 2 / 463 .

### 3- سؤال الأطلال وجوابها :

من المعروف أن السؤال يكون عن ساكني هذه الديار، أو عن سبب تغييرها، فحين يقف أمام هذه الديار، فإنه يمتد خياله إلى الماضي، أيام أن كانت تموج بالناس، وتدب فيها الحياة، والشاعر بهذا الموقف أضفى على الربع صفة الحياة، ونزع عنه صفة الموت. والشاعر المحب يرى المحبوبة في خياله تسرح فوق الربا، ويتذكر معها مكان سكنها، ويتأهى إلى سمعه صدى صوتها ومناجاتها له، فتعيده هذه الأطلال إلى ذكريات الماضي<sup>(1)</sup>.

وقد كثرت أسئلة الشعراء في فترة العصر العباسي الثاني للأطلال؛ فالبحتري يصف أطلال الأحبة بأنها دراسة لا ترد جواب سائل، يقول:

[الكامل]

أرْسُومُ دَارٍ أَمْ سَطُورُ كِتَابٍ      دَرَسَتْ بِشَاشَتِهَا مَعَ الْأَحْقَابِ  
يَجْتَازُ زَائِرُهَا بَغِيرَ لُبَانَةٍ      وَيُردُّ سَائِلُهَا بَغِيرَ جَوَابِ<sup>(2)</sup>

فالبحتري يرى أن الذي يجتاز هذه الدمن، لا يحصل على حاجته، ومن يسألها لا يسعف بجواب، ولا أدري إن كانت عبارة (بغير لبانة) قد جاءت غير مناسبة؛ لأن كل زائر للديار لا بد أن يقضي لبانة من التذكر والشوق ومخاطبة الأهلين وغير ذلك، كما أن عبارة (يجتاز زائرها) أفادت المرور السريع، وهذا يتناقض مع تقليد الوقوف على الأطلال؛ فإن الشاعر يقف ويستوقف، بل ويطيل الوقوف، ولا يجتاز اجتيازاً.

[الكامل]

وفي موقع آخر يقول :

(1) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 274. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.  
(2) ديوان البحتري، 1 / 294.

دَمَنْ لَزِيْبَ قَبْلَ تَشْرِيدِ النَّوَى      مِنْ ذِي الْأَرَاكِ لَزِيْبٍ وَلَعُوبٍ

تَأْبَى الْمَنَازِلُ أَنْ تُجِيبَ وَمِنْ جَوَى      يَوْمَ الدِّيَارِ دَعَوْتَ غَيْرَ مُجِيبٍ<sup>(1)</sup>

هنا كان أقرب إلى وقفة الشاعر الحقيقية؛ فهو يعلم أن المنازل لا تجيب، لكنه

أصر من فرط جواه، وشدة ألمه وحزنه، وحرقة قلبه على أن يدعو من لا يجيب.

وفي مكان آخر يقول: [الكامل]

عَسَتْ دَمَنْ بِالْأَبْرَقَيْنِ خَوَالٍ      تَرُدُّ سَلَامِي أَوْ تُجِيبُ سَوَالِي<sup>(2)</sup>

هنا نفحة شعرية قريبة من وقوف الشاعر القديم؛ فهو حين وقف توقع من شدة

حبه وحنينه أن ترد سلامه، أو أن تجيب سؤاله، ولذلك استخدم كلمة (عسى) للرجاء

والأمل.

ولقد كانت الصورة أوضح، بل مباشرة في قوله: [البسيط]

مِيئُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحِييْهَا      نَعَمْ ، وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا<sup>(3)</sup>

هنا كانت غاية السؤال واضحة، فهو يسأل الدار عن بعض أهلها، وفي مقام آخر

يقول: [الطويل]

قَفِ العَيْسَ قَدْ أَدْنَى خَطَاهَا كَلَالُهَا      وَسَلْ دَارَ سَعْدِي إِنْ شَفَاكَ سَوَالُهَا<sup>(4)</sup>

فهو يسأل هنا على الطريقة التقليدية، ولم يظهر عما يسأل .

أما ابن الرومي، فكما عرفناه يحلل فكرته ويستقصيها، يقول: [مخلع البسيط]

حَيِّ المِعَاهِدِ وَالمَنَازِلُ      المَقْفَرَاتِ بِلِ الأَوَاهِلُ

(1) ديوان البحتري ، 245/1 . وذو الأراك: أو الأراكة: موضع فيه نخل لبني عجل في اليمامة . ينظر: حاشية الديوان ، 245/1 .

(2) نفسه ، 1701 /3 . والأبرقان : وهو مفرد الأبرق ، والأبرقان هما أبرقا حجر باليمامة ، وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رميلة الهوى للقاصد مكة . ينظر: ( الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، 66/1) .

(3) ديوان البحتري 2414/4 .

(4) نفسه ، 2414/4 . الكلال: التعب . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كلل) 1301 .



حَرَكَنَ شَجْوِكَ لَلسُّوَا (م) لِ ، وَمَا أَحْرَنَ جَوَابَ سَائِلٍ<sup>(1)</sup>

فالأطلال عنده مبعث للشجو والأسى، وهي لا تجيب من يسألها، وفي مقام آخر،

يوضح ابن الرومي عما يسأل، يقول: [الكامل]

هَلْ بِالْدِيَارِ سِوَى صَدَاكَ مُجِيبٌ      أَمْ هَلْ بَهَنَ عَلَى بُكَائِكَ مُثِيبٌ

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تُسَائِلَ دَارَهُمْ      عَنْهُمْ ، وَقَلْبُكَ فِيهِمْ مَجْنُوبٌ<sup>(2)</sup>

فهو يسأل الدار عن أصحابها، رغم أن قلبه كسير مريض بسبب هؤلاء الساكنين،

لذلك يعد سؤاله عنهم عجباً من العجب.

وقد اختلفت الحال مع الناشئ الأكبر<sup>(3)</sup>، حيث يقول: [الرمل]

يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ هَلْ مِنْ مُجِيبٍ      عَنْكَ يَشْفِي غَلِيلَ نَائِي الْمَزَارِ

مَا أَجَابَتْ وَلَكِنْ الصَّمْتُ مِنْهَا      فِيهِ لِلسَّائِلِينَ طَوْلٌ اعْتِبَارٌ<sup>(4)</sup>

فهو يبحث عن مجيب عن الدار، ليخبره عن أحوالها وأحوال من يسكنها، لكن

هذه الديار عيت عن الإجابة، ولزمت لصمت ليعتبر السائل عنها .

وفي مجال الحديث عما يثيره السؤال من ألم، يواصل ابن الرومي وصيته بأن لا

يسأل الإنسان هذه الدمن؛ لأنها عفت، ولا أنيس فيها، يقول: [الرمل]

لَيْسَ تُجَدِّي عَلَى الْمَسَائِلِ دَارٌ      غَيْرَ هَيْجِ السَّقَامِ بَعْدَ انْدِمَالٍ<sup>(5)</sup>

فالسؤال يورث الألم، ويجدد السقام .

(1) ديوان ابن الرومي ، 2031/5 .

(2) نفسه ، 232/1 ، ومجنوب : متوجع ومشتاق . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( جنب ) .

(3) الناشئ الأكبر: عبد الله بن محمد الأنباري ، شاعر مجيد ، عالم بالأدب والدين والمنطق . ( توفي 239 هـ ) . تنتظر ترجمة في: (

البغدادي ، تاريخ بغداد ، 92/10 ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 / 263 ، والزركلي ، الأعلام ، 118/4 )

(4) ديوان الناشئ الأكبر ، 146 ، المورد ، م 11 ، ع 2 ، 1982 .

(5) ديوان ابن الرومي ، 2054 / 5 .

#### 4- الآثار والدمن:

والمراد بها هنا بقايا متنوعة من آثار الراحلين، لا يمكن أن تصاحبهم في رحلتهم. وقد جاء الحديث عن الدمن في شعر الحنين لشعراء العصر العباسي الثاني على عدة محاور:

الأول: الحديث عن الديار الدائرة، والدمن البالية التي أصبحت خلاء من أهلها.

من ذلك قول البحتري:

[الكامل]

عند العَقِيقِ فماتلاتِ ديارِهِ      شجنٌ يزيدُ الصَّبَّ في استعبارِهِ  
دمن تناهب رَسْمَهَا حتى عفا      منها تعاقبُ رائحَ بقطارِهِ<sup>(1)</sup>

فهذه الدمن عفا رسمها واندثر بتعاقب الرياح والأمطار، وفي معنى الإفقار العام قال

ماني الموسوس<sup>(2)</sup>:

[المنسرح]

أَفْقَرَ مَعْنَى الدِّيارِ بالَنَجْفِ      وَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ لَطْفِ  
طَوَيْتُ عَنْهَا الرِّضَا مُدْمَمَةً      لما انطوى غَضُّ عَيْشِهَا الأَنْفِ<sup>(3)</sup>

وهنا لم يفسر ظاهرة الإفقار، إنما جاءت عرضاً. وفي الموضوع ذاته يقول

البحتري:

[الوافر]

أَلَمَّا يَكْفِ فِي طَلَّيْ زَرُودِ      بُكَائِكَ دَارِسَ الدَّمَنِ الهَمُّودِ  
وَلَوْمُ الرِّكَبِ أَنْ حَيَّيْتَ رَبْعاً      تَغْيِرَ بَعْدَ مَعْهَدِهِ الجَدِيدِ<sup>(4)</sup>

فالطلل دارس مندثر، بل هامد قد تغير وتبدل.

(1) ديوان البحتري ، 2 / 866 .  
(2) ماني الموسوس : محمد بن القاسم أبو الحسن ، شاعر من أهل مصر ، رحل إلى بغداد أيام المتوكل العباسي ، وكان من أطرف الشعراء وأطفهم . توفي ( 245 هـ ) . تنتظر ترجمته في : الأصفهاني ، الأغاني ، 23 / 158 ، وابن شاعر الكتبي ، فوات الوفيات ، 262 / 2 ، والصدفي ، الوافي بالوفيات ، 4 / 346 ) .  
(3) النجار ، إبراهيم ، شعراء عباسيون منسيون ، قسم 2 / ج 2 / 243 .  
(4) ديوان البحتري ، 2 / 680 . زرود : رمال بين الثعلبية والخزعية بطريق الحاج من الكوفة . ينظر : الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، 3 / 139 .

وقال أيضاً:

[الكامل]

دَمْنٌ تَقَاضَاهُنَّ إِعْلَالُ الْبِلْيِ هُوجُ الرِّيحِ الْبَادِيَاتُ الْعُودُ

حَتَّى فَنَيْنَ وَمَا الْبَقَاءُ لَوَاقِفٍ وَالدهرُ فِي أَطْرَافِهِ يَتَرَدَّدُ<sup>(1)</sup>

فهذه الدمن اعتورتها الرياح الهوج، وعادت عليها مرة ومرة حتى محتها، وهذه حال

الدهر. ومن ذلك قول ابن المعتز:

[الطويل]

كَأَنَّ لَمْ تَحَلَّ الدَّارَ شَرًّا وَأَهْلَهَا بَلَى ، ثُمَّ بَاتُوا فَهِيَ مِنْهُمْ بِلَاقِعُ

فَقَدْ بَلَيْتَ حَتَّى أَوَارٍ وَمَلْعَبٌ وَأَشَعْتُ مُغْبِرُ الْغَدَائِرِ خَاشِعٌ<sup>(2)</sup>

فالدمن بالية، أصبحت من أهلها بلاقع.

ولشدة إقفار الطلل عند البحر، تبدل بغيده وحشا، يقول:

[الكامل]

يَا عَارِضًا مُتَفَعًّا بِبُرُودِهِ يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ وَرَعُودِهِ

لَوْ شِئْتَ عَدْتَ بِلَادَ نَجْدٍ عَوْدَةً فَزَلْتِ بَيْنَ عَقِيْقِهِ وَزُرُودِهِ

لِتَجُودَ فِي رِبْعٍ بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى قَفْرٌ تَبْدَلُ وَحِشَهُ مِنْ غَيْدِهِ<sup>(3)</sup>

ويعلل ابن المعتز قفر الدمن بقوله:

[الطويل]

هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْهُمْ قَفْرٌ وَأَنْبَى بِهَا ثَاوٍ وَأَنْهَمُ سَفْرٌ

تَوَهَّمْتُ فِيهَا مَلْعَبًا وَأَوَارِيًّا وَنَوِيًّا كَدُورِ الطَّوْقِ يَلْتَمُهُ الْقَطْرُ<sup>(4)</sup>

واضح أن القفر كان بسبب هجران الناس لهذه الديار، وقد تعلق بأهداب البلاغة حين

توهم فيها عناصر الطلل المختلفة، من نوي وأواري.

(1) ديوان البحر، 1 / 627 .

(2) ديوان ابن المعتز، 1 / 512 .

(3) ديوان البحر، 2 / 693 .

(4) ديوان ابن المعتز، 1 / 116 . والأواري مفردتها آري وهو: محبس الدابة. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (أري)

ويتحدث أحمد بن أبي طاهر<sup>(1)</sup>، عن وحشة الطلل وقفره، يقول: [الكامل]

يا مَنْزِلًا لَعَبَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ      طَوْرًا يُفَرِّقُهُمْ وَطَوْرًا يَجْمَعُ  
أَيْنَ الَّذِينَ عَهْدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً      كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ  
أَصْبَحْتَ تَفْرَعُ مِنْ رَاكٍ وَطَالَمَا      كُنَّا إِلَيْكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَفْرَعُ<sup>(2)</sup>

فما أوحش هذا الطلل الذي أصبح يفزع الناس بعد أن كانوا يفزعون إليه، يلتمسون

الأنس والهناء.

الثاني: صورة بقايا الدمن، وقد رسم الشعراء صورة الدمن في ثلاث صور:

الصورة الأولى: صورة الوشي، ومن ذلك قول البحري: [الكامل]

لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ الرَّسُومِ بِمَنْعِجٍ      إِمَّا سَأَلْتَ مَعْرَجَ لِمَعْرَجٍ  
دِمْنٌ كَمَثَلِ طَرَائِقِ الْوَشِيِّ أَنْجَلَتْ      لِمَعَاتِهِنَّ مِنَ الرِّدَاءِ الْمُنْهَجِ<sup>(3)</sup>

فهذه الدمن ملونة مثل طرائق الوشي في الرداء البالي .

الصورة الثانية: صورة المطارف الملونة، كقول الحماني العلوي<sup>(4)</sup>: [مجزوء الكامل]

دَمَنْ كَانَ رِيَاضَهَا      يُكْسِينُ أَعْلَامَ الْمَطَارِفِ  
تَلْقَى أَوَاخِرَهَا أَوْ (م)      نَلْهَاهَا بِالْوَانِ الرَّفَارِفِ  
دُرِّيَّةَ الْحَصْبَاءِ كَمَا (م)      فَوْرِيَّةً مِنْهَا الْمَشَارِفِ<sup>(5)</sup>

(1) أحمد بن أبي طاهر طيفور: مؤرخ من الكتاب البلغاء، له: بلاغات النساء، وله شعر قليل، توفي (280 هـ). ينظر ترجمته في: المسعودي، مروج الذهب ومعاون الجواهر، 381 / 2، والحموي، ياقوت، معجم الأدباء، 1 / 156.

(2) القيسي، نوري حمودي، أربعة شعراء عباسيون، 313. ديوان البحري، 399 / 1. ومنعج: واد لبني أسد كثير المياه. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 5 / 213. المنهج الرداء البالي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نهج).

(3) الحماني العلوي: علي بن محمد، شاعر من الشعراء المجيدين، نزل الكوفة في بني حنّان، وينسب إليهم، توفي (262 هـ). تنظر ترجمته: البكري، سمط اللالي، 630 / 2، والحمودي، التذكرة الحمدونية، 224 / 2.

(4) المطارف: الثياب الموشاة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرف).

(5) الرفارف: الثياب الرقيقة. ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (رفف). المشارف: أعالي الأرض. ينظر، نفسه، مادة (شرف). تنظر الأبيات في: ابن المرزبان، الحنين إلى الأوطان، ص 164. المورد، م 16 / ع 1 / 1987.

فصورة هذه الدمنة ملونة، كأنها كُسيَتْ بالثياب المزركشة، والألوان الربيعية الجميلة، وهذه الصورة نادرة في الحديث عن الدمن التي توصف عادة بالاندثار وليس بالألوان والزركشات.

**الصورة الثالثة:** صورة سطور الكتاب، وقد جاء هذا في قول البحتري: [الطويل]

أرسوم دارٍ أم سطورُ كتابٍ      درستُ بشاشتُها مع الأحقاب<sup>(1)</sup>

وهذه الصورة أكثر الشعراء من طرقها على مختلف العصور.

**الثالث:** النَّوْيُ والأَثَافِي:

وردت كلمة النَّوْيِ مرات كثيرة في نصوص الحنين ، منها قول البحتري:

[الطويل]

لها منزلٌ بين الدَّخُولِ فتوضح      متى تره عين المتيمِّ تسفحُ

عفا غير نوي دارس في فئائه      ثلاثُ أثافٍ كالحمامِ جُنَّج<sup>(2)</sup>

فالنَّوْيُ دارس لكنه لم يرسم بطريقة فنية، لكن ما يلفت الانتباه هو الأَثَافِي، حيث

شبهت بالحمام، ولعل التشبيه جاء من اجتماعها، ومن لونها الأسود.

ومنها قوله أيضاً: [الكامل]

لم يبق في تلك الرسوم بمنهج      إما سألت معرَجَ لمعرجِ

آثار نوي بالفناء مُتَّلمٌ      ورمام أشعث بالعراء مُشَجَّج<sup>(3)</sup>

فالنَّوْيُ هنا متتلم بفعل القدم.

ومنها قول ابن المعتز عندما توهم آثارا وأطلالا في ديار الأحبة: [الطويل]

(1) ديوان البحتري ، 1 / 294 .

(2) نفسه ، 1 / 450 .

(3) نفسه ، 1 / 399 .

توهّمت فيها مَلْعَباً وأُورِيّاً ونوياً كدَوْر الطوق يَلْثمه القَطْرُ<sup>(1)</sup>

ومن الأمثلة على الأثافي قول البحتري السابق، حيث شبهها بالحمائم - والثاني في

قول ابن المعتز: [الطويل]

فقد بَلِيَتْ حتى أوارٍ وملعبٌ وأشعثٌ مغبرٌ الغدائر خاشعٌ

وإلا أثافٍ كالحمام رُكِّدٌ كأن الرمادَ يَبْتَهُنَّ ودائع<sup>(2)</sup>

وهي صورة مرتبطة بالحمائم، لكن الحمام ركد في صورة من يحافظ على

الوديعة، وهذا يمثل إحاطة الأثافي بالرماد.

ولعل قلة ورود النووي والأثافي، إنما كان لبعد هؤلاء الشعراء عن مضارب البادية،

التي تكون فيها مثل هذه العناصر من عناصر الطلل، ولكن يطالعنا الناشئ الأكبر بعناصر

جديدة لطلله، هي عناصر حضارية، إذ يقول: [الرمل]

قد لهونا بها زماناً وحيناً ووصنا الأسحارَ بالأسمارِ

بين وردٍ ورجسٍ وخزامى وبفقسٍ وسوسنٍ وبهارِ

وأقاحٍ وكل صنف من النُّوِّ (م) رِ الشهيِّ الجنيِّ ومن جُنَّارِ<sup>(3)</sup>

فهذه عناصر حضارية تجتمع فيها الموسيقى بأصناف الورد والأزهار، وكل صنف من

النوار.

## 5- البرق والرعد والمطر والريح:

من المعلوم أن كثيرا من مظاهر الطبيعة، عوامل تحمل مع الرحمة بعض الأذى؛

فالبرق يبشر بالمطر، وقد يخطف الأبصار، ومن ذلك قوله تعالى: "يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ

(1) ديوان ابن المعتز ، 117/1.

(2) نفسه ، 512/1 .

(3) ديوان الناشئ الأكبر ، 163 ، المورد ، م 11 ، ع 1 ، 1982 .

بِالْبَصَارِ<sup>(1)</sup>، والرعد فيه أمل بالغيث وخوف من الصواعق، وفي ذلك يقول سبحانه: "هُوَ  
الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ"<sup>(2)</sup>، والريح تأتي مبشرة برحمة الله  
تعالى، ومن ذلك قوله سبحانه: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ"<sup>(3)</sup>، لكنها قد تؤذي  
الإنسان، وتقتلع الأشجار، ومن ذلك قوله سبحانه: "إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ  
نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ"<sup>(4)</sup>.

وقد تناول الشعراء في حنينهم للأطلال، هذه العناصر الطبيعية، فالبرق من ديار

الأحبة باعث للحنين، كما في قول البحتري:

[الطويل]

متى لاح برق أو بدا ظلّ قفرُ جرى مستهلّ لا بكى ولا نزر<sup>(5)</sup>

وكذلك هو باعث للشوق والحنين في قوله:

[الطويل]

رأى البرق مجتازاً فبات بلائباً وأصابه من ذكرِ البخيلة ما يُصبي

وقد عاج في أطلالها غيرَ ممسكٍ لدمعٍ ، ولا مُصنغٍ إلى عدلِ الركب<sup>(6)</sup>

وهي أيضاً باعث للحنين كما في قوله:

كلما أومض برقٌ أو سرى نسّم ريحٍ أو ثنى عطفاً ثنى

كلفتني أريحيات الصبّا طلقاً في الشوق ممتدّ السنى<sup>(7)</sup>

والبرق عند ابن دريد باعث للحنين أيضاً، كقوله:

[الوافر]

أمن نحو العقيق شجاك برقٌ كأنّ وميضه رجعُ الجفون

(1) النور ، 43 .

(2) الرعد ، 12 .

(3) الروم ، 46 .

(4) القمر ، 19 .

(5) ديوان البحتري، 843/2 . وبكي: قليل. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (بكأ) . ونزر: القليل التافه. ينظر، ابن منظور، لسان

العرب ، مادة ( نزر ) .

(6) ديوان البحتري ، 104/1 .

(7) نفسه، 2153/4 .

أياً برق العقيق أقم فما لي سواك على الصبابة من معين<sup>(1)</sup>

وصورة البرق عند ابن المعتز، صورة جميلة، كأنه في لمعانه مصحف في يد

قارئ، يفتحه ويطبقه، يقول: [المديد]

من رأى برقاً يضيء التماحا ثقب الليل سناه فلاحا

وكان البرق مصحف قار فانطباقاً مره وانفتاحاً<sup>(2)</sup>

ولم يرد الرعد كثيراً في حنين الشعراء إلى الأطلال، بل جاء عرضاً في سياق

الحديث عن رحلة المطر، كقول البحتري: [الكامل]

يا عارضاً متلفعاً ببروده يختال بين بروقه ورعوده

لو شئت عدت بلاد نجد عوده فنزلت بين عقيقه وزروده

لتجود في ربع بمنعرج اللوى قفر تبدل وحشه من غيده<sup>(3)</sup>

فهذه صورة جميلة لهذا السحاب المتبختر في برقه ورعده، يرجوه الشاعر أن

ينزل بين العقيق وزرود ليجود على الربع من مائه الفياض.

وقد كان البحتري يجمع كثيراً بين العناصر الثلاثة: البرق والرعد والمطر، ومن

ذلك قوله: [الكامل]

فإذا تحمّل من تهامة بارقاً لجبّ تسير مع الجنوب زحوفه

صخب العشي إذا تألق برقه ذعر الأجادل في السماء حقيقه

فسقى اللوى لا بل سقى عهد اللوى أيام نرتبع اللوى ونصيفه<sup>(4)</sup>

(1) ديوان ابن دريد، 110.

(2) ديوان ابن المعتز، 460/1.

(3) ديوان البحتري، 693/2.

(4) نفسه، 1470/3. والأجادل: الصقور. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جدل).



فهذا السحاب المزدهم المليء بالمياه، تحمله رياح الجنوب، فإذا لمع برقه خافت

منه الصقور في السماء.

ومنه قوله: [الكامل]

دَمَنْ تَنَاهَبَ رَسْمَهَا حَتَّى عَفَا      فِيهَا تَعَاقِبُ رَائِحَ بَقَطَارِهِ

بَاتَتْ وَبَاتَ الْبَرَقُ يَمْرِي عَوْدَهُ      فِيهَا وَيَنْتِجُ مَثْقَلَاتِ عِشَارِهِ<sup>(1)</sup>

فالمطر وتعاقبه محا رسم الدار، والبرق يساعد في سقوط المطر، كما تدرُّ الناقاة

لبنها. أما المطر، فقد تناول الشعراء الأمطار، مركزين على أثر المطر التدميري أكثر من

تركيزهم على أثره النمائي، وذلك لأنهم يتحدثون عن طلل دارس، ساعدت الأمطار في

محو آثاره، من ذلك قول ابن المعتز: [الخفيف]

أَيُّ رَسْمٍ لآلِ هِنْدٍ وَدَارِ      دَرَسَا غَيْرَ مَلْعَبٍ وَأُوَارِي

سَحَقَتَهَا الرِّيحُ فِي كُلِّ فَنٍّ      وَمَحَّتْهَا بَوَاكِرُ الْأَمْطَارِ<sup>(2)</sup>

فالمطر محا معالم هذا الطلل.

ومن ذلك أيضاً قوله: [الوافر]

أَلَمْ تَحْزَنْ عَلَى الرَّبْعِ الْمُحِيلِ      وَأَثَارِ وَأَطْلَالِ مُحَوَّلِ

عَفَتَهُ الرِّيحُ بَعْدَكَ كُلِّ يَوْمٍ      وَجَالَتْ فِيهِ أَفْرَاسُ السَّيُولِ<sup>(3)</sup>

فقد جعل الطلل كأنه ملعب، وجعل السيل كأنه خيول غيرت معالم هذا الملعب

بحركاتها في جولاتها. ويقول أيضاً: [البسيط]

(1) ديوان البحري، 866/2. ويمري: يحلب بمسح الضرع للحلب. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (مري) وعوذة: العوذ: حديثات النجاج من الإبل والخيل، ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (عوذ)، والعشار: النوق. التي أتى عليها عشرة أشهر وينتظر نتاجها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عشر).

(2) ديوان ابن المعتز، 38.

(3) نفسه، 166/1.

هاجَت بكاءك بعد الصبر منزلةً عَفَت معالمها الأمطارُ والمُورُ<sup>(1)</sup>

فالسحب والأمطار غيرت معالم الطلل، ويقول أيضاً:

لمن دارٌ وربُّعٌ قد تعفَى بنهر الكرخ مهجور النواحي

إذا ما القطرُ حلَّاه تلاقَت على أطلاله أيدي الرياح

مناه كلُّ هطالٍ مُلِحٍ بوبلٍ مثل أفواه الجراح<sup>(2)</sup>

فهذا المطر هطال ومتواصل ووابل، متدفق كالجروح الفاغرة، محا آثار الطلل.

أما الرياح، فهي مقرونة بالأمطار، وقد تحدث الشعراء كثيراً عن آثارها المدمرة، ومنها

ما ورد في نصوص ابن المعتز السابقة، حيث تعاود الطلب أيدي الرياح مرة، وسحقتها

الرياح مرة أخرى. وتحدث ابن الرومي عن دور الرياح في تدمير الأطلال. يقول:

[ مجزوء الكامل ]

أشجبتك أطلالٌ نحو (م) لة كالمهراقِ دُرْسُ

أودت بهن الباكيا (م) ت الضاحكات الرُّجْسُ

والعاصفات القاصفا (م) ت المُعصِراتُ الرُّمَسُ<sup>(3)</sup>

والرياح تعبت في الطلل عند البحترى، يقول:

يا دمنة جاذبتها الريحُ بهجتها تبيتُ تنشرُها طَوراً وتطويها<sup>(4)</sup>

فلا يدري الإنسان هل هذه الرياح تساعد في إبراز جمال هذه الدمنة، أم أنها

غيرتها وساعدت في محو آثارها؟

لكن الريح عند البحترى في مكان آخر، أصبحت إحدى سكان الطلل، يقول:

(1) ديوان ابن المعتز ، 296/2، والمور: الغبار الذي تثيره الرياح. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (مور).

(2) ديوان ابن المعتز ، 72/1 .

(3) ديوان ابن الرومي، 1193/3 والرسم: التي تدفن الأثار. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (رسم).

(4) ديوان البحترى ، 2414/4.

منازل أضحت للرياح منازلًا تردد فيها بين نُوي ورمديد<sup>(1)</sup>

لكنها عند ابن المعتز وسيلة لحمل ريح طيبة مسكية النثر من أطلال المحبوبة،

كما يبدو في قوله:

ويُكسِبُ الريحَ من أرجائها عَبَقًا كأنَّ نَفْحَتَهُ مِسْكٌ وكافور<sup>(2)</sup>

## 6- الحيوان:

جرت عادة الشعراء أن يتناولوا في حديثهم عن الأطلال، الحيوان الذي له علاقة

بالطلل، وكان حديث الشعراء في اتجاهين:

الأول: وصفهم للراحلة التي بلغتهم الطلل، فهي الناقة القوية الشديدة الصابرة على

التعب والسفر والعطش والجوع.

الثاني: الحيوان الذي عمر الطلل بعد رحيل أهله، ومنه:

الغزلان، والبقر الوحشي، والطيور، والزواحف المختلفة، وهذا من طبيعة

الصحراء. أما الحال عند شعراء العصر العباسي الثاني، فالأمر مختلف؛ ففي حديثهم عن

الراحلة لم يتعرض هؤلاء الشعراء إلى الرواحل في بكائهم على الأطلال، وحينهم إليها

بشكل واسع فالبحتري تحدث في نص عن ناقته، مع أنه يكثر من المطالع الطللية، يقول:

[ البسيط ]

أَسْنَدُ صُدُورِ الْيَعْمَلَاتِ بِوَقْفَةٍ فِي الْمَائِلَاتِ كَأَنَّهُنَّ الْمُسْنَدُ

دَمْنٌ تَقَاضَاهُنَّ إِعْلَانِ الْبَلَى هُوَجُ الرِّيحِ الْبَادِيَاتِ الْعُودُ<sup>(3)</sup>

(1) ديوان البحتري، 771/2 والرمديد: رماد كثير ودقيق، متناه في الاحتراق والدقة ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (رَمَد).

(2) ديوان ابن المعتز، 296/2.

(3) ديوان البحتري، 627/1. واليعملات: النجيبات المطبوعات على العمل ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عَمَل).

جاء الحديث عن الناقة عرضياً لتتلاءم مع وقفته عند الطلل، مستخدماً أحد  
أوصاف الناقة (اليعملة) وهي الشديدة السريعة القوية، وآخر لابن الرومي، لم يزد فيه على  
أن أوقف الراحلة في الطلل، يقول:

[ مجزوء الكامل ]

فابعث بهنَّ من الدُّمو (م) ع وقفَ بهنَّ من الرواحل<sup>(1)</sup>

وما عدا ذلك لم يتحدث أحد عن راحلته، فيما استقرأت من نصوص ولعل ذلك  
لأنهم سكان حضر، وجاءت وقفتهم على الطلل نوعاً من التقليد، وبخاصة في الحديث عن  
الأطلال الدوارس، والنؤي، والأثافي، وأوتاد الخيام، إذ لا وجود لهذه الأشياء في  
الحواضر.

أما الصنف الثاني من الحيوان الذي ورد في شعر الحنين، فكان الحمام على  
رأسها، وقد جاء دائماً على صورة المثير للحنين؛ فهديله يبعث في نفس الشاعر الشوق  
والحنين إلى ديار الأحبة وساكنيها، فهذا البحتري يتساءل:

[ الرمل ]

ما يريد الحمام في كلِّ وادٍ من عميد صبِّ بغير عميد؟

كلما أحمَدتْ له نارُ شوقٍ هجَّنها بالبكاء والتغريد<sup>(2)</sup>

فالحمام يهيج لتغريده وبكائه، شوق الشاعر الصب العميد، كلما حاول أن ينسى تلك

[ الكامل ]

الديار . وفي المعنى ذاته يقول ابن المعتز:

الدار أعرفها رباً وربوعاً لكن أساءَ بها الزمانُ صنيعاً

فبكِيتُ من طربِ الحمامِ غُدوةً يدعو الهديلُ وما وجدنَ سميعة

ساويتهنَّ بنوحه وتوجَّعِ وفضلتُهُنَّ تنفَّساً ودُموعاً<sup>(3)</sup>

(1) ديوان ابن الرومي، 5/2031.

(2) ديوان البحتري، 1/632.

(3) ديوان ابن المعتز، 1/134.

فالحمام أثار في طربه حزن الشاعر، ففاح وتوجع وبكى، لكن زاد على الحمام في

الدموع والآهات. وفي المعنى نفسه أيضا يقول ماني الموسوس: [ المنسرح ]

أَفْقَرَ مَغْنَى الدِيَارِ بِالنَّجْفِ      وَحُلْتُ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ لَطْفِ  
... مَدْنَفٍ عَادَ فِي النُّحُولِ مِنَ الْوَجْدِ      (م)      دِإِلَى مِثْلِ رِقَّةِ الْأَلْفِ  
يُشَارِكُ الطَّيْرَ فِي النُّحَيْبِ وَلَا      يَشْرِكُهُ فِي النُّحُولِ وَالْقَضْفِ<sup>(1)</sup>

فالشاعر يثيره الطير، فيبكي معه لكن الطيور لا تشاركه في نحوله وهزاله، بسبب الألم والشوق، فقد زاد على الطيور في هذا الجانب. هكذا تكون صورة الطير بعامة، والحمام بخاصة مبعثا للشوق والحنين، وحافزا للبكاء والتذكر، يصفها الشعراء تارة بأنها تغني وتارة تبكي، وما ذلك إلا تقديرا من الشعراء فقط، إذ لا يعرف الحمام إن كان يغني أم يبكي، وما أجمل ما قال في ذلك فيلسوف الشعراء، وشاعر الفلاسفة أبو العلاء المعري:

[ الرمل ]

أَبَكْتُ تَلُكُمُ الحَمَامَةَ أَمْ غِنْدُ      (م)      نَتُّ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا المِيَادِ<sup>(2)</sup>.

وقد كان لحيوان الطلل التقليدي ذكر لدى ابن الرومي، فهو يتحدث عن الغزلان، وبقر

[ المتقارب ]

الوحش، يقول

سُقَيْتُنْ يَا مَنْزِلَاتِ الهَوَى      بوادي الشَّرِيحَةِ صَوْبَ الحَيَا  
وَلَا زَالَ مَسْرُحُ غَزَلَانِكُنَّ      مَرِيْعَ المَحَلَّةِ وَالْمُنْتَأَى<sup>(3)</sup>

(1) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2 / ج 2 / 243 والقَضْف: الضعف والهزل والنحول. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قَضْف).

(2) سقط الزند، 7.

(3) ديوان ابن الرومي، 1/124 وادي الشريحة: لم أعثر في كتب المعاجم على وادٍ بهذا الاسم.

فهو يدعو لهذه المنازل أن تسقى بماء الغيث، وأن يبقى مسرح الغزلان فيها نضرا،

تألفه تلك الغزلان، وفي مكان آخر يقول: [ مجزوء الكامل ]

أشجبتك أطلالاً نحو (م) نة كالمهراق درس

ما إن بها إلا الجأ (م) ذر والطباء الكنس<sup>(1)</sup>

فهذه الدمنة الدارسة التي مسحت معالمها الأمطار والرياح، لم يبق فيها إلا البقر

الوحشي، والطباء في كنسها.

هذه هي أنواع الحيوان التي شملها حديث شعر الحنين إلى الأطلال، فيما اطلعت عليه

من نصوص، وهي في مجملها موضوعات تقليدية، إلا ما كان من أمر الحمام؛ فإن إنكاه

للشوق والحنين لا يتغير مع الزمان.

## 7- البكاء على الأطلال:

ظاهرة البكاء على الأطلال قديمة قدم الوقوف عليها، وقد اقترنت دائما بلوم اللائمين

على هذا البكاء.

"وعبر الشاعر العاشق عن حنينه لأيام الشباب والصبا وهو واقف على الأطلال ببكاء

الديار، والنحيب فوق معالمها الدارسة، ونؤيها المهدم"<sup>(2)</sup>.

والشعراء حينما يذكرون منزلاً معيناً لا يحنون إليه، إنما يحنون لأن المنزل يذكرهم

بالتجربة التي عاشها هؤلاء الشعراء وعانوها، إضافة إلى المكان المحسوس الذي يجسد اللقاء،

وكون هذا المكان جزءاً لا يمكن إغفاله من حياة الشاعر. وهذا المنزل جزء من وطن أكبر

وأشمل، لذلك فإن البكاء يعني البكاء على الوطن جميعه. ويظل البكاء متنفس الشعراء من

(1) ديوان ابن الرومي، 1193/3.

(2) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 286. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

معاناتهم، وباعثاً لهم على الحنين والشوق والتوقان، ولعله في ذلك لا يبكي حاضره، "إنما يبكي ماضيه الذاهب، وعزّه المفقود، الذي ترمز له بقايا الديار المتمثلة في الأطلال الدارسة، والرسوم العافية"<sup>(1)</sup>.

ويعد البحري إمام البكائين على الأطلال في هذا العصر، وبخاصة أنه يكثر في قصائده المدحية بالذات من الوقوف على الأطلال.

والبكاء قمة الحنين؛ إذ لا يبكي الإنسان إلا إذا غلبته العاطفة، فيستريح إلى العبرة، ويرتاح إلى الزفرة، فالبكاء يهون عليه المصيبة، وإن كان لا يعيد ما قد مضى، وما أجمل ما عبر به ابن الرومي عن ذلك في رثاء ولده، حين قال مخاطباً عينيه:

[ الطويل ]

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يُجدي فجودا فقد أودى نَظيرُكُما عندي<sup>(2)</sup>

فهاهو البحري طوراً يلوم نفسه على البكاء على رسم دارس، يقول: [ الوافر ]

ألما يكف في ظلِّي زرُودٍ بكاؤك دارسَ الدمنِ الهُمودِ<sup>(3)</sup>

وطوراً يبكي ظللاً لرؤية ظلل آخر، أي كان الظل مثيراً للحنين والبكاء على ظل

[ الكامل ]

آخر، يقول:

أوَ ما كفانا أن بكينا غُرباً حتى شجانا بالمنازلِ ثمَّهْدُ<sup>(4)</sup>

والأطلال هي دائماً مبعث بكائه، يقول البحري: [ البسيط ]

وربما استدعت الأطلالُ عِبرَتَهُ وشاقَّةُ البرقِ من نجدٍ إذا لمحا<sup>(5)</sup>

(1) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 286. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

(2) ديوان ابن الرومي، 624/2.

(3) ديوان البحري، 680/2.

(4) نفسه 627/1. و غُرب: اسم جبل دون الشام في ديار بني كلب. ينظر الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 192/4، و ثمهد: موضوع في

ديار بني عامر. ينظر، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 89/2.

(5) ديوان البحري، 440/1.

في هذا تقليل من عامل الإثارة، حيث استخدم كلمة (ربما)، لكنه كان في النص الآتي

مثيرا حقيقيا للبكاء، يقول: [ الطويل ]

وما انفك رسمُ الدارِ حتى تهَلَّلتِ دموعي وحتى أكثرَ اللومَ صاحبي<sup>(1)</sup>

وهو يتجول في هذا الطلل، دموعه ساربة على خديه، يقول: [ الطويل ]

وقد عاجَ في أطلالها غيرَ ممسِكٍ لدمع ولا مُصنَعٍ إلى عدلِ الركبِ<sup>(2)</sup>

وقد بالغ في جمال تعليقه للبكاء لمن يعذله عليه، فقال: [ الرمل ]

عرجوا فالدموعُ إن أبك في الربِّ (م) مع دموعي والاكْتئابِ اكتتابي<sup>(3)</sup>

أما ابن الرومي، فهو يأمر نفسه بالبكاء، بعد أن أمرها بتحية الطلل، يقول:

[مجزوء الكامل]

حَيِّ المعاهدَ والمنازلَ المقفَّرات بل الأواهِلُ

فابعث بهنَّ من الدمو (م) ع وقِفْ بهنَّ من الرواحل<sup>(4)</sup>

أي أنه يريد تحية الطلل المقفر أمامه، إلا أنه مليء في خياله كما عهده قبل رحيله .

أما ابن المعتز، فيقول: [ الطويل ]

هي الدارُ إلا أنها منهم قفَرُ وأنِّي بها ثاوٍ وأنهم سفَرُ

حبستُ بها لحظي وأطلقتُ عبرتي وما كان لي في الصبر لو كان لي عُذْرُ<sup>(5)</sup>

فما أجمل هذا الموقف، حيث حبس نظره على الأطلال، ويطلق دموعه ليعبر عن شوقه

وحينه بالدموع. لكن المنطق والجدل والحجة تنتزى من كلمات الشطر الثاني من البيت ذاته.

(1) ديوان البحتري ، 371/1 .

(2) نفسه، 108/1 .

(3) نفسه، 104/1 .

(4) نفسه، 83/1 .

(5) ديوان ابن المعتز، 116/1 .



وهناك ملمح آخر في موضوع البكاء، فكثيراً ما يطلب الشاعر من صديقه أن يبكي معه، لكن صديق البحتري بكى وحده عندما بعثت الأطلال حنينه وشجونه.

يقول: [ الكامل ]

شَجَّتْ صَاحِبِي أَطْلَالُهَا فَتَهَلَّلْتُ      مَدَامَعُهُ فِيهَا وَمَا قُلْتُ أُسْعِدُ<sup>(1)</sup>

فقد بكى صاحبه دون أن يطلب منه الشاعر مساعدته في البكاء، ومجاملته في هذا الموقف، بل كان البكاء من الصديق عندما شاهد هذه الأطلال.

وهناك ملمح آخر لدى ابن الرومي، هو أن البكاء متبادل بينه وبين الطلل، يقول: [الكامل]

دُرُوساً بَرَاهُنَّ الْبَلَى بَرِي الضَّنَا      جَسْمِي لَبِينِ قَطِينِهَا الْمَتَحَمِّلِ

فَلَوْ اسْتَطَاعَتْ إِذْ بَكَيْتُ دُثُورَهَا      لَبَكَّتْ نَحُولِي بِالدَّمُوعِ الْهَمَلِ<sup>(2)</sup>

لكنه كعادته في فلسفة الأمور، واستخدامه المنطق، يرى أن الدموع لا تنفع، يقول:

[الرمل]

طُلَّ دَمْعٌ هُرَيْقٌ فِي الْأَطْلَالِ      بَعْدَ إِقْوَانِهَا مِنَ الْحُتَالِ

فَانصَرَفًا عَنِ الْوُقُوفِ عَلَيْهَا      إِنَّهَا مِنْ مَوَاقِفِ الضُّلَالِ<sup>(3)</sup>

(1) ديوان البحتري، 771/2.

(2) ديوان ابن الرومي، 2035/5.

(3) نفسه، 2054/5.

## 8- لوم اللاتمين:

دائماً ما يأتي اللوم بعد البكاء والزفرات وإراقة الدموع على الطلل الدارس، فيأتي اللاتمون: فمنهم من يكون حريصاً على الشاعر، ولا يريد أن تذهب نفسه على الطلل حسرات، ومنهم من يقنعه بالحجة قائلًا: إن البكاء لا ينفع.

واللاتمون على البكاء أصناف: فمن العذل عذل عام يعرف مصدره، ومنه قول

البحثري: [ البسيط ]

كم من وقوفٍ على الأطلالِ والدّمَنِ لم يشفٍ من بُرحاءِ الشوقِ ذا شجنٍ  
بعضُ الملامةِ إن الحُبَّ مغلبةٌ للصبرِ ، مَجْبُةٌ للبتِّ والحَزَنِ (1)

فحبه لهذه الديار وساكنيها، وشوقه إليهم، وحنينه الدائم يغلبه على نفسه، ولا يقف

الصبر أمامه، لهذا يستريح إلى البكاء، فلا داعي لكل هذا اللوم وهذه المعتبة.

واللوم أيضا يأتي بصورته العامة في قوله: [ الرمل ]

لا أرى بالعقيقِ رسماً يجيبُ أسكنتِ آيةُ الصبَا والجنوبُ؟  
واقفٌ يسألُ الدارَ وعذُلُ في سؤالِ الدارِ أو تأنيبُ (2)

فقد تجاوز اللاتمون اللوم والعذل إلى التأنيب؛ لأنه يسأل ديارا محت آياتها ريح الصبا

والجنوب، وأنى لهم أن يحسوا ما يحسه الشاعر، إذن فلن يستمع إليهم.

وأحيانا يأتي العذل واللوم من عذول واحد، لكنه مجهول، يقول ابن المعتز: [المديد]

ظلّ يلحاه العذول ويأبى في عنانِ العذُلِ إلا جماحاً (3)

(1) ديوان البحتري، 2158/4.

(2) نفسه، 355/1.

(3) ديوان ابن المعتز، 460/1.

فقد صور نفسه حصانا جامحا مربوطا بعنان من اللوم، لكنه لن يستكين لهذا الزمان، بل سيبقى جامحا يتمرد على كل عدل، ولا يستمع إلى أي لوم.

وقد يأتي العذل من صاحب، وفي ذلك يقول البحتري: [ الطويل ]

وما انفك رسمُ الدار حتى تهلتت      دموعي، وحتى أكثرَ اللومَ صاحبي  
وقفنا فلا الأطلالُ ردتْ إجابةً      ولا العذلُ أجدى في المشوقِ المُخاطبِ<sup>(1)</sup>

فمع أن اللائم هو صاحب، ومع أن اللوم كثير، إلا أن العذل لم يجد، وكيف يجدي والشاعر مشوق يتنازعه الحنين، ويجذبه الطلل.

وقد يكون اللوم من الركب، وهذا أبلغ في النهي، وأزجر للشاعر، ولكن هل يرعوي

الشاعر؟! يقول البحتري: [ الطويل ]

وقد عاجَ في أطلالها غيرَ ممسِكٍ      لدمع ولا مُصنَعِ إلى عدلِ الركبِ  
وكنتُ جديراً حينَ أعرفُ منزلاً      لآلِ سُلَيْمِي أن يُعنفني صَحْبِي<sup>(2)</sup>

فلا مجال، بل ولا أمل لأن يستمع لهؤلاء الركب وهم أصحابه؛ لأن باعث الحنين والألم والبكاء دار سليمان، إذن فليلوموه، وليعنفوه ما شاؤوا.

## 9- معاناة الشاعر وأمه لدى وقوفه بالطلل:

تحدث الشعراء عما يبعثه الطلل في نفوسهم، من ذكرى للمحبيب، وما يبعثه فيهم

من شوق إليه مما أبكاه .

وقد عبر الشعراء عن آلامهم الجسمية والنفسية، فمن ذلك قول البحتري: [ الطويل ]

وإني لتثنيبي الصابئةُ والأسى      إلى كمدٍ مُضنٍّ وشوقٍ مُبرِّحٍ<sup>(3)</sup>

(1) ديوان البحتري، 108/1.

(2) نفسه، 104/1.

(3) نفسه، 450/1.

فالشوق والحنين يسببان له الألم المضني، والعذاب الشديد، ويقول ابن الرومي: [ الطويل ]

إذا ما قضيتُ اليومَ لم أبكِ عَهْدَهُ وَأَخْلَفْتُ أَدْنَى مِنْهُ ظِلًا وَأَمْنَعَا

فأصبحتُ أقتصَّ العهودَ التي خَلَّتْ بِأَهَةِ مُحَقَّقٍ بِأَنْ يَتَفَجَّعَا<sup>(1)</sup>

فهذه الآهة لا تصدر إلا من متفجع متألم، فما بالك بأهة تصدر من ابن الرومي؟! أما

ابن المعتز فقد جمع الدمع مع الألم، يقول: [ الطويل ]

أهاجك أم لا بالدويرة منزلٌ تجدُّ هبوبُ الريح فيه وتَهْزُلُ

قضيتُ زِمَامَ الشوقِ في عَرَصَاتِهِ بِدَمْعٍ مُخْلِى فُوقَ وَجْدِي يَهْطَلُ<sup>(2)</sup>

فهو يتحدث عن الوجد، والألم النفسي، ولا شك أن الألم النفسي يفوق دائما الآلام

الجسدية.

## 10- الدعاء بالسقيا:

كانت حياة البدوي في الجزيرة العربية الجذباء المقفرة، تعتمد على الماء والزرع، يرتحل إليها أينما وجدها، ويعود إلى وطنه وبيئته التي نشأ فيها، وما ذاك إلا لتمسكه ببيئته وطناً لا غنى له عنه.

ولعب الماء دوراً مهماً في ارتحال البدوي وحلّه، فإن نزل تخضرت الأرض وتخصب وتحيا هي ومن فيها، وإن انقطع عنها أجدبت وأقفرت، وانعدمت الحياة عليها، ومعروف أن حياة البدوي وحيوانه تعتمد على الرعي الذي يعتمد على الماء، ومن أجل ذلك كثرت رحلاتهم بحثاً عن الماء والكلاء، إلا أنهم كانوا لا يستمرون في الإقامة خارج ديارهم، إذا عادت إليها الحياة بالماء والخضرة<sup>(3)</sup>.

(1) ديوان ابن الرومي، 1473/4.

(2) ديوان ابن المعتز، 162/1.

(3) ينظر: الرجبى، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 278. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

ويظل الشاعر المغترب مخلصاً لوطنه، وقيماً له، حاناً إليه، يدعو له بالخير والسعادة والحياة، لذلك فإنه يدعو له بالسقيا كي يبقى مخضراً، فيه مقومات الحياة كلها، ولعل في حياته واخضرارها، أمل له في العودة إلى ديار الأحبة والأهل، لأن توقان النفس إلى ديارها من كرامة الإنسان وعشقه لوطنه ومَنْ حلَّ به. "ومن هنا يعدّ الدعاء بالسقيا للديار، وسيلة من وسائل الحنين، ومعنى من معانيه"<sup>(1)</sup>. ويرى زكي مبارك أن الشعراء "يقرون الحنين إلى معاهدهم بالدعاء لها بالسقيا وتراوح النسمات"<sup>(2)</sup>.

وقد كان هذا الدعاء بالسلامة والسقيا، ولم أجد الدعاء العام بالسلامة، إلا في نص لابن

الرومي، منه: [ الطويل ]

ألا اسلمي يا دارُ من دارٍ      تهيجُ أطرابي وأذكارِي  
وقد أراها فأقول اسلمي      لجمع آرابي وأوطاري<sup>(3)</sup>

أما باقي الدعاء، فقد كان بالسقيا، فمنه ما جاء مناشدة للغيث، كقول البحتري: [ الطويل ]

أنشدُ الغيثِ كي تهمي غواديه      على العقيقِ وإن أفتت مغانيه<sup>(4)</sup>

ومنه ما كان طلب السقيا للعهد الذي كان بين الشاعر، وبين سكان هذه الدار، يقول

البحتري: [ الطويل ]

فإذا تحمّل في تهامة بـارقُ      لجبّ تسيرُ مع الجنوب زحوفهُ  
فسقى اللوى لا بل سقى عهد اللوى      أيام نرتبِعُ اللوى ونصيفة<sup>(5)</sup>

وقد أجاد ابن الرومي في استنقائه؛ إذ استسقى الغيث مرة، واستسقى عينه مرة

أخرى، يقول: [ الطويل ]

<sup>(1)</sup>الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي ، 279. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

<sup>(2)</sup>مدامع العشاق، 18.

<sup>(3)</sup>ديوان ابن الرومي، 1036/3.

<sup>(4)</sup>ديوان البحتري، 2422/4.

<sup>(5)</sup>نفسه، 1470/3.

أَحِنُّ فَاسْتَسْقِي لَهَا الْغَيْثَ مَرَّةً وَأَثْنِي فَاسْتَسْقِي لَهَا الْعَيْنَ أَدْمَعًا<sup>(1)</sup>

وقد كثرت السقيا مصحوبة بأسماء السحاب، أو أنواع المطر، كقول البحتري: [ الطويل ]

سَقَتَهَا الْغَوَادِي حَيْثُ حَلَّتْ دِيَارَهَا عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَسْعِدْ ذَا الْغَلَّةِ الصَّادِي<sup>(2)</sup>

ويقول مخاطبا الأنواء: [ الطويل ]

أَطَّلَ دَارَ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى سَقَّتْ رَبْعَكَ الْأَنْوَاءُ مَا فَعَلْتُ هُنْدًا<sup>(3)</sup>

ويتوجه إلى السحاب مرة أخرى، فيقول: [ مجزوء البسيط ]

أَسْقَى السَّحَابُ الْغَرَّ أَطْلَاهُمْ رِيًّا وَلَوْ مِنْ دَمِ أُوْدَاجِي<sup>(4)</sup>

فقد بلغ الغاية في السقيا لهم، حتى إذا لم يكن هناك غيث دعا أن تكون السقيا من دمه.

وجحظة البرمكي يستسقي لأيامه الخالية في (رحبة هاشم)<sup>(5)</sup> ويدعو لها بالغيث العميم

حتى تزهر، يقول: [ الطويل ]

سَقَى اللَّهُ أَيَّامِي بِرَحْبَةِ هَاشِمٍ إِلَى دَارِ شَرِشِيرٍ مَحَلِّ الْجَادِرِ

سَحَابٌ يَسْحَبُنَ الذِّيُولَ عَلَى الثَّرَى وَيُضْحِي بِهِنَّ الزَّهْرُ رَطْبَ الْمَحَاكِ<sup>(6)</sup>

## 11- ذكر أيام الصبا والشباب، والذكريات الخوالي:

ما إن يقف الشاعر على الطلل، ثم يحيي هذا الطلل ويصف آثاره وحيوانه، وما فعلته

به الرياح والأمطار، وما بعث فيه الطلل من ألم وحنن أدى إلى البكاء بالدمع الغزير، حتى

يبادر إلى الحديث عن مثيرات حنينه وشجوه إلى تلك الديار، وبخاصة تلك المتعلقة بأيام الصبا

والشباب، والذكريات الجميلة. فيتحدث الشاعر عن شبابه باكياً متحسراً متألماً لأيامه الخالية،

(1) ديوان ابن الرومي، 1473/4.

(2) ديوان البحتري، 771/2.

(3) نفسه، 740/2.

(4) نفسه، 408/1.

(5) رحبة هاشم: لم أعثر عليها في كتب المعاجم.

(6) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ ج 69/2. ودار شرشير: محلة في بغداد لا تُعرف اليوم. ينظر الحموي، ياقوت،

معجم البلدان، 421/2.

ويندفع حنينه وشوقه إلى تلك الأيام، وإلى هذه الفترات من حياته، فيبكيها، ويتمنى رجوعها،  
وأنى له ذلك!

فمن الذين تحدثوا بكثرة عن أيام الشباب، والذكريات الخالية، البحتري وقد جاء حديثه

من خلال حنينه إلى الطلل، يقول: [ الطويل ]

عند العقيقِ فماتِلاتِ ديارِهِ      شَجَنٌ يَزِيدُ الصَّبَّ فِي اسْتِعْبَارِهِ  
وجوى إذا اعتلَّقَ الجوانحَ لم يدَعِ      لمتيمٍ سبباً إلى إقصارِهِ  
يمضي الشبابُ وما قضيتُ لِبانتِي      من حُسْنِ موهوبِ الصَّبَا ومعارهِ<sup>(1)</sup>

فهو يحن إلى الأيام التي تمضي بسرعة، لم تتح له فرصة لقضاء حاجته، وبخاصة  
فترة الصبا التي يحلو فيها اللهو والتمتع.

وفي حنينه إلى عهد الصبا أيضاً، يقول: [ الطويل ]

متى لاح برقٌ أو بدا طَلٌّ قَفْرُ      جرى مُسْتَهَلٌّ لا بكيٍّ ولا نَزْرُ  
فلا تذكرنا عهد التصابي فإنَّهُ      تقضى ولم نشعرْ به ذلك العَصْرُ<sup>(2)</sup>

فهل العصر إلا ذلك حقاً؟! لكنه قد تصرّم مسرعاً، وتقضى بلا توان، لذلك يطلب

من صديقيه ألا يذكراه، حتى لا يثيرا له شجناً جديداً.

ويواصل البحتري بكاءه على الشباب، أيام كانت الغواني يتبعن الشباب، يقول: [ الطويل ]

ليالينا بين اللوى فزروُدِ      مَضَيْتِ حميداتِ الفِعالِ فَعُودِي  
تذكرتُ أيامَ الشبابِ وعادِنِي      على النَّأيِ من ذِكرِ الأَحبةِ عيدي  
وكان سوادُ الرأسِ شيئاً مُحبباً      إلى كلِّ بيضاءِ الترائبِ رُودِ<sup>(3)</sup>

(1) ديوان البحتري، 866/2 .

(2) نفسه، 843/2 .

(3) نفسه، 772/2 .

فيتمنى أن تعود الليالي التي مضت حميدة، بما استمتع فيها، وأخذ يطالبها أن تعود مرة ومرة، لكن أيام الشباب لن تعود، ولن يعود محببا إلى الغواني بعد أن كان قد شمط رأسه، أو ابيض.

وهو يصرح أيضا أن بكاءه على الطلل إنما هو بكاء على الأيام التي قضاها في هذا

الطلل، يقول: [ الرمل ]

ما بكينا على زُرُودٍ ولكننا — (م) ننا بكينا أيامنا في زُرُودٍ<sup>(1)</sup>

ولكن ابن الرومي يحن إلى الشباب، ويبيكه بكاءً مرّاً ليس لأجل النساء فقط، بل

لأشياء أخرى رسمها في هذه اللوحة: [ البسيط ]

نبكي الشباب لحاجات النساء ولي	منه مآربُ أخرى سوف أبكيها
ما كان أعظم عندي قدرَ نعمته	لنفسه ، لا لخودٍ كان يُصيبها
أبكي الشباب للذات القنيص إذا	ثقلتُ عنها ، وغادها مُغادِها
أبكي الشباب للذات الشمول إذا	غنى القيان وحث الكأس ساقِها
أبكي الشباب لنفسٍ كان يُسَعِفُها	بكل ما حاولته من ملاحِها
أبكي الشباب لآمالٍ فجعتُ بها	كانت لنفسي أنسا في معانيها
أبكي الشباب لعينٍ كلَّ ناظرِها	بعد الثقوبِ وصار القصدُ هادِها
أبكي الشباب لأذنٍ كان مُسمِعُها	وقد يُجابُ على بُعدٍ مُنادِها
أبكي الشباب لكفٍّ من ساعدها	وقد تُردُّ وتلوي كفُّ لاويها
كان الشبابُ وقلبي منه مُنغمِسٌ	في خرقةٍ لست أدري ما دواعِها
كان نفسي كانت منه سارِحَةً	في روضةٍ بات ساقِ المزنِ ساقِها

<sup>1</sup> ديوان البحري ، 632/1.



كأن نفسي كانت منه ينعمها      نسيم راحٍ وريحانٍ يُحييها  
من ماتَ ماتتْ كما قدَّ قيل حاجتُهُ      إلا الشبابَ وحاجاتٍ يُبقيها  
يمضي الشبابُ ويبقي من لُبانتِهِ      شجواً على النفسِ يشجوها ويُسجِئها  
وكانت النفسُ ينهاها إذا غويتْ      ناهٍ سواها فمنها الآن ناهيها<sup>(1)</sup>

هذه اللوحة تستحق وقفة خاصة؛ لأنها لوحة مميزة، وقد جاء بكاؤه على الشباب بحرقة وألم يبدو من كلماته، ويتسرب في عباراته وكأنها ذوب نفسه، وحشاشة صدره، كيف لا وهو يبكي على أيام الشباب التي كان يذهب فيها للصيد والقنص، فما هو الآن يتقل عنها، ويبكر غيره إليها، كيف لا يبكي الشباب حين كانت نفسه تفعل ما يحلو لها ؟

كيف لا يبكي الشباب وهو لا يجد عوضاً عن ذلك الشباب، وما أوجع أن يبكي الشباب الذي كانت عيونه فيه مبصرة ثاقبة، وهي الآن لا تراه طريقه بوضوح، ألا يؤلم أن يتذكر الإنسان شبابه الذي كانت أذنه فيه تسمع المنادي من مكان بعيد ؟ ألا يؤلم ذلك الشباب الذي كانت يد الشاب فيه قوية تلوي كف لاويها ؟ لقد كان الشباب روضة غناء يسقيها الواابل، من ماء المزن، ويروح عليها النسيم بروحه وريحانه في تلك الفترة من الشباب، كان للإنسان من ينهاه عن لهوه وصبوته، أما الآن، وبعد انقضاء الشباب فإن الناهي من النفس هو الشيب.

ويلح ابن الرومي على حنينه لأيام الشباب، بل ويلح عليه حنينه لأيام الشباب، يقول:

[ الكامل ]

سُقياً لأيام خلت إذ لم أقُلْ      سُقياً لأيام خلت وعصورِ  
أيام يرعاني الشبابُ ممتعاً      في روضة من لهوه وغديرِ

(1) ديوان ابن الرومي، 2377/4 .

مستقبلاً أوطاره لم أنصرفُ عن وجه مأمول إلى محذور<sup>(1)</sup>

فالشباب روضة بهيئة، وغدير صاف، وهو ومتعة، ينعم في فيئه الإنسان لكنه مضى

وانقضى.

لكن ابن الرومي لا يحن فقط، بل يبكي بحرقة على الشباب، يقول: [ الطويل ]

بكِتَ فلم تترك لعينك مدمعاً      زماناً طوى شرخَ الشبابِ فودعا  
سقى الله أوطاناً لنا ومآرباً      تقطعَ من أقرانها ما تقطعا  
لياليَ ينسينَ اللياليَ حسابها      بلهنيّةً أقضي بها الحولَ أجمعا  
على غرّةٍ لا أعرفُ اليومَ باسمه      وأعملُ فيه اللهو مرأىً ومسمعا<sup>(2)</sup>

فها هو يبكي على الشباب حتى جفت دموعه، وكيف لا يبكي ليالي ينسين الليالي

حسابها من المتعة وشرخ الشباب، فحق له أن يبكي، وحق له أن يكن.

ومن الحانين إلى شبابهم وأيامهم الخالية: نفطويه<sup>(3)</sup>، حيث يقول: [ الكامل ]

أيامنا ما كنتِ إلا خلْسَةً      كُسفَ الهلالِ غداة وجه محاق  
أو نظرةٍ من خائفٍ لم يُنجِه      وزرُّ الحذارِ وشدةُ الإشفاقِ  
وكذاك أيامُ السرورِ قصيرةٌ      لكنَّ أيامَ البلاءِ بـواقِ  
لهفي على زمن مضت أيامه      والعيشُ غضّ مونقِ الأوراقِ<sup>(4)</sup>

هكذا تكون أيام السرور قصيرة سريعة، كأنها هلال مكسوف، أو نظرة من خائف

يلتفت بسرعة، لكن أيام الشقاء طويلة باقية، فلا عليه إذا تلهف على زمن الشباب، وأيام

السرور، وعضاضة العيش.

(1) ديوان ابن الرومي، 1168/3.

(2) نفسه، 1473/4.

(3) نفطويه: إبراهيم بن محمد الأزدي، إمام النحو فقيه، له: غريب القرآن، توفي (323 هـ). تنتظر ترجمته في: الحموي، ياقوت، معجم

الأدباء، 114/1، وابن حجر، لسان الميزان، 109/1.

(4) ابن المرزبان، الشوق والفراق، 100.

وعلى الموضوع نفسه يلح يحيى المنجم<sup>(1)</sup>، حيث يقول: [ الطويل ]

سقى الله أياماً لنا ولياليا  
قَضَيْنَ فما يرجى لهنَّ رجوعُ

إذا العيشُ صافٍ والأحبةُ جيرةُ  
جميعٌ ، وإذ كلُّ الزمانِ ربيعٌ<sup>(2)</sup>

فهو يبكي عناصر السعادة في أيام له خلت، وليال له مضت، حيث كان عيشه صافياً، وأحبته حوله، وكأن الزمان ربيع مزهر، لكن لا يرجى لتلك الليالي والأيام أي رجوع.

ولم يكن الحنين إلى الشباب خاصة، بعيداً عن الحنين إلى الأطلال، إذ إن من حن إلى الأطلال بكى عليها، ومن حن إلى الشباب بكى عليه، ومن يقف على الأطلال، تذكره معالمها البالية بأيام عزها، كما يذكر الشيب صاحبه أيام شبابه، فيحن إليه، ويبكي عليه.

ولعل أهم شاعر في هذا العصر تفجع على شبابه، وجزع من مشيبه هو ابن الرومي، حتى كان " بكاء الشباب عنده هو اللون البارز في صدر قصائده، واللحن الحزين المحبب إلى نفسه، والقريب إلى قلبه، بحيث يكثر من عزفه في فواتح قصائده، حتى غطى ما سواه من الألحان"<sup>(3)</sup>.

ولعل الحرمان الذي عاش فيه، واعتلال جسمه ونفسه معاً، قد أعده ليستفيض في بكاء الشباب، ففي الوقت الذي كانت فيه بغداد تزخر بالمتع، وتعمها الملاهي، كان ابن الرومي يعتمد على بعض الجوائز التي يتلقاها من الأمراء، مع أن أكثرهم كان بعيداً عنه، وكان بعيداً عنهم، كما كان بغيضاً إلى سائرهم بسبب لسانه، وهذا البعد والبغض أفسد الناس عليه، وأفسد نفسه على الناس<sup>(4)</sup>.

(1) يحيى المنجم: يحيى بن علي، أديب نديم متكلم، له كتاب: النغم، مات(300هـ). تنظر ترجمته: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، 2088/5، وابن خلكان، وفيات الأعيان، 235/2، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 230/14 .  
(2) تنظر الأبيات في: المرزباني، معجم الشعراء، 436، والعاملي، بهاء الدين، الكشكول، 239/2 .  
(3) عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، 151.  
(4) ينظر: العقاد، ابن الرومي، 177.

وقد اجتمع له وإن شئت عليه، ضعف الجسم والأسقام، والعلل الجسمية منها والنفسية، مما أورثه حدة في المزاج، ومبالغة في التطير<sup>(1)</sup>. كل ذلك قد أورثه تمسكا بالحياة ولذاتها، وإسرافا في طلبها، فكان كأنما يعبد لذة الحياة ومتعتها، فما إن تذهب لذة حتى يدركها بإحساسه المفرط، ومزاجه الحاد، فيبكي عليها، وأية لذة أعظم من الشباب، وما أجمل ما رسم العقاد تعلقه بالحياة بقوله: "كأنه شارب قبض على الكأس يود أن يجرعها مرة واحدة من فرط العطش، والخوف عليها لولا أنه يستطيبها، فيرشف منها رشفة بعد رشفة، ويعود إليها، ينظر ما فرغ منها وما بقي، فيشعر بمرارة الفقد لفرط شعوره بحلاوة المتعة. فما نقصت من كأس الحياة قطرة إلا أحس بطيبها، وأحس بألم فقدها"<sup>(2)</sup>.

ولا مجال هنا للحديث عن حنينه للذات الحياة، حتى لا يطول البحث، بل سيكون التركيز على الشباب فقط، لأنه يذكر بذكر الطلل وأيامه الخالية.

فلماذا يبكي على الشباب؟؟

1. لأن الشباب هو الحياة بما فيها من جمال، وغصن غض، وقوة جسم، يقول:

[مجزوء الكامل]

كيف العزاء عن الشباب (م) ب، وغصن الغض النضير

كيف العزاء عن الشباب (م) ب، وعيشه العيش الغرير<sup>(3)</sup>

2. لأن فقد الشباب هو الموت بعينه، يقول:

خليلي ما بعد الشباب رزية

يحم لها ماء الشؤون ويعتد

فلا تلحيا إن فاض دمع لفقده

فقل له بحر من الدمع يتمد

(1) بنظر تطيره في: القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، 171/2.

(2) ابن الرومي، 28.

(3) ديوان ابن الرومي، 897/3.

شبابُ الفتى مجلودُهُ وعزاؤُهُ فكيف وأنى بعده يتجأدُ  
وفقد الشباب الموت يوجد طعمه صراحاً ، وطعم الموت بالموت يفقدُ<sup>(1)</sup>

3. لأن الشباب ملازم للغواني، فلذة الشباب التي فقدها هي لذة محورها المرأة، وقد ألح على هذا الجانب إلحاحاً شديداً، كقوله:  
[ مجزور الكامل ]

أيام لي بين الكوا (م) عب روضةً فيها غديرُ  
أصبى وأصبى الغا (م) نيات وأستزازُ وأستزيرُ  
بيض الوجوه عقائلاً لم يُصبهن سوى زيـر<sup>(2)</sup>

فالحسان كان يسبي قلوبهن في شبابه، فلما شاب انفضض عنه، ولم يعدن يقتربن منه، ولا يتعاطفن معه، ومن ذلك قوله:  
[ الخفيف ]

لَهْفَ نفسي على العيونِ المراضِ والوجوهِ الحسان مثل الرياضِ  
حال بيني وبين أيامهنَّ الـ (م) بيض ما احتلَّ مفرقي من بياضِ  
فالعيون المراضِ يصدفنَ طوراً ويلاحظن عن قلوبِ مراضِ<sup>(3)</sup>

4. لأن الشباب لا عوض عنه، ومن يحاول تزوير الحقائق بالخضاب، فإن أمره مكشوف، ولا يناله إلا العناء، ولا يزيد الغواني إلا هرباً منه، وسخرية به، يقول:

وغناءُ الخضاب عن صاحب الشيبِ (م) ب غناء الرقى عن المراضِ  
ملبس فيه فرحةً عن غرور وهو باق وترحة وهو ناضٍ  
خدعةٌ ثم فرعة إن هذا لحقيق بكثرة الرفاضِ<sup>(4)</sup>

ويعد - في وصف طريف - من يخضب شبيهه، كمن يصيد وهو محرم يقول: [ الطويل ]

(1) ديوان ابن الرومي، 585/2. ويُعتد: يعظم. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة(عتد). يَتَمَدُّ:يجري ويسيل . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (تمد).  
(2)ديوان ابن الرومي، 897/3 .  
(3) نفسه، 1387/4.  
(4) ديوان ابن الرومي، 1387/4 . والناضي: الزائد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نضو).

محوه زور مبتغِ صيد محرم جنيب هوى للجهل بالغى خالطُ

يخادع بالإفك النساء عن الصبا وهل بين لون الإفك والحق غالطُ<sup>(1)</sup>

ويبلغ بكاؤه على شبابه، وحنينه إليه، أن خرجت الحكمة على لسانه، لكنها مرة، يقول:

دع المرء صحباً والكواكب مألفاً فأخذتك اليوم الكهولُ الشوامطُ

وكل امرئ لاقى من الدهر رائشاً فسوف يلاقيه من الدهر مارطُ<sup>(2)</sup>

ويقول بحسرة: [ الكامل ]

سُلبت سواد العارضين وقبلةً بياضهما المحمودُ إذ أنا أمردُ

وبدلت من ذاك البياض وحسنه بياضاً ذميماً لا يزال يسود<sup>(3)</sup>

(1) ديوان ابن الرومي، 1424/4.  
(2) نفسه، 1425. الرائش: ذو الريش. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ريش)، والمارط: خفيف الشعر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرط).  
(3) ديوان ابن الرومي، 585/2.

وهناك ديار من نوع خاص، حن إليها الشعراء، واشتاقوا وبثوها مكنونات أنفسهم منها: الديارات والمدن. وسيكون الحديث عن كل منهما بصورة منفردة.

**أولاً: الديارات:** الديارات جمع دير، وهو بيت يتعبد فيه الرهبان<sup>(1)</sup>، ويقول ياقوت: "لا يكاد الدير يكون في المصر الأعظم، إنما يكون في الصحارى، ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر، سمي كنيسة أو بيعة"<sup>(2)</sup>.

في حين تحدث المقرئ عن الدير، موضحاً أنه يختص بالنساء المقيمت فيه، أما الكنيسة فهي مجتمع عامة النصارى للصلاة<sup>(3)</sup>. وأكثر ما تكون الديارات في ضواحي المدن تطل على أنهار وحدائق، أو تكون في قمم الجبال والروابي، وفي المواضع البعيدة عن الناس والزحام<sup>(4)</sup>.

وقد اشتهرت الديارات في الجاهلية بإيواء المجتازين بها، ولم يكن فيها آنذاك دور خاصة بالضيافة، فلما جاء الإسلام، حث القائمين عليها على استضافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام، لهذا لم يكن مفر من وجود مواضع خاصة لمبيت الزوار، وعابري السبيل. وهكذا تم بناء دور وحُجْر خاصة إلى جانب الديارات ينزل فيها المسافرون، أو من يحب غشيانها من الناس، تقدم فيها الضيافات على أقدار الضيوف<sup>(5)</sup>.

وقد ألحقت بالديارات حانات للخمر تلبية لرغبة بعض الزوار، كما كان السقاة- أحياناً - من الرهبان أو عذارى الدير<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(دير).

(2) معجم البلدان، 495/2.

(3) ينظر: الخطط والمواضع، 409/3.

(4) ينظر: الأصفهاني، الديارات، مقدمة المحقق، 14.

(5) ينظر: نفسه، 23.

(6) ينظر: الأصفهاني، الديارات، 24.

ولم يكن شعراء هذه الفترة بعيدين عن ارتياد هذه الديارات، قاصدين أو عابري سبيل، فعبروا عن شوقهم وحنينهم إلى هذه الديارات .

والملاحظ أن جميع من حن إلى الديارات ذكرها بالاسم، فمن ذلك قول جحظة:

[ الطويل ]

ألا هل إلى دَيْرِ العذارى ونظرة إلى الخير من قبل الممات سبيل<sup>(1)</sup>

وقول أبي عبد الله بن النديم<sup>(2)</sup>: [ مَخْلَع البسيط ]

يا ديرِ درْمَالِسَ ما أَحْسَنَكَ ويا غزالِ الدَيْرِ ما أَفْتَنَكَ<sup>(3)</sup>

وخالد الكاتب<sup>(4)</sup> حيث يقول: [ مَخْلَع البسيط ]

يا منزلِ القَصْفِ في سَمَالِو مالي عن طَيْبِكَ انتَقال<sup>(5)</sup>

ويقول الناشئ الأكبر: [ الرمل ]

يا لِيالي اللذاتِ باللهِ عودي بين قَبْرُونيا وبابِ الحديد<sup>(6)</sup>

والمعنى هنا دير الثعالب<sup>(7)</sup>، كما ذكر الشابشتي

أما الحسين بن الضحاك، فيقول: [ البسيط ]

يا دَيْرَ مَدِيانَ لا عَرِيَّتَ من سَكَنِ ما هَجَّتَ من سَقَمِ يا ديرِ مديانا<sup>(8)</sup>

(1) الأصفهاني، الديارات، 123. دير العذارى: دير بين الموصل والرققة، وهو عظيم قديم. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 522/5.

(2) أبو عبد الله بن النديم: حمدون بن إسماعيل، من ندماء المعتصم ومن أتى بعده، روى كثيراً من الأشعار والأخبار، مات (254هـ) تنظر ترجمته في: الصفي، الوافي بالوفيات، 166/13.

(3) الشابشتي، الديارات، 4. دير درمالس: دير ببغداد كثير الأشجار والبساتين وهو واسع أهل ينظر: الحموي ياقوت، معجم البلدان، 509/5.

(4) خالد الكاتب: خالد بن يزيد البغدادي، شاعر غزل من الكتاب، له مهاجاة مع أبي تمام، مات (262هـ) تنظر ترجمته الأصفهاني، الأغاني، 172/20، والحموي، ياقوت، معجم الأدباء، 211/1.

(5) الشابشتي، الديارات، 15. سما لو: دير ببغداد في رقة الشماشية فيه نهر الخالص. ينظر، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 516/5.

(6) الشابشتي، الديارات، 26. قبرونيا: موضوع من نواحي الجبل - كما ظن الحموي - معجم البلدان، 304/5.

(7) دير الثعالب: دير مشهور يبعد عن بغداد ميلان، قريبة منه قرية تسمى الحارثية. ينظر الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 502/2. وينظر، الديارات، 26.

(8) الشابشتي، الديارات، 34. دير مديان: دير حسن يقصده أهل اللهو على نهر كرمايا قرب بغداد، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 532/2.



ويقول جحظة:

[ مجزوء البسيط ]

سُقياً لأشْمونِي ولذَاتِهَا والعِيشُ فِيهَا بَيْنَ جَنَاتِهَا<sup>(1)</sup>

في حين يقول ابن المعتز: [ الخفيف ]

يا لِيَالِيَّ بِالْمَطِيرَةِ وَالكَرِّ (م) خِ ودير السَّوْسِيِّ بِاللَّهِ عودِي<sup>(2)</sup>

أما مهلهل بن المزرع<sup>(3)</sup>، فيقول: [ المتقارب ]

نَهَضْتُ إِلَى الطُّورِ فِي فِتْيَةٍ سِرَاعِ النُّهُوضِ إِلَى مَا أَحَبَّ<sup>(4)</sup>

والصنوبري<sup>(5)</sup>، يقول: [ الوافر ]

أَيَا مَنزَهِّي فِي دِيرِ زَكِّي أَلَمْ تَكُنْ نَزَهْتِي بِكَ نَزَهْتَيْنِ<sup>(6)</sup>

وهكذا يكون ذكر الديارات باسمها المباشر، وليس كالأطلال العادية التي كانت تذكر

أحياناً باسم المكان، أو باسم الأشخاص، أو عامة كدمنة وآثار.

ومن الموضوعات التي تناولها شعر الحنين إلى الديارات:

1- جمال المكان: ومن ذلك قول الناشئ الأكبر: [ الرَّمْل ]

يا لِيَالِيَّ اللذاتِ بِاللَّهِ عودِي بَيْنَ قَبْرُونِيَا وَبَابِ الحَدِيدِ

بَيْنَ تَلْكَ الرِّبَا وَقَدْ نَسَجَ الوَبَّ (م) لُ بِكَفِّ الرِّبْعِ رِيْطَ البَرودِ<sup>(7)</sup>

(1) الشابشتي، الديارات، 47. أشموني: دير بني على اسم امرأة، يقع بقطربيل، وهو من أجمل منتزهات بغداد. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 498/5.

(2) ديوان ابن المعتز، 2 / 96. دير السوسي: دير بنواحي سامراء بالجانب الغربي. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 518/2.

(3) مهلهل بن المزرع: مهلهل بن ياموت بن المزرع العبدي، كان منهمكاً بالخلاعة واللعب، له (سراقات أبي نواس) - توفي (334هـ) تنظر ترجمته: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 186/5، وابن خلكان، وفيات الأعيان، 345/2.

(4) الشابشتي، الديارات، 207. الطور: جبل مستدير واسع الأسفل، مستدير الرأس، ليس له إلا طريق واحد، وهو ما بين طبرية واللجون مشرف على الغور، والديار في نفس القبلية ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 520/2.

(5) الصنوبري: أحمد بن محمد، امتاز شعره بالوصف، وبخاصة وصف الطبيعة، توفي (334هـ) تنظر: ترجمته الصفي، الوافي بالوافيات، 379/7، والكتبي، فوات الوفيات، 111/1.

(6) ديوان الصنوبري، 249، والشابشتي، الديارات، 213. دير زكي: دير بالرها، وقيل دير بالرقعة قريب من الفرات. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 512/2.

(7) الشابشتي، الديارات، 26.

فقد كساها الربيع ألوانا زاهية جميلة، فأصبحت موشاة كالبرود الملونة، وفي جمال الطبيعة أيضا يصف لحظة دير أشموني بأنه جنة، لكنه لا يفصل في مظاهر الجمال في هذه

الجنة، يقول: [ مجزوء البسيط ]

سقى لأشموني ولذاتها والعيش فيها بين جناتها<sup>(1)</sup>

ودير السوس جنة عند ابن المعتز، لكنها بغير خلود، يقول: [ الخفيف ]

كنت عندي أنموذجاً من الجدّ نه لکنها بغيرِ خلود<sup>(2)</sup>

وقد فصل العباس بن البصري<sup>(3)</sup> في جمال الدير، من خلال مظاهر الطبيعة، يقول:

[ الكامل ]

يا دير نهيا ما ذكرتك ساعة إلا تذكرت الشباب بمفرقي

والبدر في وسط السماء كأنه وجه مليح في قناع أزرق

يا للديارات الملاح وما بها من طيب يوم مر لي بتشوق<sup>(4)</sup>

2- الساقى والندامى:

رسم مهلهل بن المزرع أجمل صورة للندامى، فيها كثير من صفات ندامى الأعشى،

يقول مهلهل: [ المتقارب ]

نهضت إلى الطور في فتية سراع النهوض إلى ما أحب

وأنزلتهم إلى وسط أعابيه أسقيهم من عصير العنب

وما بين ذاك حديث يروق وخوض لهم في فنون الأدب

(1) الشابشتي، الديارات، 47.

(2) ديوان ابن المعتز، 2 / 96.

(3) العباس بن البصري: من الخلاء المجان، مليح المجالسة، كثير النادرة. ولم أعر على ترجمة وافية له، غير ما ورد في: الشابشتي، الديارات، 73.

(4) الشابشتي، الديارات، 294. دير نهيا من أحسن الديارات بمصر وأزهرها وأطيبها موصفاً، وهو في الجيزة ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 539/2.

فيا طيب ذا العيش لو لم يزل      ويا حُسنَ ذا السَّعد لو لم يغب<sup>(1)</sup>

فنداماه يطيعونه، بل يلتمسون رضاه، وهو يكرمهم وينزلهم وسط الأعناب، ويسقيهم بيده من عصيرها، ثم يخوضون في أحاديث جميلة رائعة في الأدب وغيره.

وقد قال الأعشى:

[ الطويل ]

أرقتُ وما هذا السهاد المورق      وما بي من سقم وما بي معشوقُ  
...وقد أقطع اليوم الطويل بفتية      مساميح تسقى والخباء مروقُ  
ورادعة بالمسك صفراء عندنا      لجسّ الندامى في يد الدرع مفتق<sup>(2)</sup>

والخمر أيضا تذكر مع الندامى، كما في النص السابق لمهلل، أما ندامى جحظة، فلهم

شعار هو كلمة (شمول)، وهي من صفات الخمر لأنها تشملهم، وتشمل عقولهم، يقول:

[ الطويل ]

إلى فتية ما شئت العزم شملهم      شعارهم عند الصباح شمول<sup>(3)</sup>

3- الرهبان:

ورد ذكرهم لماما؛ فقد صور جحظة قسيس دير العذارى وهو سكران، يرتعش من

السكر، حتى أصبح يغني للسكرى، يقول<sup>(4)</sup>:

[ الطويل ]

وقد نطق الناقوس بعد سكوته      وشمعل قسيس ولاح فتيل  
يريد انتصاباً للمقام بزعمه      ويرعشه الإدمان فهو يميل  
يغني وأسباب الصواب تمده      وليس له فيما يقول عديل:

(1) الشابشتي، الديارات، 207.

(2) ديوان الأعشى، 267.

(3) الأصفهاني، الديارات، 123.

(4) نفسه، والصفحة نفسها.

" ألا هل إلى شمّ الخزامى ونظرةً إلى القرقرى قبل الممات سبيلٌ" (1)  
 وثنى يغني وهو يلمس كأسه وأدمعه في وجنتيه تسيلُ  
 " سيُعرضُ عن ذكري وينسى مودتي ويحدثُ بعدي للخليلِ خليلٌ" (2)

أما رهبان دير مديان، فقد تجاوزوا مع الحسين بن الضحاك، وتجاوب معهم في طرب

وغناء، يقول: [ البسيط ]

إني طرِبْتُ لرهبانٍ مجابِةٍ بالقدسِ بعد هُدُوِّ الليلِ رهباناً (3)

ومن الواضح أن غناء الرهبان، ذكره بأشياء أخرى، حيث يقول:

فاستنفرت شجناً مني ذكرتُ به كرخ العراق وإخواناً وأشجاناً (4)

#### 4- المحبوب:

كثيراً ما كان زوار الدير، وضيوفه يقعون في حب العذارى المنتسبات للدير، وقد

تحدث أبو عبد الله النديم، فقال: [ السريع ]

يا دير درمالمس ما أحسنك ويا غزال الدير ما أفتنك

لئن سكنت الدير يا سيدي فإن في جوف الحشا مسكنك

ويحك يا قلبُ أما تنتهي عن شدة الوجد بمن أحزنك

أرفق به بالله يا سيدي فإنه من حيثه مكنك (5)

(1) البيت : ليحيى بن أبي طالب الحنفي: شاعر من أهل اليمامة من شعراء الدولة العباسية كان فصيحا شاعرا فارسا . تنظر ترجمته: الأصفهاني، الأغاني، 179/23 والبيت في : نفسه ، 182/23، والقرقرى: أرض باليمامة، فيها زرع ونخيل كثيرة ، وفيها حصون منبجة . ينظر: الحموي، باقوت، معجم البلدان، 326/4 .

(2) البيت: لأبي العتاهية ، الديوان، 442 .

(3) الشابشتي، الديارات، 34 .

(4) نفسه، 34 .

(5) نفسه، 4.

## 5- الأيام والليالي:

ما كان الشاعر في حنينه للأديار، لينسى تلك الأيام والليالي التي قضاها في هذه الديارات مع محبوبة أو نداماه، في لذة العيش، وميعة الصبا، وجمال الطبيعة، ومتع الحياة.

ومن ذلك حنين خالد الكاتب إلى أيامه في دير سمالو، يقول: [ مخلّع البسيط ]

واهٍ لأيامك الخوالي والعيش صافٍ بها زُلالٌ

تلك حياة النفوس حقاً وكل ما دونها محال<sup>(1)</sup>

أما جحظة، فيستسقي للأيام في دير أشموني، يقول: [ مجزوء البسيط ]

سقياً لأيام مضت لي بها ما بين شطيها وحاناتها

إذ اصطباحي في بساتينها وإذ غبوقي في دياراتها<sup>(2)</sup>

ويتمنى ابن المعتز أن تعود تلك الليالي، دون أن يفصل في وصفها، لكن لا شك أن

الإنسان لا يتمنى عودة زمان، إلا إن كان عزيزاً عليه، يقول: [ الخفيف ]

يا ليالي بالمطيرة والكـر (م) خ ودير السّوسي بالله عودي

كنت عندي أتمونجاً من الجنـ (م) نة لكنها بغير خلود<sup>(3)</sup>

## 6- الدعاء:

وقد دعا الشعراء لهذه الديارات، كما دعوا للأطلال من قبل؛ فجحظة يدعو لدير

العداري قائلاً: [ الطويل ]

سقى الله عيشاً لم يكن فيه عُلقة لهمّ، ولم يُنكر عليه عذول<sup>(4)</sup>

كما يستسقي الحسين بن الضحاك بقوله: [ البسيط ]

(1) الشابشتي، الديارات، 15.

(2) نفسه، 47.

(3) ديوان ابن المعتز، 96/2.

(4) الأصفهاني، الديارات، 123.

سقياً ورَعِيّاً لكرخايا وساكنه بين الجُنَيْنَةِ والرَّوْحَاءِ من كانا<sup>(1)</sup>

وقد كان الدير باعثاً للحنين إلى مكان آخر، كما هو الحال في الأطلال، فهذا ابن  
المدير<sup>2</sup> كان يقيم في منبج<sup>(3)</sup>، فخرج مرّة، ومرّ على دير سليمان<sup>(4)</sup>، وهو أحسن الأديرة  
وأجملها، فنزل فيه، ودعا بطعام خفيف، فأكل وشرب، ثم دعا بدواة وقرطاس، وكتب:

[ الطويل ]

أيا سافيينا وسط دير سليمان      أديرا الكؤوس فانهلتي وعناني  
وخصّصا بصافيتها أبا جعفر أخي      وذا ثقتي بين الأنام وخصّصاني  
وعمّا بها الندمان والصّحب إنني      تنكرت عيشي بعد صحبي وإخواني  
ولا تتركنا نفسي تمّت بسقامها      لذكرى حبيب قد شجاني وعناني  
ترحلت عنه عن حدود وهجرة      وأقبل نحوي وهو باك فأبكاني  
وفارقتهُ والله يجمعُ شملنا      بلوعة محزونٍ وغلّة حرّانٍ  
وليلة عين المَرَجِ زار خياله      فهيج لي شوقاً وجدّد أشجاني  
فأشرفتُ أعلى الدّير أنظرُ طامحاً      بألمحِ آماقٍ وأنظرِ إنسانٍ  
لعلّي أرى أبيات منبجٍ رؤية      تُسكّن من وجدي وتكشفُ أجزاني  
فقصرَ طرفي واستهلّ بعبره      وفديت من لو كان يدري لفداني  
ومثله شوقي إليه مُقابلي      وناجاه قلبي بالضمير وناجاني<sup>(5)</sup>

(1) الشابشتي، الديارات، 34. كرخاي: نهر ببغداد مشهور أكثر الشعراء من ذكره. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 446/4. والجنيّة: روضة في نجد. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 173/2. الروحاء: قرية من قرى بغداد. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 76/3.

(2) ابن المدير: إبراهيم بن عبيد الله، وزير كاتب، ولي لعدة خلفاء، توفي (279هـ). تنظر ترجمته: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، 102/1، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 43/3.

(3) منبج: مدينة واسعة في الشام، ذات ميزات كثيرة، ومنها البحري الشاعر وله فيها أملاك. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 206/5.

(4) دير سليمان: دير بالثغر قرب دلوك مظل على مرج العين هو غاية من النزاهة. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 516/2.

(5) الأصفهاني، الديارات، 103. وأبو جعفر: لعله أحد حاشية ابن المدير، أو صديق له. عين المَرَج: لم أعثر لها على تعريف في المعاجم. والغلّة: شدة العطش وحرارته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غل).

وهكذا كانت الديارات مكانا يحن إليه الشعراء مرة، كما هو الحال في الطلل، ومثيرا  
يثير حنين الشاعر إلى مكان آخر ذكره عند مروره بالدير مرة أخرى.

## ثانياً: المدن:

لما تطور مفهوم الوطن لدى الشعراء، من البادية ومظاهرها المتنوعة، إلى المدينة  
وحياتها المغايرة للبادية في كثير من مظاهرها، فإن الحنين إلى الأوطان قد اتخذ مسارا جديداً،  
إضافة إلى مساره المعروف، وهو: ذكر الأطلال والبكاء عليها، إلى الحديث عن المدينة بما  
فيها من أصدقاء، ومجالس علم وأدب، وأسواق، ومساجد، وأماكن لهو.

وقد فرضت الظروف على بعض الشعراء مغادرة مدينته لسبب أو لآخر، فعبر لسانه  
عن قريحة موقودة، وجوى لاهب، حتى لو كان بعده لم يستغرق سوى أيام.

ولتسهيل الحديث عن شعر الشوق إلى المدينة، والحنين إليها، سيكون الموضوع حول  
محورين: مدينة موجودة عامرة، وأخرى منكوبة.

### 1. الحنين إلى المدن العامرة:

نَدَرَ أن يتحدث الشاعر عن مدينة يحنّ إليها، إلا ويذكر السبب الذي جعله يحن  
ويشتاق، والمدن كانت- في كثير من أحوالها- عالم الشاعر، وبيئته الطبيعية التي إن فارقها،  
لا ينكيف مع سواها.

ومن المدن التي كثر الحنين إليها:

■ **بغداد:** ولا غرابة في ذلك؛ فهي دار الخلافة، وعاصمة الدولة، والحاضرة الزاهرة، بلد  
العلماء، والأدباء، والفنانين، وأصحاب الصناعات، أسواقها عامرة، وتجارها رائجة،  
وبهجتها ظاهرة، وحياتها صافية.

ومن الشعراء الذين ذكروا بغداد: ابن الرومي، حيث كان يقيم بسامراء، فذكر بغداد،  
وحنَّ إليها؛ لأنها بلد صباه وشبيبته، لبس فيها ثوب العيش جديداً، وقضى فيها أعز فترة،

وأجمل حقبة، وهي الشباب يقول: [ الكامل ]

بلد صحبت به الشبيبة والصبا      ولبستُ ثوب العيش وهو جديد  
فإذا تمثّل في الضمير رأيتُه      وعليه أغصان الشباب تميد<sup>(1)</sup>

وتطول إقامته بسامراء، فيتذكر بغداد، ويحن إلى أيامه فيها، ويتمنى أن يعود الزمان

بما ذهب من عمره، معللاً حنينه إليها بأنها لا مثيل لها داراً للخلافة، ولا مكاناً للمسترشد،

يقول: [ الطويل ]

أحنّ إلى بغداد والبيد دونها      حنين عميد القلب حرّانَ فاقدِ  
وأتركها قصداً لآمد طائعاً      وقلبي إليها بالهوى جدّ قاصدِ  
ألا هل لأيام تعلت عيشها      لها عودة أم ليس دهرٌ بعائدِ  
بلى ربما عاد الزمان بمثل ما      بدا فحمدنا فعله غير عامدِ  
فما مثلها للملك دار خلافةٍ      أجل ، ولا للطيب مرتاد راشدِ  
ما خلتنا مستبدلي بقعة بها      من الأرض لولا شؤم صاحب آمد<sup>(2)</sup>

وقد استسقى ابن المعتز لبغداد على الطريقة التي استسقى بها للأطلال، وقد حن إليها

وبكاها، لأنه لم يحل لعينيه منظر بعدها، وما أجمل تلك اللوحة التي مثلها بأرضها الميثاء،

وحصائها التي مثل الجوهر، وطلها كأنه ماء ورد، يقول: [ الكامل ]

لا مثل منزلة الدويرة منزلٌ      يا دارُ جادكِ وابِلٌ وسقّاكِ

(1) ديوان ابن الرومي، 766/2، القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، 773/3.  
(2) ديوان ابن الرومي، 729/2. وصاحب آمد هو: محمد بن أحمد بن محمد بن الشيخ، تولى آمد بعد والده، وخرج على الخلافة سنة 285هـ. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 490/7.



بؤساً لدهرٍ غيّرتكِ صروفه      لم يمحُ من قلبي الهوى ومحاكِ  
لم يحلُّ بالعينين بعدك منظراً      نَمَّ المنازلُ كلهنَّ سواكِ  
أيُّ المعاهدِ منك أندبُ طيبه      ممسكٍ بالآصالِ أم مغداكِ  
أم بردِ ظلكِ ذي الغصونِ وذي الحيا      أم أرضك الميثاء أم رِياكِ  
وكأنما حصباءِ أرضك جوهر      وكان ماءَ الوردِ دمعُ نداك<sup>(1)</sup>

وقد استسقى جحظة البرمكي لرحبة هاشم؛ لأنها دار صبايته، ومنزل لذته، لها فيها  
بالحسان الجميلات، نسيمها طيب، وفيؤها فينان، وموسيقا الطير فوق الأشجار تشجي النفوس،

يقول: [ الطويل ]

سقى الله أيامي برحبة هاشم      إلى دار شرشير محل الجآذر  
سحائب يسحبين الذبول على الثرى      ويضحي بهنّ الزهر رطب المحاجر<sup>(2)</sup>

كما حن الوزير المهلبى إلى بغداد، عندما ورد البصرة حيث نزل ضاحية البصرة، ثم

ارتحل إلى الأهواز، وكان قد كتب بخطه على الحائط: [ الطويل ]

أحنّ إلى بغداد شوقاً وإنما      أحنّ إلى إلفِ بها لي شائقِ  
مقيمٌ بأرضٍ غبتُ عنها وبدعة      إقامة معشوقٍ ورحلة عاشق<sup>(3)</sup>

فحنينه لأن محبوبه فيها يقيم، وعاشقه مسافر غائب.

ومن الذين حنوا إلى بغداد، لأن قلبه بها، فأحس بالغرابة، ولام نفسه لأنه باع القرب  
بالبعاد، فكان جزاؤه حريقاً في القلب، ولهيباً في العاطفة، ترجم بهذه الموسيقى العذبة، الشاعر

يحيى المنجم، حيث يقول: [ مجزوء الرمل ]

(1) ديوان ابن المعتز، 342/2. الميثاء: الأرض السهلة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميث)، والحصباء: الأرض ذات  
الحصى. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حصب).  
(2) النجار، إبراهيم: شعراء عباسيون منسيون، قسم 2 / ج 5 / 69.  
(3) الأصفهاني، أدب الغرباء، 76.

هاهنا جسم غريب      وبيغداد فوادي  
وكذاك محب      باع قريباً ببعاد<sup>(1)</sup>

ولو ذهبت أستقصي ما قيل في بغداد، لطال الحديث، كيف لا، وقد كانت درة الكون،

وقبله الدنيا !

■ **حلب:** المدينة الساحرة، ببساتينها ومياهاها، ومبانيها الجميلة، بل هي القلعة التي اتخذ منها سيف الدولة عاصمة له، في دولة بني حمدان. وقد أكثر الشعراء في حلب، ومنهم الشاعر الصنوبري، الذي حن إليها للطرب، والعيش اللذيذ، والزهر اليانع، والطبيعة الخلابة،

يقول: [ المتقارب ]

سقى حلبَ المزنُ مغنى حَلْبُ      فكم وصلتُ طرباً بالطربِ  
وكم مستطابٍ من العيش لَدَّ      بهالي إذ العيش لم يُستطَبِ  
إذا نشر الزهر أعلامه      بها ، ومطارفه والعذبُ  
غدا وحواشيه من فضة      تروق وأوساطه من ذهبِ  
زَبْرَجْدَه بين فيروزج      عجيب وبين عقيق عَجَبُ  
تلاعبه الريح صدر ، الضحى      فَيَجْلِي إلينا جلاء اللَّعبِ<sup>(2)</sup>

ومرة أخرى يستسقي لحلب؛ لأنها موطنه الذي تخيره، صحب فيها الدهر في أيام

بشاشته، وصادق فيها العيش، وهو غض طري، فيها الغواني، وفيها الروائح الطيبة،

والرياض العطرة، يقول: [ الطويل ]

سقى حلباً ساقى الغمام ولا ونى      يروح على أكنافها ويُبَكِّرُ  
هي المألف المألوف والموطن الذي      تخيرته من خير ما أتخیرُ

(1) القيسي، نوري حمودي، أربعة شعراء عباسيون، 206.

(2) ديوان الصنوبري، 392، والفيروزج : نوع من الأصباغ . ينظر: ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم. مادة ( الفيروزج ).

صحبت لديها الدهر، والدهر أبيض      ونادمت فيها العيش، والعيش أخضر  
تري تراباً شتى : فترَبُّ مُصْنَدَلٌ      ينافسُه في الحسن تُرَبُّ مُزَعْفَرُ  
وروضاً تلاقى بين أثناء نبتِه      ممسك نورٍ يُجتنى ومُعَبَّرُ(1)

ومن الشعراء الذين استسقوا لحلب من فرط حنينهم إليها، البحترى؛ لأن فيها محبوبته التي يواصلها وتهجره، ويدنو منها وتبعد عنه دلالة وغنجا وميعة صبا، يقول:

[ الكامل ]

قُلْ للسحاب إذا حدثه الشمال      وسرى بليلٍ ركبهُ المتحملُ  
عرج على حلب فحيّ محلّة      مأنوسة فيها لغُوة منزلُ  
لغريرة أدنو وتبعد في الهوى      وأجودُ بالودّ المصون وتبخلُ  
وعليّة الأحاظ ناعمة الصبا      غري الوشاة بها ، ولجّ العذلُ(2)

■ دمشق: كانت عاصمة الأمويين، ملأت أسماع الدنيا، ومثلت ياقوتة التاج في جبين الخلافة، إلى أن انتقلت الخلافة عنها مع العباسيين إلى بغداد، فحمل ذكرها، واجتمع الناس إلى العاصمة الجديدة، واحتفلوا بها، ولعل النفاق للعباسيين من جهة، والخوف منهم من جهة ثانية، وهجران الناس لها من جهة ثالثة، كل هذا قد أدى إلى خمول ذكرها في الشعر في هذا العصر، لكن الصنوبري الذي انتقلت آلة تصويره عبر مشاهد الطبيعة الخلابة، تنقل لنا لون الزهر، وتجهم السماء وصحوها، وعبير الزهور، وانسياب المياه، وخريرها في لوحات فنية، غاية في الدقة والعناية، هذا الشاعر لم ينس دمشق، وغوطتها، وشواطئ

[ الهزج ]

بردى، يقول:

(1) ديوان الصنوبري، 426، مصنذل: شجر طيب الرائحة. ابن منظور، لسان العرب، مادة(صنذل) مزعفر: رش بالزعفران، وهو نبت يستخدم للطيب والصيغ. ابن منظور، لسان العرب، مادة(زعفر)  
(2) ديوان البحترى، 1599/3.

نَعْمًا فِي دَمَشَقِ نَعْمَ (م) مة ليست بمغبوطة  
 فَيَا بَهْجَتَهَا إِذْ هـ (م) يَ فِي الْبَهْجَةِ مَغْبُوطَةٌ  
 وَيَا غَبَطْتُهَا إِذْ هـ (م) يَ بِالْجَامِعِ مَغْبُوطَةٌ  
 تَأْمَلُهُ تَجِدُ فِيهِ شُرُوطَ الْحُسْنِ مَشْرُوطَةٌ<sup>(1)</sup>

■ **حمص:** وهي مدينة جميلة قريبة من حلب في طيب جوها، واعتدال مناخها، وبهجة أطيافها، وطيب أهلها، حتى إن الشاعر الصنوبري حين أشرف عليها، أسرع في مثييه، وتمنى من الله الذي منّ على يعقوب برؤية يوسف أن يمن عليه برؤية حمص، يقول:

[ الطويل ]

أقول وخفت من دمشق ركائبِي      وجدّ بها تلقاء حمص مسيرُ  
 وأسرعها عندي من الشوق واقف      وأطول مسراها لديّ قصيرُ  
 وقد صيرت لبنان من عن شمالها      وصار على ذات اليمين سنيرُ  
 عسى من أرى يعقوب عُرة يوسف      يرينيهُم إنّ القدير قدير<sup>(2)</sup>

2. الحنين إلى المدن المنكوبة:

لما كانت حال الخلافة العباسية في هذه الفترة من العصر العباسي، تتراوح بين الضعف والقوة ، فقد كانت سلطة الدولة المركزية في كثير من أيامها ضعيفة خارج العاصمة، وقد أدى هذا الأمر إلى ثورات وفتن، ليس هذا محل الحديث عنها، لكن بعض هذه الفتن قد أنتج خراباً وتدميراً في بعض المدن. والشعراء عين التاريخ على الأحداث، صوروها فأجادوا التصوير، وبكوها مبرزين حنينهم الشديد إليها.

(1) ديوان الصنوبري، 250.

(2) نفسه، 84. سنير: جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأس قلعة سنير. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 269/3.

ومن هذه المدن: مدينة البصرة، التي خربها صاحب الزنج سنة (255هـ). وقد أكثر ابن الرومي من الحديث عن حركة الزنج، ودور الموفق فيها، "لكن قصيدته الميمية، هي عين تلك القصائد، وإنسان عينها، ودرة تاجها"<sup>(1)</sup>.

فقد بدأ فيها بالبكاء الغزير، وبانعدام النوم متلهفا على معدن الخيرات، وقبة الإسلام،

وعزتها التي أذلت، يقول: [ الخفيف ]

زاد عن مقتلتي لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام  
لهف نفسي عليك يا معدن الـ (م) خيرات ، لهفاً يعُضني إبهامي  
لهف نفسي عليك يا قبة الـ (م) إسلام ، لهفاً يطول فيه غرامي  
لهف نفسي عليك يا فرضة البلبـ (م) دان ، لهفاً يبقى على الأعمام  
لهف نفسي لجمعك المتفاني لهف نفسي لعزك المستضام<sup>(2)</sup>

وفي مجال الحنين، يتذكر ابن الرومي أيام البصرة الجميلة، وحركتها التجارية،

وأسواقها العامرة، وقصورها الفخمة، والقوارب المحملة منها وإليها، يقول: [ الخفيف ]

عرجاً صاحبي بالبصرة الزهـ (م) راء تعريج مدنف ذي سقام  
فأسألاها ولا جواب لذيها أين أسواقها نوات الزحام ؟  
أين فُلكٌ فيها وفُلكٌ إليها منشآت في البحر كالأعلام؟  
بل ألمّا بساحة المسجد الجا (م) مع إن كنتما ذوي إمام  
فأسألاه ولا جواب لذيه أين عباده الطوال القيام  
أين عمّاره الألى عمروه دهرهم في تلاوة وصيام

(1) السوداني، عبد الله، رثاء غير الإنسان في الشعر العباسي، 220 .

(2) ديوان ابن الرومي، 2377/6

## أين فتياته الحسان وجوهاً أين أشياخه أولو الأحلام<sup>(1)</sup>

لقد تساءل (أين) مكرراً ذلك في الأبيات ليزيد اللوعة والحرقة؛ لأن حنينه كان بالغاً في حزنه، وحزنه كان بالغاً في حنينه. فهو يتساءل عن أشياء كانت تملأ الدنيا: الناس بضوضائهم، والأسواق بازدحامها، والسفن منها وإيها، وقصورها عالية محكمة البنيان، ومسجدها الذي كان قبلة للمصلين يعمرونه بالصلاة والتلاوة. والحديث في البصرة يطول مع ابن الرومي بخاصة، لكن ستكون وقفة مع المكان وما يعنيه في الفصل الثاني إن شاء الله.

ومن المدن التي خربت، وعذب أهلها: المدينة المنورة، مدينة النبي - صلى الله عليه وسلم -، حيث دخلها محمد وعلي ابنا الحسن بن جعفر بن موسى بن جعفر سنة (291 هـ) فعاثا فيها فساداً، مما جعل الشعراء يبكون على أيامها، ويحنون إلى مقدساتها، ويتشوقون إلى هدوئها الذي دنسه هؤلاء<sup>(2)</sup> ومما قاله الفضل بن العباسي العلوي<sup>(3)</sup>:

### [ الخفيف ]

أخربت دار هجرة المصطفى البرِّ (م) ر فأكى خرابها المسلمينا  
عين فابكي مقام جبريل والقبر (م) ر فبكي والمنبر الميمونا  
وعلى المسجد الذي أسه التق (م) سى خلاء أضحى من العابدينا  
وعلى طيبة التي بارك الله (م) ه عليها بخاتم المرسلينا  
قبح الله معشراً أخربوها وأطاعوا مشرداً ملعوناً<sup>(4)</sup>

(1) ديوان ابن الرومي، 2378/6.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، 283/10.

(3) الفضل بن العباسي العلوي، من الشعراء المغمورين، يعرف بقصيدته في رثاء المدينة المنورة ينظر: المرزباني، معجم الشعراء، 186.

(4) المرزباني، معجم الشعراء، 186.

ومن المدن الهامة كذلك، التي ملأت الدنيا بهجة، وكانت للخلافة ظئراً، ابتداء من عصر المعتصم حتى المعتضد: مدينة سامراء، التي بناها المعتصم لجنده الأتراك سنة (255 هـ)، وهي المدينة الثانية من مدن بني العباس، سكنها ثمانية منهم، اتسع فيها البنيان وال عمران، أكثر من بغداد، وحين بناها المعتصم أتقن بناءها، وجلب إليها النخل والزروع والثمار، فصارت من أحسن البقاع وأجملها، وحلت فيها الصناعات والهندسات، فصارت آية في الحسن والجمال<sup>(1)</sup>.

وذكر ياقوت الحموي، أن سامراء لم تنزل في صلاح، وزيادة، وعمارة كل يوم، منذ أيام المعتصم والوائق إلى آخر أيام المنتصر بن المتوكل، فلما ولي المستعين، وقويت شوكة الأتراك، واستبدوا بالملك، والتولية والعزل، وانفسدت دولة بني العباس، لم تنزل سامراء في تناقص، للاختلاف الواقع في الدولة بسبب العصبية، التي كانت بين أمراء الأتراك إلى أن كان آخر من انتقل إلى بغداد من الخلفاء، وأقام بها وترك سامراء بالكلية المعتضد بالله الخليفة، وخربت حتى لم يبق منها إلا موضع المشهد الذي تزعم الشيعة أن به سرداب القائم المهدي، ومحلة أخرى بعيدة، وسائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر إليها بعد أن لم يكن في الأرض كلها أحسن منها، ولا أجمل، ولا أعظم، ولا أنس، ولا أوسع ملكاً منها<sup>(2)</sup>. ويذكر ياقوت أن ابن المعتز كان مجتازاً بسامراء، متأثراً عليها، وله فيها كلام منظوم ومنثور في وصفها، ولما استدبر أمرها، جعلت تنقض وتحمل أنقاضها إلى بغداد، يعمر بها، فقال ابن المعتز:

[ المجتث ]

قد أفقرت سرّاً من را      وما لشيء دواً  
فالنقض يُحملُ منها      كأنها آجام

(1) ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 177/3.

(2) معجم البلدان، 177/1.

ماتت كما مات فيلٌ تسلّ منه العظام<sup>(1)</sup>

أرأيت أكثر إيلا من هذه الصورة، التي تصور كيف أقفرت المدينة، وحملت حجارتها إلى أماكن أخرى، فهمدت وخربت، وأصبحت ركاما، كأنها جسد فيل سلت منه عظامه. وفيها يقول أيضا: [ الطويل ]

غدت سر من را في العفاء فيا لها قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

وأصبح أهلوها شبيها بحالها لما نسجتها من جنوب وشمال

إذا مرو منهم شكا سوء حاله يقولون لا تهلك أسي وتجمل<sup>(2)</sup>

والصورة مؤلمة أيضاً، وإن كان الشاعر أفسدها بكثرة التضمين، فكأنه انصرف عن وصفه إلى المحسنات، فجاء الحديث عن سامراء في هذه الأبيات، أضعف منه في الأبيات السابقة. وفي نهاية الحديث عن الأطلال والديار، وشعر الحنين والشوق، وما في ذلك من معاني المحبة والتعلق بالشيء الذي حن إليه، استوقفتني تجربة حنين من نوع آخر، ليست في طلل، ولا في مدينة، ولا في دير، ولا في مجلس، إنما هي حنينية اشتياقية إلى الإنسانية، ممثلة في إبداعها العمراني الجميل، حين يكسف ويندثر، فلا يكون مثيرا عن المحبوبة، ولا عن الشباب، ولا عن الأرض، إنما هو مثير للحضارة بصورتها الواسعة.

تلك الوقفة التي وقفها البحري حين مر بإيوان كسرى بعد أن انقلبت به الحال بعد مقتل المتوكل وخروجه من بلاطه وقد أراد أن يسقط على المكان تجربته النفسية، "وقوف متأملا غير الزمان وتقلباته"<sup>(3)</sup>، وما ترك في هذه الآية العمرانية بعد أن هجرت. " لكن العمران والفن يبقيان حتى لو تلف بعض مكوناتهما"<sup>(4)</sup> وقد وجد البحري مادة فعمل،

(1) ينظر: معجم البلدان، 3/178، والأبيات في ديوان ابن المعتز، 2/582.

(2) ديوان ابن المعتز، 2/182.

(3) التطاوي، عبد الله، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، 64.

(4) الشكعة، مصطفى، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، القسم الثالث: المرحلة العباسية، 383.



وعناصر فجمعها، وخيالاً جمل به بناء القصيدة، على نحو ما بني إيوان كسرى، ورصع أبيات القصيدة بالكلمات والصور، كما رصع الإيوان بالزخارف والتصاوير، وختم قصيدته بالحكم، كما كانت خاتمة الإيوان حكمة الحكم. يقول البحرّي: [ الخفيف ]

صنت نفسي عما يُدّس نفسي      وترفّعت عن جدا كل جَبَسِ  
 أتسلى عن الحظوظ وآسى      لمحلّ من آل ساسان دَرَسِ  
 لو تراه علمت أنّ الليالي      جعلت فيه مأتماً بعد عُرْسِ  
 وهو ينبئك عن عجائب قوم      لا يُشّاب الببانُ فيهم بلبَسِ<sup>(1)</sup>

بعد هذه الوقفة العامة التي يصور فيها ما حل بالإيوان، فإن التغيير لم يقلل من الدلالة، على أن أصحابه كانوا في ذرا المجد، وهامة العلياء.

ثم ينتقل إلى الوصف المادي لهذا الإيوان، يقول:

وكان الإيوان من عجب الصنِّ      (م) عة جوبّ في جنب أرعن جِلْسِ  
 مزعجاً بالفراق عن أنس إلف      عزّ ، أو مرهقاً بتطبيق عِرْسِ  
 عكست حظه الليالي وبات الـ      (م) مشتري فيه - وهو كوكب نحس<sup>(2)</sup>

ويستدرك أن هذا التدمير لم ينل من كبرياء هذا الإيوان، يقول :

لم يعبه أن يزّ من بسط الديـ      (م) باج ، واستلّ من ستور الدمّقسِ  
 مشمخرّ تعلو له شرفات      رفعت في رؤوس (رضوى) و(فُدس)<sup>(3)</sup>

ويأتي الموقف الإنساني، حين يتجرد البحرّي من عصبية القومية والدينية، ليتحدث

عن صاحب الإيوان، بقوله:

(1) ديوان البحرّي، 1152/2 . والجدا: العطاء . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(جدو) الجبس: اللّيم والجبان. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(جيس).  
 (2) ديوان البحرّي، 1159/2 .  
 (3) نفسه، 1160-1159/2 . رضوي: جبل بالمدينة ، منيف ذو جبال وأودية، ينظر الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 51/3 ، وقدس: جبل شامخ بين العرج والسقيا ثم ينقطع وهو بأرض نجد. ينظر الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 321/4.

غير أنني أراه يشهد أن لم يكُ بانيه في الملوك بنكس<sup>(1)</sup>

ثم يخرج إلى العبرة فيقول:

عُمرت للسرور دهرًا فصارت للتعزّي رباعهم والتأسّي<sup>(2)</sup>

ثم لا يملك إلا أن يطلق دموعه سجالا، معبرا من مشاركة وجدانية رغم اختلاف الدين

والجنس. يقول:

فلها أن أعينها بدموعِ موقفاتٍ على الصباية حُبسِ

ذاك عندي، وليست الدار داري باقتراب منها، ولا الجنس جنسي<sup>(3)</sup>

**ثانيا: حنين المكروهين.**

لم تكن للمكروه يد في حاله التي آل إليها، وإنما فعل به ذلك من قبل الآخرين لسبب أو لآخر ومنها الأسباب التي تعود إلى السياسة، والأحزاب، والمعارضة أو الكره الشخصي والتسلط، أو أمور تتعلق بالدين أو الجنس أحيانا. والمكروهون كما وجدت خلال جمع المادة، ثلاثة أقسام:

المسجونون، والمطرودون أو المنفيون، والمسافرون.

1- **المسجونون:** المسجون أو السجين أو الحبس أو المحبوس، فهو الشخص الذي تعقله

سلطة من نوع ما، ولعل هذا جاء في العصر العباسي؛ لأن العصور السابقة كانت كلمة

أسير فيها، تطلق على من أخذه الأعداء، أو حبس لدى سلطته، وقد سمي النبي - صلى

الله عليه وسلم - المحبوس أسيرا، وذلك عندما كان أبو هريرة يحرس الصدقة، فجاءه

(1) ديوان البحتري، 1160/2 .

(2) نفسه، 1161/2 .

(3) نفسه، 1162/2 .

شخص يسرق، وشكا عيلة وفقراً، فرق له أبو هريرة وأطلقه، فلما أصبح سأله النبي -  
عليه السلام - : "ما فعل أسيرك الليلة؟" (1).

والمحبوس مقهور مصادر الحرية، وقد يتقل أحياناً بالحديد، أو يلقي في مكان مظلم، أو في  
حفير ماء، كما كان الأمر في الجاهلية وصدر الإسلام، أو بسجن في خيمة مع الموكل به، أو  
تجمع السجين مع أمثله في أماكن خاصة، يحرسهم فيها سجانون يتصفون عادة بالفضافة وعدم  
الرقّة، لذلك لا عجب أن يضح الأسرى بالشكوى من جهة، فيتبعها الحنين إلى أشياء حرم منها  
المسجون، أو استعطاف للحابس عله يرق عليه ويطلق سراحه. وفي قصة الحطيئة مع الخليفة  
عمر بن الخطاب، ما يدل على استجابة الحابس للمحبوس، حين خاطبه بقوله:

[ البسيط ]

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرخٍ      زُغِبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ  
ألقيت كاسبهم في قَعْرِ مُظلمةٍ      فارحم عليك سلام الله يا عمرُ  
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه      أَلقتُ إليه مقاليدَ النهي البشرُ (2)

وإن كان الحطيئة قد وجد قلباً رحيماً كقلب عمر، وجلساء رحماء ساهموا في تليين  
موقف عمر - رضي الله عنه - فإن غيره من المساجين في حالات كثيرة لم يجدوا ذلك القلب  
الرحيم، ولا أناساً رحماء كأصحاب عمر، فبقي بعضهم في السجن فترات تطول وتقصّر.  
والسجن مكان لا يرغب فيه، ولا يهش إليه، وهذا نبي الله يوسف - عليه السلام - يقول: "  
وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ" (3)، فعد خروجه من السجن نعمة وإحساناً من الله  
سبحانه، وهذا لا يتعارض مع قوله: " قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ" (4)؛ لأنه

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 132/3.

(2) ديوان الحطيئة، 165.

(3) سورة يوسف، 100.

(4) سورة يوسف، 33.

وازن بين سجن الجسم لفترة، وبين سجن الروح، وتلطّيحها بالمعاصي في الدنيا، وما يجنيه ذلك في الآخرة، فاختار السجن، كما أنه لم يفعل ذلك عزيمة، بل اختياراً بين السجن أو أن يصرف الله عنه كيد النساء.

وأياً كانت الحال، فقد كانت تجربة السجن مثمرة أديباً، حيث برز أدب الأسر والسجون، من نثر وشعر، وحسبك بروميات أبي فراس الحمداني مثلاً على ذلك، زيادة على ما أنتجته قرائح الشعراء الآخرين.

**فعلي بن الجهم** له قصة مع السجن، وأية قصة، فمما يرويه الأصفهاني في أغانيه: "أخبرني عيسى بن الحسن الوراق، حدثني ابن الجهم، قال: حبسني أبي في الكتاب فكتبتُ إلى أمي :

[ الكامل ]

يا أمّما أفديك من أمّ أشكو إليك فظاظلة "الجهم"  
قد سرح الصبيان كلهم وبقيتُ محصوراً بلا جُرم

وهو أول شعر قلته، وبعثت به إلى أمي، فأرسلت إلى أبي: والله لئن لم تطلقه، لأخرجن حاسرة حتى أطلقه"<sup>(1)</sup> فلما كبر وانطلقت شاعريته، وكان كما يصفه الرواة "شاعراً فصيحاً مطبوعاً"<sup>(2)</sup>، خص به المتوكل حتى صار من جلسائه، لكن هذه الحال لم تدم، حيث سجنه المتوكل ثم نفاه، لماذا؟ هناك روايات في حبسه:

**الأولى:** أن المتوكل أبغض ابن الجهم لأنه كان يسعى إليه بندمائيه كثيراً، ويذكرهم عند الخليفة بكل قبيح، بل وزاد على ذلك، حيث كان إذا خلا بالخليفة، عرفه أنهم يعيرونه—أي

(1) 173/10 ، وتتنظر: الأبيات في ديوان علي بن الجهم، 180 .

(2) الأصفهاني، الأغاني، 163/10.

الخليفة - ويتلبونه وينتقصونه، وكان المتوكل يكشف عن ذلك، فلا يجد له حقيقة؛ لذلك كرهه  
وسجنه تأديباً وردعا<sup>(1)</sup>.

**والثانية:** أن الشاعر هجا بختيشوع الطبيب<sup>(2)</sup>، وسبه عند المتوكل، فغضب المتوكل وحبسه  
سنة، ثم نفاه إلى خراسان<sup>(3)</sup>.

**أما الثالثة:** فإن جماعة من جلساء المتوكل سعوا بالشاعر إلى الخليفة، وقالوا له  
إنه يجمش<sup>(4)</sup> الخدم، ويغمزهم، وإنه كثير الطعن عليك، والعيب لك، والإزرء على  
أخلاقك، ولم يزالوا به حتى حبسه، ثم أبلغوه عنه أنه هجاه، فنفاه إلى خراسان<sup>(5)</sup>.

وكان إبراهيم بن المدبر شاعراً مطبوعاً، وكاتباً متقدماً، من وجوه الكتاب في العراق،  
كما يقول الأصفهاني - وذوي الجاه ، والمتصرفين في كبار الأعمال والولايات، وكان  
المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله<sup>(6)</sup>، لكنه مع ذلك لم يسلم من الحبس، والقضية كلها تتعلق  
بدسياسة من أحدهم، وكما يروي الأصفهاني أن أخاه أحمد بن المدبر ولي لعبيد الله ابن يحيى  
بن خاقان عملاً، فلم يحمد أثره فيه، وعمل على أن ينكبه، فلما بلغ أحمد ذلك هرب، وكان  
عبيد الله هذا منحرفاً عن إبراهيم بن المدبر، شديد النفاسة عليه، بسبب رأى المتوكل فيه،  
وظل يغري المتوكل بإبراهيم مدعياً أن أخاه أحمد هرب بأموال كثيرة ووضعها عنده، ولم  
يزل يكرر ذلك، ويأتي المتوكل من الجهات كلها، حتى أمر المتوكل بحبسه<sup>(7)</sup>.

**أما محمد بن صالح العلوي** فهو شاعر قرشي، من آل علي بن أبي طالب - كرم الله  
وجهه -، صالح الشعر ظريف، متقدم في الشعر، وليس عجباً أن يزج به في السجن؛ فهو لم

(1) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 163/10.

(2) بختيشوع: بختيشوع بن يوحنا، طبيب من أهل بغداد، كان حظياً عند الخلفاء، توفي (329هـ). تنظر ترجمته: ابن أبي أصيبعة:  
عيون الأتباء في طبقات الأطباء، 202/1 وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 257/3.

(3) الأغاني، 164/10.

(4) يجمش: يغازل بقرص ولعب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جمش).

(5) ينظر: الأغاني، 166/10.

(6) ينظر: نفسه، 110/22.

(7) ينظر: نفسه، 111/22.

ينادم الخليفة المتوكل، إنما خرج عليه في ثورة ضد الخلافة العباسية - فظفر به أحد قادة المتوكل مع أهل بيته، فأخذهم وقيدهم، وقتل بعضهم، وخرّب منازلهم، وحمل محمد بن صالح إلى سامراء، فحبس ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل بشعر غني في مجلسه، فطرب وسأل عن قائله، فلما عرف بخبره أمر بإطلاقه<sup>(1)</sup>.

وكان سليمان بن وهب من فحول الكتاب، عريقاً في الكتابة، استوزره المهدي، ولقب الوزير حقاً لأن من كان قلبه - كما يقول الأصفهاني - كان غير مستحق للوزارة، ولا مستقل بها<sup>(2)</sup>، ولم يسلم سليمان من دخول السجن، حتى قال يونس السامرائي: " تعرض سليمان بن وهب خلال حياته إلى الحبس والمصادرة والنكبة أكثر من مرة"<sup>(3)</sup>.

فإذا تدبر الإنسان روايات سجنه؛ فإنها تدور حول وشايات، وسعايات، فقد روى

الأصفهاني أن أحد المغنين غنى بين يدي الوراق:

[ الطويل ]

من الناس إنسانان دَيَّيَ عليهما      مليان لو شاء لقد قضيانِي

خليليَّ أمَّ أمِّ عمروٍ فمَنهما      وأما عن الأخرى فلا تسلاتي<sup>(4)</sup>

فدعا الوراق خادماً كان لوالده المعتصم، ثم قال له: أصدقني وإلا ضربت عنقك.

قال: سل يا أمير المؤمنين عما شئت. قال: سمعت أبي يتمثل بهذين البيتين، ويومئ إليك إيماءً

تعرفه، فمن اللذان عني؟ قال: إنه وقف على إقطاع أحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب ألفي

دينار، وأنه يريد الإيقاع بهما، فكان كلما رآهما يتمثل بهذين البيتين. قال الوراق: صدقتني والله

لا سبقاني بهما كما سبقاه، ثم أوقع بهما<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 248/16.

(2) الأصفهاني، الأغاني، 130/23.

(3) آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي، 386.

(4) الأبيات في: ديوان ابن الدميني، 168.

(5) ينظر: الأغاني، 168/20.

ولعل سليمان بن وهب قد كان يتوقع مثل ذلك، فقد روى الأصفهاني أن الواثق نظر إلى أحمد بن الخصيب فتمثل بهذين البيتين، فلما سمع سليمان بذلك، قال: إنا لله ! أحمد بن الخصيب هو أم عمرو، وأنا الأخرى.

وقد تحدث الرواة عن أن محمد بن عبد الملك الزيات كان السبب في نكبتهما<sup>(1)</sup>.

ومن الشعراء أيضاً **عاصم بن محمد الكاتب**: فهو متأخر - كما قال المرزباني - حسن الشعر<sup>(2)</sup>. ولم يسلم هو الآخر من محنة السجن، ولم تذكر الروايات كيف سجن، ولا لماذا، إلا ما ورد في المحاسن والمساوي من أن الوزير أحمد بن عبد العزيز<sup>(3)</sup> حبسه<sup>(4)</sup>.

أما **عبد الله بن المعتز** فهو شاعر، خليفة يوم وليلة، في شعره رقة ملوكية، وغزل الظرفاء، وهلهة المحدثين، وفيه أشياء تجري في أسلوب المجيدين<sup>(5)</sup>، وهو من الذين دبروا للاستيلاء على الخلافة، حين خطط لخلع المقتدر، فألقي القبض عليه وسجن، وقتل في سجنه<sup>(6)</sup> ولعل سجن المخالفين لنزوات شخصية أو تأديباً لهم، هو استكمالاً لما كان في عصور سابق، وبخاصة القرن الثاني الهجري<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 169/20.

(2) ينظر: معجم الشعراء، 128. ولم أعثر على ترجمته وافية في كتب التراجم.

(3) أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، أمير من بيت رئاسة ومجد، كان من ولاية المعتمد والمعتضد العباسيين، توفي (280هـ)، تنظر ترجمته في: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 153/7، وابن نخعي بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 74/3.

(4) ينظر: البيهقي، 394. وقد ذكر الجاحظ في المحاسن والأضداد، 293، والبيهقي في المحاسن والمساوي، 394 قصيدة له عارض فيها قصيدة لعلي بن الجهم مطلعها: قالت حبست فقلت ليس بضائري حبسي وأي مهند لا يغمد (ديوان علي بن الجهم، 85).

(5) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 217/10.

(6) ينظر: البزرة، أحمد مختار، الأسر والسجن في شعر العرب، 238.

(7) ينظر في ذلك: الخواجة، إبراهيم شحادة، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، 191، 194، 199.

## موضوعات شعر الحنين لدى الشعراء المسجونين:

يمثل الشعر للشعراء السجناء تعزية للنفس، عن مصابها، لذا تناول الشعراء في التعبير عن تجربة السجن موضوعات متعددة، دارت حول تلك التجربة المؤلمة التي مروا بها، وما تركته في نفوسهم من آثار، كانت سلبية في غالبها<sup>(1)</sup>.

ومن الواضح أن الحنين إلى الحرية والأهل، والمنزل، والأصدقاء هو الموضوع الرئيس، ولكن اتخذ عدة صورة للتعبير عنه: فحين يصف همومه وآسياه داخل السجن، فإنما يحن إلى أيام الراحة والدعة خارج السجن، وعندما يصف ضيق السجن، وشدة الحراس، وثقل القيود، فإنه يحن إلى عكسها: إلى الفضاء والدينا، والحركة والأصحاب، وهكذا. وبناء على هذا، فقد كانت الصور التي اتخذها شعر الحنين، لدى الشعراء المسجونين، كما يأتي.

### **1- وصف مكان السجن:**

محيط الشاعر في سجنه هذه الجدران الأربعة، وما يلقي فيها من معامله قاسية من الحراس والسجان، ويظل الشاعر السجين يدير عينيه نحو الباب؛ لأنه منفذ الحرية الوحيد، منه يخرج إلى العالم الفسيح. ومن الذين تحدثوا عن المكان: سليمان بن وهب الذي تعرض للحبس غير مرة - كما مر سالفاً - فقاسى مرارة السجن - وضاق بسجنه وبقيوده، وبخاصة وهو الأمير الذي كان إيوانه ومجلسه من الاتساع، بحيث يؤثر في نفسه بقاؤه في مكان ضيق،

[ المديد ]

يقول:

يا أخي لو ترى مكاني في الحب (م) س وحالي وزفرتي وعويلي

(1) ينظر: الحمداني، هادي، شعر السجون والأسر في الأدب العربي، ص36. مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، ع 13، 1970م، والخطيب، رشا، تجربة السجن في الشعر الأندلسي، ص36، ماجستير، الجامعة الأردنية 1996 م.



وعثاري إذا أردت قياماً وعوداً في مثقلات الكبول

لرأيت الذي يغمك في الأعداء (م) داء إن يسلكوا جميعاً سبيلاً<sup>(1)</sup>

هنا توجع لحاله، وألم في مأساته، لكنه يتحدث عن عنصر مهم من عناصر السجن، وهو القيد؛ فهو يعثر إذا أراد القيام، وتنقله القيود وهو جالس، أما المكان نفسه، فقد أبقى الحديث عنه مجهولاً في قوله (لو ترى مكاني في الحبس)، حتى يستشعر المخاطب هول المكان، وضنكه، وحسبك بمكان لو رأيتك لغمك أن ترى فيه الأعداء.

أما محمد بن صالح العلوي، فقد هفا فؤاده، وحنّ بصراحة لحياته خارج السجن، ذكّره بها برق ضعيف اللعان، وما هذا الضعف إلا لأن السجن حال بينائه العالي بينه وبين أن يراه الشاعر، وقد هفت نفسه، وتحامل لينظر كيف لاح ذلك البرق، لكن السجن كان له بالمرصاد، يقول:

[ الكامل ]

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه وتشعبت شعباً به أشجانه  
وبدا له من بعد ما اتدمل الهوى برق تألّق مؤهناً لمعانه  
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرا متمنّع أركانه  
فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق نظراً إليه وردّه سجاناً<sup>(2)</sup>

فالبناء شامخ، وقوي لا يسمع بمرور البرق، والسجان يقظ لا يسمح للمسجون أن ينظر إلى لمعان البرق.

ومن الذين تحدثوا عن الحرس، علي بن الجهم، يقول:

[ الطويل ]

وما لعهود الغايات ذميمة وليلى حرام أن تُذمّ عهودها

(1) التنوخي، المحسن، الفرغ بعد الشدة، 174.

(2) الأصفهاني، الأغاني، 248/16.

أَلَمَتْ وَجُنْحَ اللَّيْلِ مُرْخٍ سَدَوَلَهُ      وَللسَّجْنِ أَحْرَاسٌ قَلِيلٌ هَجُودَهَا<sup>(1)</sup>  
فالحارس يقظ لا يهجع.

ولنتأمل هذه اللوحة المعبرة عن المكان، يقول عاصم الكاتب: [ الكامل ]

عَشْنَا بِخَيْرِ بَرَهَةٍ فَكَبَا بِنَا      رَيْبُ الزَّمَانِ ، وَصَرْفُهُ الْمَتَرَدُّ  
قَصَرَتْ خُطَايَ وَمَا كَبِرْتَ وَإِنَّمَا      قَصَرْتُ لِأَنِّي فِي الْحَدِيدِ مَصْفَدُ  
فِي مُطَبَّقٍ فِيهِ النَّهَارُ مُشَاكِلٌ      لِلَّيْلِ وَالظُّلُمَاتِ فِيهِ سَرَمَدُ  
تَمَضَى اللَّيَالِي لَا أَدُوقُ لِرَقْدَةٍ      طَعْمًا ، فَكَيْفَ حَيَاةً مِنْ لَا يَرْقُدُ  
فَتَقُولُ لِي عَيْنِي إِلَى كَمْ أُسْهَرْتُ      وَيَقُولُ لِي قَلْبِي إِلَى كَمْ أُكْمَدُ  
وَعِذَائِي بَعْدَ الصُّومِ مَاءٌ مُفْرَدُ      كَمْ عَيْشٌ مَنْ يَغْذُوهُ مَاءٌ مُفْرَدُ  
وَإِذَا نَهَضْتُ إِلَى الصَّلَاةِ تَهْجِدًا      جَذِبْتُ قِيُودِي رَكْبَتِي فَأَسْجِدُ<sup>(2)</sup>

بكل وضوح وصراحة يأتي الشاعر بوصف لحاله قبل السجن، أوجزه في كلمة واحدة هي: (خير)، وتكفي هذه الكلمة ليسرح فيها فكر الإنسان، إذ كل ما هو خارج السجن خير، فلما انتقل إلى تفصيل الحديث عبّر عن الضيق الشديد باستخدام الكناية (قصرت خطاي)، واحترز بأن قصر الخطو لم يكن نتيجة الكبر، بل بسبب ثقل القيود، أما بناء السجن، فهو مطبق مغلق لا نوافذ فيه، لا تفرق فيه بين الليل والنهار، وكأن الليل سرمد لا ينتهي، حتى الغذاء داخل السجن فهو الماء فقط، وكيف سيعيش من لا يتغذي إلا على الماء؟! أما صلاته فيؤديها كلها قاعداً لأنه لا يستطيع الوقوف من ثقل القيود. وقد نظر ابن الجهم نظرة أخرى إلى السجن، فقد رآه نعم المنزل، يجدد كرامة الإنسان، ويزار فيه ولا يزور، يقول: [ الكامل ]

وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لِلدَّيْنَةِ      شِنْعَاءُ نَعَمِ الْمَنْزِلِ الْمَتَّوَرِدِ

(1) ديوان علي بن الجهم ، 50  
(2) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92، والبيهقي، المحاسن والمساوي، 394، والبيهقي، الصبح المنبي عن حثية المتنبّي، 65.

بيتٌ يجددُ للكريم كرامةً      ويُزار فيه ولا يزورُ ويحفدُ  
ولم يكن في السجن إلا أنه      لا يستدلكُ بالحجاب الأعْبُدُ<sup>(1)</sup>

ولا شك أن هذا النظر إلى السجن بهذه الصورة ليس حقيقياً، إنما هو نوع من التعويض؛ إذ لم يمدح الحبس أحد، لكنه ينظر إليه موازناً بينه وبين إذلال الحجاب أمام بيوت الأمراء، فوجده أفضل ولكن لا يخفي أن قلبه يعتصر ألماً، ويتصبر تصبراً، وهو الذي يقول في هذه الأبيات:

صبراً فإن الصبر يُعقبُ راحة      ويدُ الخليفة لا تطاؤها يدُ<sup>(2)</sup>

## 2- وصف المأساة:

إن حياة السجين داخل السجن، هي المأساة بعينها، وكفاك أنه يفقد الحرية، ويفقد الحركة، ويفقد الأصحاب والأهل والمال والولد، كما يفقد الغذاء الصالح، والماء العذب، والهواء النقي، وما أجمل ما عبر به ابن الجهم عن هذا الواقع في قوله: [ الطويل ]

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها      فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى  
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجةٍ      عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا  
ونفرحُ بالرؤيا فجلُّ حديثنا      إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرؤيا  
فإن حسنتُ لم تأتِ عجلي وأبطأت      وإن قبحتُ لم تحتبسْ وأتت عجلي<sup>(3)</sup>

فيكفي بؤساً وألماً أن يخرج السجين من الدنيا وهو فيها، ولا يعد من الأحياء ولا من الموتى، وما أجمل ما عبر به عن مجيء السجان، فيقول السجناء: جاء هذا من الدنيا، ولا عمل لدى السجين إلا أن يتحدث في الأحلام، والرؤى، لكن الطريف أن هذه الرؤيا إن كانت

(1) ديوان علي بن الجهم، 45 .

(2) نفسه، 46 .

(3) نفسه، 96 .

حسنة - وغالبا تكون عن الحرية والخروج من السجن ولقاء الأحبة - فإنها لا تتحقق، وإن كانت قبيحة تتحقق بسرعة.

أما عاصم الكاتب، فقد صور مأساته بأنها من جور الزمان، فقارن بين حاله خارج السجن، وبينها داخله، فلو كان حرا ما كان يقيد رغما عنه، ولو كان سيفاً قاطعا لما أغمد وقت حاجته، ولو كان ليثا هصورا لما نهشته الذئاب، إن زاره في سجنه عدو فإنما للشماتة،

وإن زاره صديق فللبياء وللألم، يقول:

[ الكامل ]

قَالَتْ حُبْسَتْ فَقُلْتُ خَطْبٌ أَنْكُدُ      أُنحَى عَلَيَّ بِهِ الزَّمَانُ الْمُرْصَدُ  
مَنْ قَالَ إِنَّ الْحَبْسَ بَيْتٌ كِرَامَةٌ      فمكابرٌ في قوله مُتَجَدِّدٌ  
مَا الْحَبْسُ إِلَّا بَيْتٌ كُلُّ مَهَانَةٍ      وَمَذَلَّةٍ وَمَكَارِهِ مَا تَنْفَذُ  
يَكْفِيكَ أَنْ الْحَبْسَ بَيْتٌ لَا تَرَى      أَحَدًا عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَائِقِ يُحْسَدُ<sup>(1)</sup>

هكذا هو الحبس، بيت كل مهانة، تغشاه الذلة، ويعمه الكره، لا كرامة فيه إنما تجلد وتصبر.

وقد أذابت الهموم ابن المعتز، فخضع واستكان، كيف لا وهو الوزير و ابن الخليفة، يتحول من عيش خصيب، وسرور وطيب، إلى مكان موحش ومظلم، في حزن دائم. يقول:

[ الخفيف ]

مَنْ يَذُودُ الْهَمُومَ عَنْ مَكْرُوبٍ      مُسْتَكِينٍ لِحَادِثَاتِ الْخَطُوبِ  
حَوْلَتَهُ الدُّنْيَا إِلَى طَوْلِ حَزْنٍ      مِنْ سُرُورِ وَطِيبِ عَيْشِ خَصِيبِ  
فَهُوَ فِي جَفْوَةِ الْمَقَادِيرِ لَا يَأْ      (م) خذ يوماً من دولة بنصيب<sup>(2)</sup>

(1) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92، والبيهقي، المحاسن والمسائ، 394، والبيهقي، الصبح المنبي عن حيشة المتنبى، 65.

(2) ديوان ابن المعتز، 252/2.

### 3- الأشخاص خارج السجن:

تنوع الأشخاص الذين تحدث عنهم الشعراء المسجونون؛ فمنهم المرأة، والأخ، والصديق، والحاسد، والعدو. فمن الذين حنوا إلى أحبائهم وأهلهم وأقاربهم من الأصدقاء، ابن المدبر الذي استغل مرور الريح إلى ناحيتهم، ليرسل لهم السلام، وليحملها شكوى من طول عذابه وآلامه، يقول:

[ الطويل ]

وإني لأستنشي الشمال إذا بدت      حيناً إلى آلاف قلبي وأحبابي  
وأهدي مع الريح الجنوب إليهم      سلامي وشكوى طول حزني وأوصابي<sup>(1)</sup>

لكن سليمان بن وهب يتذكر أخاه هذه اللحظة، فيرسل إليه رسالة يشرح فيها حاله في

[ المديد ]

السجن، وهي نوع من التنفيس عن هذا الكبت، يقول:

هل رسول وكيف لي برسول      إن لي لي إن نمتُ جدّ طويل  
هل رسول إلى أخي وشقيقي      ليت أني مكانَ ذاك الرسول  
يا أخي لو ترى مكاتي في الحب (م)      س وحالي وزفرتي وعويلي<sup>(2)</sup>

وما أجمله من تعبير حين يتمنى أن يكون هو نفسه الرسول، وما ذاك إلا لعشقه الشديد

للحرية، وشوقه إلى رؤية أخيه. ولعل أخاه قد أدرك مدى الجزع الذي في نفسه، فأرسل إليه:

[ الكامل ]

محنّ أبا أيوب أنت محلّها      فإذا جزعتَ من الخطوب فمنّ لها ؟  
فاصبر فإن الله يُعقبُ فرجة      فلربما أن تنجلي ولعلّها  
وعسى تكونُ قريبةً من حيث لا      ترجو ، وتمحو عن جديك ذلّها<sup>(3)</sup>

(1) الأصفهاني، الأغاني، 124/22 .

(2) التتوخي، المحسن ، الفرج بعد الشدة، 174 .

(3) نفسه، 42 .

ويبدو أن الموعظة قد فعلت فعلها في الشاعر، فكتب إلى أخيه: [ الكامل ]

صَبَّرْتَنِي وَوَعظْتَنِي فَأَنَا لَهَا      وَسْتَجَلِي بِلَ لَا أَقُولُ لَعَلَّهَا

ويحلها من كان صاحب عقدها      ثقةً به إذ كان يُحسِنُ حلَّها<sup>(1)</sup>

والمرأة متنفس الشعراء، ورمز السلامة والتنعم والراحة، فكثيرا ما كان يتخيلها

الشاعر وهو في سجنه، تحاوره ويحاورها، ويبثها شوقه وأنيته، يقول عاصم الكاتب:

[ الكامل ]

قالت: حبست، فقلت: خَطْبُ أَنْكُدُ      أنحى عليّ به الزمان المرصِدُ<sup>(2)</sup>

فقد حاور المرأة من أجل أن يسرد لها حاله المؤلمة، التي عاناها في السجن.

أما طيف ليلي، فقد ألمَّ بعلي بن الجهم في سجنه، فبثها آلامه وأحزانه، حتى بكت ألما

له، فأخذ يشد أزرها، كل ذلك في الخيال فقط، يقول: [ الطويل ]

وما لعهود الغانيات ذميمةً      وليلى حرامٌ أن تُذمَّ عهودُها

ألمّت وجنح الليل مرخٍ سدوله      وللسجن أحرّاس قليل هجودُها

إذا سلّمت نفس الحبيب تشابهت      حروف الليالي سهّلها وشديدها<sup>(3)</sup>

أما الحساد والأعداء، فهم هاجس الشاعر، لأنه غالبا دخل الحبس من فتنهم وفسادهم،

فهذا عاصم الكاتب، كل ما يخشاه أن يحل عدوه في قلب أميره وسيده، يقول: [ الكامل ]

فَبُعِدْتُ عَنْهُ مُجْبِرًا مَتَكْرَهًا      اللهُ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ وَيَشْهَدُ

وخلّا العدو بموضعي من قلبه      فحشاه جمرًا ناره ما تخمدُ<sup>(4)</sup>

(1) التتوخي، المحسن، الفرج بعد الشدة، 42.

(2) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92، والبيهقي، المحاسن والمساوي، 394. والبيدي، الصبح المنبى عن حيشة المتنبى، 65.

(3) ديوان علي بن الجهم، 50.

(4) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92، والبيهقي، المحاسن والمساوي، 394.

فهذا هو الدور الحقيقي للحساد، وهو إيغار صدر الخليفة أو الأمير، حين يكون نده أو خصمه، أما علي بن الجهم فيلجأ إلى السب والشتم، ولا يكتفي فيسمي الأشياء بأسمائها، يقول:

[ الوافر ]

تضافت الروافض والنصارى      وأهل الاعتزال على هجائي  
فبختيشوع يشهد لابن عمرو      وعزّون لها دون المرائي  
وعابوني وماذني إليهم      سوى علمي بأولاد الزنّاء  
إذا ما عدّ مثلهم رجلاً      فما فضل الرجال على النساء  
عليهم لعنة الله ابتداءً      وعوداً في الصباح وفي المساء  
إذا سميتهم للناس قالوا      أولئك شرّ من تحت السماء<sup>(1)</sup>

ويتناول عليهم مرة أخرى ويشتمهم في معرض تعهده بالطاعة للخليفة، وتعريضه

[ المتقارب ]

بهم، يقول:

ولا عدت أعصيك فيما أمرت      به أو أرى في الثرى ملحدا  
وإلا فخالفت ربّ السماء      وخنت الصديق وعفت الندى  
وكنت كعزّون أو كابن عمرو      مباح العيال لمن أولدا  
أكثر صبيان بيتي لكي      أغيظ بهم معشراً حسدا<sup>(2)</sup>

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من مسبات وشتائم رمى بها أعداءه؛ فعياهم مباحة لمن

أراد أن يزني بهن، وذلك ليكثروا بأولاد الزنى.

(1) ديوان علي بن الجهم، 84-85 .

(2) نفسه، 79-80 .

#### 4- المكابرة والتجلد:

عادة ما يبدي المسجون صبراً وتجلداً في سجنه، ومعظم هؤلاء الشعراء من الذين زج بهم في السجن بدسياسة داس أو سعاية ساع، أو كيد كائد، فأظهار الضعف أمام هؤلاء منقصة. ولقد أكثر هؤلاء الشعراء من التعبير عن التجلد، ومن أكثرهم حديثاً عن التجلد، علي بن الجهم، يقول:

[ الكامل ]

قالت: حُبستَ، فقلتُ: ليس بضائري      حبسي وأيّ مهندٍ لا يُغمدُ؟  
أو ما رأيتِ الليثَ يَألفُ غِيْلَهُ      كبيراً، وأوباشَ السَّبَّاحِ تردُّدُ  
والغيثُ يحصره الغمامُ فما يُرى      إلا وريقه يُراحُ ويرْعُدُ<sup>(1)</sup>

فهو يتجلد، ويضرب الأمثال بالأسد الذي يطمئن في عرينه، في حين تكون الوحوش الصغيرة تتجول في الغابة، وبالمطر الشديد الذي حجب بالغيوم، بحيث تظهر منه حركة الريح والبرق والرعد.

وفي موضع آخر يقول:

[ الطويل ]

فلا تجزعي إِمّا رأيتِ قِيودَهُ      فإنّ خلاخيلَ الرِّجالِ قِيودُهُما<sup>(2)</sup>

وهو تعليل من نوع المكابرة والتنفيس عن الألم الذي يحسه، ويقول أيضاً: [ الطويل ]

سأصبرُ حتى يَعْلَمَ الصَّبْرُ أنِّي      أخوه الذي تطوى عليه جوانحُه  
وأقبلَ ميسورَ الزمانِ وإنّما      أرى العيشَ مقصوراً على من يسامحُه<sup>(3)</sup>

[ السريع ]

فهو التحدي والمكابرة أيضاً، ويقول:

ما أحسن الصبر ولا سيّما      بالحرّ إن ضاقت به الحالُ

(1) ديوان علي بن الجهم، 41. الريق: الطرف والناحية. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ريق).

(2) نفسه، 85.

(3) نفسه، 65.



يشهد أعدائي بأنني فتى      قَطَّاعُ أسبابٍ وَوَصَّالُ  
لا تملك الشدة عزمي ولا      ولا يبطنني جاةً ولا مال<sup>(1)</sup>

ومن أكثر الذين لجأوا إلى الصبر والتجلد: ابن المدبر، يقول: [ الكامل ]

لا تُؤيسنك من كريم نبوة      فالسيف ينبو وهو عَضْبٌ باترُ  
هذا الزمان تسومني أيامه      خسفاً ، وها أنا ذا عليه صابر<sup>(2)</sup>

ويلجأ إلى التعريض والتلميح بما فيه من بعض الاستعطاف، يقول: [ الطويل ]

ألا طرقت سلمى لدى وقفة الساري      فريداً وحيداً مُوثِقاً نازح الدارِ  
هو الحبسُ ما فيه عليّ غضاضة      وهل كان في حبسِ الخليفة من عارٍ؟<sup>(3)</sup>

ويقول أيضاً: [ الوافر ]

فلولا الحبسُ ما بلي اصطبارُ      ولولا الليل ما عُرف النهارُ  
وما الأيامُ إلا معقباتٌ      ولا السلطانُ إلا مستعارُ<sup>(4)</sup>

وهو تعليل متكلف بلا شك، لأن الصبر يكون في الشدائد كلها، والحبس شدة من هذه

الشدائد.

وقد دعا ابن المعتز نفسه إلى التصبر، لعل الله يأتيه بالفرج، فحينما سجن وفي الليلة التي قدم في صبيحتها المكتفي إلى بغداد، خاف على نفسه كثيراً، وتوقع الموت، فمرت به

في السحر طير وصاحت، فتمنى أن يكون مثلها، يقول: [ البسيط ]

يا نَفْسُ صبراً لعلَّ الخير عُقباك      حاشاكِ بعد طول الأمنِ دنيالكِ  
مرّت بنا سحرًا طيرٌ فقلت لها :      طوباكِ ، ياليتني إياكِ طوباكِ

(1) ديوان علي بن الجهم ، 68

(2) الأصفهاني، الأغاني، 112/22 .

(3) نفسه ، 112/22 .

(4) نفسه، 111/22 .

لكن هو الدهر فالقيه على حذرٍ فربّ مثلك ينزو تحت إشراك<sup>(1)</sup>

5- الفخر: وهذا الموضوع مكمل للتجدد؛ إذ يتصور الشاعر المحبوس نفسه، وقد تشفى فيه

أعداؤه وحساده، فإلتفت إليهم مفتخراً، متعالياً، وهو نوع من التغطية على النقص الذي

يحس به في حبسه. ومن هؤلاء ابن المدبر الذي يقول: [ الكامل ]

إن طال ليلى في الإسار فطالما      أفنيتُ دهرًا ليلُهُ متقاصرُ  
والحبسُ يحجبني وفي أكنافة      مني على الضراء ليثٌ خادرُ  
عجبا له كيف التقت أبوابه      والجودُ فيه والربيعُ الباكرُ  
هلا تقطع أو تصدع أو وهي      فعذرتُهُ ، لكنه بيَ فاخرُ<sup>(2)</sup>

فهو الليث الملازم لأجمته، وما أجمل مبالغته في تعبيره عن نفسه بأنه الجود والربيع

متعجبا للسجن كيف لم يتصدع، أو يتقطع، لكن ما منعه من ذلك هو فخره بمن يسكنه. ويقول

أيضاً:

وما أنا إلا كالجواد يصونه      مقومه للسبق في طي مضمار  
أو الدرة الزهراء في قعر لجة      فلا تجتلي إلا بهول وأخطار<sup>(3)</sup>

ويقف ابن المعتز الموقف ذاته، وإن كان قد فخر بعد تذللّه واستكانته، يقول: [ الخفيف ]

قلّ لدياي قد تمكّنت مني      فافعلي ما أردت أن تفعلي بي  
واخرقي كيف شئت خرق جهولٍ      إن عندي لك اصطباراً لبيب  
رُبّ أعجوبة من الدهر بكرٍ      وعوان قد راضها تجريبي<sup>(4)</sup>

(1) ديوان ابن المعتز ، 311/2 .

(2) الأصفهاني، الأغاني، 112/22 . والليث الخادر : الملازم لأجمته. ينظر: ابن منظر، لسان العرب، مادة ( خدر).

(3) الأصفهاني، الأغاني، 112/22 .

(4) ديوان ابن المعتز، 255/ 2 .

## 6- القضاء والقدر:

يتحدث المسجونون عادة، عن أن سجنهم مكتوب عليهم من الأصل، ومقدر عليهم من الأزل، وأنهم راضون بقضاء الله لأنه من الله، وهم يعززون أنفسهم في ذلك، ويطمئنون إلى القضاء والقدر؛ ليجلبوا إلى أنفسهم بعض الراحة والسكينة والهدوء.

يقول محمد بن صالح العلوبي: [ الكامل ]

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه      والماء ما سحتت به أجفانه  
ثم استعاذ من القبيح وردّه      نحو العزاء عن الصبا إيمانه  
وبدا له أن الذي قد ناله      ما كان قدره له ديانه  
حتى اطمئن ضميره وكأنما      هتك العلائق عامل وسنانه<sup>(1)</sup>

هكذا يطمئن؛ لأن الذي ناله مقدر من الديان سبحانه وتعالى.

ويقول ابن المدبر: [ الوافر ]

وعن قدر حبست فلا نقيض      وفيما قدر الله الخيار  
سيفرج ما ترين إلى قليل      مقدّره وإن طال الإسار<sup>(2)</sup>

كما يقول: [ الطويل ]

لعل وراء الغيب أمراً يسرنا      يقدره في علمه الخالق البارئ<sup>(3)</sup>

إذن، فهو القضاء والقدر، وأنعم بهما، " فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا"<sup>(4)</sup>، وهكذا ينظر ابن المدبر إلى السجن.

(1) الأصفهاني، الأغاني، 248/16 .

(2) نفسه، 111/22 .

(3) نفسه، 112/22 .

(4) النساء، 19 .

وبما أن الشاعر قد نظر إلى الأمر على أنه قضاء وقدر، يقبله برضى، فلا بد أن يتوجه إلى من قضى وقدر، يدعوه ليفرج عنه.

فهذا سليمان بن وهب يقول: [ المديد ]

ولعلَّ الإله يأتي بصنعٍ      وخلصٍ وفرجةٍ عن قليل<sup>(1)</sup>

ويتوجه عاصم الكاتب بضراعة إلى الله أن يرحم غربته، وأن يفرج عنه، يقول: [ الكامل ]

فإلى متى هذا الشقاء مؤكِّدٌ      وإلى متى هذا البلاءُ مجدِّدٌ

يا ربَّ فارحم غربتي وتلافني      إني غريبٌ مفردٌ متلدد<sup>(2)</sup>

وهذا ابن الجهم يتوجه إلى الله أيضا مباشرة، فيقول: [ الطويل ]

إلى الله فيما نابنا نرفع الشكوى      ففي يده كشف الضرورة والبلى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها      فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى<sup>(3)</sup>

7- العتاب والاستعطاف: حين توجه الشعراء بالدعاء إلى الله، لم ينسوا الأمراء والحكام الذين

حبسوهم، فقد توجهوا إليهم بالاستعطاف والتذلل ليرحموا ضعفهم، ويقدرُوا وضعهم،

ويأمرُوا بالإفراج عنهم، ومن الذين أكثرُوا من ذلك علي بن الجهم، يقول:

[ الكامل ]

بلغ أمير المؤمنين ودونهُ      خوَضُ العدى ومخاوفٌ لا تنقُدُ

أنتم بني عمّ النبي محمدٍ      أولى بما شرع النبي محمدُ

ما كان من حسنٍ فأنتم أهله      طابت مغارسكم وطاب المحتدُ

أمن السويّة يا ابن عم محمد      خصمٌ تُقربيه وآخرٌ تُبعِدُ<sup>(4)</sup>

(1) التتوخي، المحسن، الفرج بعد الشدة، 174.

(2) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92، البيهقي، المحاسن والمساوي، 395.

(3) ديوان علي بن الجهم، 96.

(4) نفسه، 46.

فهو يتقرب إليه، ويستعطفه بأن مدحه بقرابته من الرسول - صلى الله عليه وسلم -

وهو المعنى الذي أفاض فيه كثيرا ابن الجهم، ويقول أيضا : [ المتقارب ]

عفا الله عنك ألا حُرْمَةً      تعوذُ بعفوك أن أبعدا  
لئن جلَّ ذنبٌ ولم اعتمدهُ      فأنت أجلُّ وأعلى يدا  
ألم ترَ عبداً عدا طُورَهُ      ومولىً عفا ورشيداً هدى  
أقلني أقالك مَنْ لم يزلُ      يقيقك ويصرفُ عنك الردى  
وينجيك من غمرات الهموم      ووردك أصعبها مَورداً<sup>(1)</sup>

وهو في استعطافه يصف نفسه بأنه عبد تجاوز مقداره، ويدعو الله أن يحمي الخليفة،

وأن يجنبه غمرات الهموم، ويدعو الخليفة إلى أن يعفو عنه، وأن يقل عثرته.

وفي موضع آخر يرسل إلى طاهر بن عبد الله من حبسه، يذكره بحرمته، وأن يتجاوز

عن زلته عنده ويحفظ مقامه ، يقول: [ مجزوء البسيط ]

إن كان لي ذنبٌ فلي حُرْمَةً      والحق لا يدفعه الباطلُ  
وخرمتي أعظمُ من زلَّتِي      لو نالني منْ عدلكم نائلُ  
ولي حقوقٌ غير مجهولة      يعرفها العاقلُ والجاهلُ<sup>(2)</sup>

ويذكر الممدوح بصفاته الحسنة، وبخاصة فعل المعروف، والفضل والصفح، ويركز

هنا على الصفع، متذللاً بأنه عبد أساء، يقول: [ المتقارب ]

إنْ تعفُ عن عبدك المسيءِ ففِي      فضلك ماوى للصفح والمننِ  
أتيتُ ما أستحقُّ من خطأ      فعدُّ لما تستحقُّ من حسن<sup>(3)</sup>

(1) ديوان علي بن الجهم ، 77-78.

(2) نفسه، 169 .

(3) نفسه، 189 .

أما ابن المدبر، فهو يتوجه إلى الخليفة بعد الله، طالبا عفوه، فإن كان القدر مساعدا فإن مقصده ناجح، وإن لم يساعده القدر، فهو يبقى مخلصا يحفظ الود لأهله، يقول:

[ الطويل ]

ولي حاجة إن شئت أحرزت مجدها      وسرّك منها أول ثم آخر  
كلام أمير المؤمنين وعطفه      فما لي بعد الله غيرك ناصر  
وإن ساعد المقدور فالنجح واقع      وإلا فإني مخلص الود شاكر<sup>(1)</sup>

أما عاصم الكاتب، فيستعطف الأمير أحمد بن عبد العزيز، مذكرا إياه بأيام حرمة ومقامه عنده، طالبا أن يدوم له على الود، وأن لا يشمت به الأعداء خاتما كلامه باللجوء إلى بياض وجه الأمير ليجيريه من وجهه الأسود، يقول:

[ الكامل ]

وأذكر خصائص حرمتي ومقاومي      أيام كنت جميع أمري تحمدا  
يا أحمد بن محمد يا ذا الندى      دُم لي على ما كنت لي يا أحمد  
لا تشمتن بي العدو وختني      ببياض وجهك إن وجهي أسود<sup>(2)</sup>

وهكذا يصف الشاعر مكان حبسه، ولسانه وفكره يحنّان إلى مكانه خارج السجن، ويصف القيود والحراس والظلام، وهو يحن إلى الحرية والانطلاق والفضاء، ويصف عداله ويهاجمهم، وهو يحن إلى مجلسه عند الخليفة، ويستعطفه ويحن إلى لقيائه. وهو يذكر المرأة لينفس عما في نفسه، وهو يحن إلى ما ترمز إليه المرأة من الهدوء والراحة والنعيم، ثم ما كان دعاؤه إلى الله لتفريج كربته إلا حنينا شديدا إلى الحرية والانطلاق.

(1) الأصفهاني، الأغاني، 123/22.

(2) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 93، والبيهقي، المحاسن والمساوي، 395...

وهكذا كانت موضوعات شعر الحنين لدى المسجونين، يصفون فيها ما عنّ لهم مما يتعلق بالسجن، وهم في الحقيقة يحنون إلى الحرية والأهل والأصحاب والمنازل والمجالس، والأسواق، كما كان شعراء بكاة الأطلال يبكون الطلل، وهم في الحقيقة يحنون إلى أصحابهم، وإلى أيامهم الخوالي فيه، وإلى شبابهم وصباهم، وإلى متعهم ونعمائهم.

## 2. المطرودون أو المنفيون:

كان الطرد من المكان، أو الإقصاء عن الولاية من أسهل الأمور على الخلفاء والأمراء، لكثرة الساعين والمفسدين على نحو ما مرّ في الحديث عن السجن. وفي الغالب فإن المسجونين يطردون أو ينفون بعد خروجهم من السجن، وأحياناً ينفون ثم يستدعون فيسجنون. ومن الذين نالهم عقاب الطرد أو النفي: إبراهيم بن المدبر: فقد سجن، وطرّد كثيراً، ونكب كثيراً، وبعد نكبه كان يكثر من الإقامة في منبج، فخرج في بعض أيامه، وخلف فيها جارية مغنية اسمها (غادر)، فقال بعض كتّابه الذين كانوا معه على جبل، فيه دير يعرف بدير سليمان، من أحسن البلاد وأجملها، فدعا بطعام وأكل، ثم شرب، ودعا بدواة وقرطاس، وكتب قصيدة<sup>(1)</sup>. وستكون ضمن الحديث عن موضوعات شعر المنفيين.

ومنهم أيضاً يحيى بن علي المنجم الذي كان نديماً للخليفة المكتفي بالله، وها هو يروي قصه منفاه بنفسه، يقول - كما أورد الأصفهاني -: " وجد عليّ أمير المؤمنين المكتفي بالله منصرفه من الرقة، لركوبي الماء منها، إلى المرحلة الأولى قبل أن يركبه هو، وذلك أن أحمد بن عبد الصمد حملني على ذلك، وسألني أن أكون معه في سفينته ففعلت، ولم أظن أن المكتفي ينكر ذلك ... فلما صرنا إلى الدالية، أمر بأن أُرَد منها إلى قرقيسيا، وأن أقيم بها

(1) الأصفهاني، الديارات، 102 .

حتى أصيد سبعاً وأصدره إليه، فردني ورد معي عدة من المغنين<sup>(1)</sup>. وهكذا ينفى يحيى المنجم نديم الخليفة إلى قرقيسيا، لأنه تجرأ وركب الماء قبل الخليفة.

أما علي بن الجهم فقد حبس كما مر في الحديث عن الحبس من قبل المتوكل، ثم نفى إلى خراسان، وبالذات إلى منطقة إسبيجاب<sup>(2)</sup>، ووكل به الأمير طاهر بن عبد الله بن طاهر، وطلب إليه أن يصلبه يوماً إلى الليل، ثم حبس. وقد مرّ شعره في الحبس بما أغنى عن إعادته هنا<sup>(3)</sup>.

### موضوعات شعر المطرودين أو المنفيين:

لأن المنفى فيه بعد عن الديار، والأحبة والأصدقاء، ففي شعر المنفيين حنين إلى تلك الديار التي فارقوها، وإلى الأصحاب الذين ارتبطوا بهم، وإلى العنصر النسائي الذي يمثل نقطة الفرج والفسحة والأمل، ولأن المنفى ليس كالسجن في الحشر والضيق، فليس هناك في شعرهم وصف للمكان بالذات، إنما الحديث كله دار حول الأمور الآتية:

#### 1- مفارقة الأهل والأصحاب:

يقول ابن الجهم : [ المنسرح ]

وارحمتا للغريب في البلد النا (م) زح ماذا بنفسه صنعنا  
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعنا  
كان عزيزا بقرب دارهم حتى إذا ما تباعدوا خشعنا<sup>(4)</sup>

(1) الأصفهاني، الأغاني، 123/22 . الدالية: لم أعر عليها في كتب المعاجم.  
وقرقيسيا: بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق، وعندها مصب الخابور في الفرات فهي في مثلث بين الفرات والخابور. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 328/4 .  
(2) -إسبيجاب: وهي بلد بخراسان، ذات خصب واسعة، ولا خراج عليها. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 235/1 .  
(3) ينظر: ص. 98 وما بعدها من هذه الدراسة.  
(4) ديوان علي بن الجهم، 154 .



فهو يدعو بالرحمة للغريب عن بلده، النازح عنه، كيف لا يستحق الرحمة وقد فارق أحبائه، فما انتفع بعيشه بعدهم، ولا انتفعوا بعيشهم بعده، وهو العزيز الدليل بعدهم.

أما ابن المدبر، فيذكر مفارقتة للجارية (غادر)، يقول: [ الطويل ]

ولا تتركنا نفسي تمت بسقامها      لذكرى حبيب قد شجاني وعاني  
ترحلت عنه عن صدود وهجرة      وأقبل نحوي وهو باك فابكاني  
وفارقتة والله يجمعُ شمننا      بلوعة محزون ، وغلة حران<sup>(1)</sup>

فذكرى الحبيب قد شجته، وسببت له الآلام، وبخاصة عندما ودعه وهو يبكي، ففارقه محزون القلب، يعاني من شدة الشوق كما يعاني العطشان من شدة العطش.

ومع هذا الشوق لأحباب، يظل الشاعر يتواصل معهم على البعد؛ لأنه يبعد عنهم

بجسمه، ويواصلهم بروحه وبعواطفه، يقول ابن المدبر: [ الطويل ]

ومثله شوقي إليه مقابلي      وناجاه قلبي بالضمير وناجاني<sup>(2)</sup>

هذا هو طروق الطيف، حين يشعر الإنسان في لحظه ما بالإفلاس، فيستدعي طيف

من يحب، ويحادثه، وهو نوع من أحلام اليقظة للتفيس والراحة.

وفي ذلك أيضا يقول علي بن الجهم: [ البسيط ]

أبلغ أخانا تولى الله صحبتَه      أني وإن كنت لا ألقاه ألقاه  
وأن طرفي موصول برؤيته      وإن تباعد عن مثواي مثواه  
الله يعلم أني لست أذكره      وكيف أذكره إذ لست أنساه<sup>(3)</sup>

(1) الأصفهاني، الأغاني، 123/22، والديارات، 103 .

(2) الأصفهاني، الأغاني، 124/22، والديارات، 103 .

(3) ديوان علي بن الجهم، 104 .

وهذا من جميل التصبير، فهو يلقاه ولا يلقاه، يذكره ولا يذكره؛ فهو يلقاه في الخيال وفي التواصل العاطفي والفكري، لكنه لا يلقاه حقيقة، وهو أيضا لا يذكره كونه بعيدا عنه، لأن الإنسان يذكر الشيء المنسي، والشاعر لم ينس، لذلك فهو لا يذكره تلقائياً.

2- التسليم بقضاء الله: وقد ظهر هذا المظهر من شعر الحنين في شعر السجن، وهو تصبير عن الرضى بما يقضيه الله ويقدره عليه، وكل ذلك نابع من ثقافة إسلامية واضحة، يقول

ابن الجهم: [الرمل]

يقول في نأيه وغربته عدلٌ من الله كل ما صنعاً<sup>(1)</sup>

والغريب أن في تعاطيه مع القضاء والقدر، لم ينس أن يذكر بغربته وبعده في البيت

ذاته.

ويقول ابن المنجم: [الخفيف]

إن قضى الله لي رجوعاً إلى بغ (م) داد لا هالكا بغمي قتيلاً<sup>(2)</sup>

ففيه تسليم بالقضاء، لكنه شابه بخوف وهلع، فهو يخشى أن يموت من الغم.

3- التضجر من طول الليل: ومعروف أن المنفي المبعد عن أهل ووطنه، يحسّ بتقل الليل

الزائد، بسبب وحدته، وعدم اندماجه مع المجتمع الجديد الذي يعيش فيه، وقد عبّر عن ذلك

ابن جهم، بقوله: [المجتث]

أزيد في الليل ليلٌ؟ أم سل في الصبح سيلٌ؟

نكّرت أهل دجيل وأين منّي دجيل<sup>(3)</sup>

(1) ديوان علي بن الجهم، 154 .

(2) القيسي، حمودي نوري، أربعة شعراء عباسيون، 212 .

(3) ديوان علي بن الجهم، 170 .

كما يقول ابن المنجم: [ الرمل ]

عاد ليلي القصيرُ في كرخ بغداد (م) د ، بقرقيسيا عليّ طويلاً

أجميلاً أن تتركوني وتمضو (م) ن ، رهيناً بها غريباً ذليلاً<sup>(1)</sup>

4- الانقياد لأمر الخليفة: ويرجع ذلك إلى رغبة المنفيّ في رضا الخليفة حتى يعيده إلى بلده،

ومن ذلك قول ابن المنجم: [ الخفيف ]

وأراني الخليفة المكتفي بالـ (م) له وابن الخلائف المأمولا

كالذي قد عهدتُ لا معرضاً عن (م) ني ولا واجداً ولا مستحيلاً

كل شيء أسامه هينٌ عنـ (م) دي إذا الرأي منه كان جميلاً<sup>(2)</sup>

ويلوح ابن الجهم بالطاعة دائماً، وقد مرّ الحديث في ذلك في شعر السجن، ومن ذلك

قوله: [ الطويل ]

ونحن أناسٌ أهل سَمْعٍ وطاعةٍ يصح لكم إسرارها وعلاتها<sup>(3)</sup>

وهكذا يأتي شعر المنفيين في صورة ملاقاتة الأحباب، أو طيفهم، والتواصل

معهم، والتسليم بقضاء الله وقدره، والتضجر من الليل وطوله ثم الانقياد للخليفة، كل ذلك إنما

هو حنين زائد إلى البلاد التي نفي منها، وإلى الأصحاب الذين غادرهم، وإلى الأحباب الذين

فارقهم، لذلك ف شعر المنفي هو شعر حنين من الدرجة الأولى، كما هي الحال في شعر السجن

وبكاء الأطلال.

(1) القيسي، نوري حمودي، أربعة شعراء عباسيون، 212 .

(2) نفسه، 212 .

(3) ديوان علي بن الجهم ، 189 .

## ثالثاً: حنين المسافرين.

لما كان السفر قطعاً من العذاب، يخرج الإنسان من بيته، ومن بين أهله، وعشيرته، وأحبابه، ومراتع صباحه، فقد اقترن السفر فعلاً بالعذاب. وقد روى الأبيشيبي " أنه قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ فقال: الكفاية مع لزوم الأوطان"<sup>(1)</sup>. وأورد رواية عن الحطيئة أنه قال

لزوجه، وقد وضع رحله على راحلته: [الكامل]

عدّي السنين لغيبتي وتصبري      وذرى الشهور فإنهنّ قصارُ

فقلت: [الكامل]

فاذكر صبابتنا إليك وشوقنا      وارحم بناتك إنهنّ صغارُ

فحطّ رحله وترك السفر<sup>(2)</sup>.

ومن الذين صوروا عذابات السفر: ابن المعتز، الذي تحدث عن كثرة سفره

واغترابه، حتى أورثه المرارة، يقول: [المتقارب]

ألفتُ التباعدَ والغربةَ      ففي كلِّ يومٍ أطا تربةَ

وفي كلِّ يومٍ أرى حادثاً      يؤدي إلى كبدي كربه

أمرّ الزمانُ لنا طعمه      فما إن نرى ساعةً عذبةً<sup>(3)</sup>

وكذلك فإن خالد الكاتب يصور كمدّه وعذابه في شعره، حيث انقسمت نفسه إلى

اثنتين: واحدة معه في السفر، وأخرى مقيمة في بلده، فلا صبر لهذه، ولا جلد لتلك، يقول:

[ الكامل ]

الله يعلمُ أنني كمدُّ      لا أستطيعُ أبثُّ ما أجدُّ

(1) المستطرف في كل فن مستظرف، 309 .

(2) نفسه، والصفحة نفسها.

(3) الشابشتي، الديارات، 99 .

نفسان لي : نَفْسٌ تَضْمَنُهَا      بلد ، وأخرى حازها بلدُ  
فإذا المقيمة ليس ينفعها      صبرٌ، وليس يقيهما جَلْدُ  
وأظنّ غائبتني كشاهدتي      فكأنها تجد الذي أجْدُ<sup>(1)</sup>

وكثير من المسافرين بكى نفسه أو أمه، ومن هؤلاء الشعراء: خالد الكاتب، حيث

يقول: [ مخلع البسيط ]

بكى على نفسه غريبُ      نائي الكرى شوقه قريبُ<sup>(2)</sup>

وكذلك بكى الناشئ الأكبر في سفره، حتى نزلت دموعه كأنها من سحابة، يقول: [ الطويل ]

خليليّ هل للحزن مقلّة عاشق      أم النار في أحشائها وهي لا تدري  
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت      وكاللؤلؤ المنثور أدمعها تجري<sup>(3)</sup>

ومن المسافرين من يذكر أحبابه في بلده، مثل: خالد الكاتب؛ الذي صور إيفه كالغصن

الندي، وما زالت الشمس عليه مشرقة دون غروب، ولهذا فالشاعر مريض، لا يرجى شفاؤه،

لأن طبيبه ليس معه، يقول : [ مخلع البسيط ]

له ببغداد حيث يهوى      إلفٌ إلى قلبه حبيبُ  
غصنٌ نضيرٌ علته شمسٌ      مشرقةٌ ما لها غروبُ  
وكيف يرجو الحياة صببٌ      فعنّ عن دائه الطبيبُ<sup>(4)</sup>

ومن الشعراء من بث شوقه بصراحة، وعبر عن شدته بأنه قد قطع قلبه، وما بعثه

على ذلك صوت حمامتين على نخلة، حينما كان في سفره، فاستراح في الطريق، ذاكم هو ابن

دريد، يقول: [ الطويل ]

(1) ابن المزربان، الحنين إلى الأوطان، ص161، المورد، م، 1، ع1، 1987.

(2) النجار، إبراهيم: شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ ج 5/ 123.

(3) ديوان الناشئ الأكبر، ص59، المورد، م. 11، ع2، 1982م.

(4) ديوان الناشئ الأكبر، ص30، المورد، م11، ع2، 1982م.

أَقُولُ لَوْرَقَاوَيْنِ فِي فِرْعِ نَخْلَةٍ      وَقَدْ طَفَّلَ الْإِمْسَاءُ أَوْ جَنَحَ الْعَصْرُ  
وَقَدْ بَسَطَتْ هَاتَا لَتَاكَ جَنَاحَهَا      وَمَالَ عَلَى هَاتِيكَ مِنْ هَذِهِ النَّحْرُ  
لِيَهْنَكُمَا أَنْ لَمْ تُرَاعَا بِفُرْقَةٍ      وَمَا دَبَّ فِي تَشْتِيَتِ شَمْلِكَمَا الدَّهْرُ  
فَلَمْ أَرْ مِثْلِي قَطَعَ الشُّوقُ قَلْبَهُ      عَلَى أَنَّهُ يَحْكِي قِسَاوَتَهُ الصَّخْرُ<sup>(1)</sup>

ومن المسافرين، من يستكثر فترة السفر، فيبكي ليفرج عما به، ثم يتمنى أن يعود إلى

بلده، فيجتمع مع أهله وأحبابه، وهذا دعبل الخزاعي في قوله: [ الطويل ]

أَلَمْ يَأْنِ لِلسَّفَرِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا      إِلَى وَطَنِ قَبْلِ الْمَمَاتِ رَجُوعُ  
فَقَلْتَ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقِ عِبْرَةٍ      نَطَقْتَ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ  
تَبَيَّنَ فَكَمْ دَارٌ تَفَرَّقَ شَمْلُهَا      وَشَمَلِ شَتِيَتِ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ<sup>(2)</sup>

وهكذا يكون شعر المسافرين، سواء في بكائهم أو تذكّر أحبابهم، أو شدة الشوق إلى بلادهم، أو تصويرهم لعذابات السفر، أو تمنّيهم الرجوع إلى الوطن، كانوا في ذلك كله يحنون إلى الاستقرار والدعة، في بيوتهم وبين أهلهم وأناسهم وأصحابهم وجيرانهم، لذلك كان شعرهم كله حنين.

### ثالثاً: حنين المجاهدين:

رغم كثرة الفتن والحروب والثورات، والاعتداءات على حدود الدولة هنا وهناك، ورغم كثرة خروج الجيوش لقتال الأعداء أو المتمردين أو الخارجين، أو المفسدين، إلا أننا في هذا العصر بخاصة، لم نجد حضوراً واضحاً لشعراء مجاهدين، رافقوا الجيوش، كما كنا نسمع عن القعقاع وأبي محجن الثقفي في صدر الإسلام، ومالك بن الربيع في العصر الأموي، وأبي فراس والمنتبي في العصر العباسي، وفي هذه الفترة التي يغطيها البحث، لم أجد من

(1) ديوان ابن دريد، 66 .

(2) ديوان دعبل الخزاعي، 180 .

الشعراء من رافق حملة عسكرية، أو اشترك في معركة، وصور لنا إحساس الجندي، وشوقه وحنينه إلى بلده وأهله وأصحابه، إلا ما كان من ابن الرومي، ولم يعرف عنه قتال، ولا شجاعة في الحروب، بل عرف عنه نحول الجسم، وضعف البنية، والتطير والأمراض النفسية، ومثل هذه الأشياء لا يتأتى لمن يتصف بها، أن يكون مقاتلاً، لكن رافق الموفق أو كان في حاشيته على الأصح، عندما ذهب الموفق لحرب الزنج حيث عاثوا فساداً، وأحرقوا البصرة، وقتلوا أهلها، ولما كان لا بدّ من حاشية يصورون وقائعه.

وفي هذه الرحلة الحربية، يصور إحساسه، وما يتوقعه من هذه الحرب، يقول: [الطويل]

أحبّاءنا ما كان لي عنكم صَبْرٌ      وهل لصبور عن أحبّته عُذْرٌ<sup>(1)</sup>

بعد هذا النداء الشجيّ لأحبته، الذين ذكرهم بهذه اللفظة مرتين في هذا البيت، وكأنما يحسّ بقربهم منه إحساساً، ولده الخوف الشديد من الحرب، وبخاصة أن لا يعرف كرجل حرب، فلعله نفسياً يحتمي بأحبته. ثم ينفّس عن خوفه بتواصله مع المرأة التي كانت دائماً في

الشعر العربي مبعثاً على الراحة والسكينة، يقول: [الطويل]

فيا ليت شعري عنكم كيف كنتمُ      وكيف التي من وجهها يطلع البدرُ

وقد زعمت ألا تزال كعهدها      وإن طال بي غيب وطال بها العُمُرُ

وإني لأخشى في الزمان مغير      على النأي يوماً أن يميل بها الغدُرُ

وكيف بمشتاق تضمّن جسمه      على شوقه مصر ومهجته مصر<sup>(2)</sup>

هكذا يصبر عن شوقه الشديد، وحنين فائض إلى مهجته التي تركها في بلد، بينما

جسمه في بلد آخر.

(1) ديوان ابن الرومي، 1128/3 .

(2) نفسه، 1128/3 .

هكذا يصف الحرب وصف خائف مذعور، لكنه وصف خارجي لا يتحدث فيه عن ضرب السيف، ولا طعن الرمح، ولا كثر الفارس، ولا حماية الترس، ولا وقع الهام، إنما هو حديث الخائف المتوقع للموت في كل لحظة ومن كل جانب، فهذا هو تصور الحوادث العادية في هذا البلد بالذات، إنها القتل والأسر، أي أن القتل والأسر أصبحا من الأشياء العادية التي لا يؤبه لها كثيرا، بينما هي في بغداد حيث الدعة والأمن حوادث كبيرة.

واسمع كلامه الذي يتنزي الخوف من كل حرف منه، يقول: (من دونه هول)، ثم: (من تحته ردى)، ثم يقول: (من تحته بحر)، فأنت ترى أن المعني واحد، و(تحت) هو الظرف ذاته، لكن الخوف يجعل البعوضة نسرا، ثم يتحسر على رجوعه إلى بلده سالما، مقسما عهدا على نفسه ألا يفارقهم إلا إذا كان ذلك بسبب الموت؛ لأن العيش: العيش كله هو قرب المحبوب، والموت هو البعد عنه. يقول:

[ الطويل ]

فإن يقض لي الله الرجوع فإنه      علي له أن لا أفارقكم نذر  
فلا أبتغي عنكم شخوصاً وفرقة      يد الدهر إلا أن يفرقنا الدهر  
فما العيش إلا قرب من أنت ألفاً      وما الموت إلا نأية عنك والهجر<sup>(1)</sup>

هذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها للحرب في حاشية الموفق، أما المرة الثانية، فقد كانت حين ثار صاحب آمد، وحينها كان رفيقا للمعتضد في حملته لتأديب هذا الخارج، وقد اكتفى في هذه القصيدة بوصف نومه المنقطع، وسهره الطويل؛ لأنه في حال خوف وحنين إلى

[ الطويل ]

بغداد. يقول:

وكيف رقاد الصب ما بين سائق      من الشوق يقريه النزاع وقائد  
تبيت ذراعي لي وساداً ومنصلي      ضجيعاً إذا ما بت فوق الوسائد

(1) ديوان ابن الرومي، 1129/3 .



أحنُّ إلى بغداد والبيدُ دونها حنين عميد القلب حرَّان فاقد<sup>(1)</sup>

ثم يذكر وجهته، يقول: [ الطويل ]

وأتركها قَصْداً لآمِدَ طائِعاً وقلبي إليها بالهوى جدَّ قاصد<sup>(2)</sup>

ولا أدري لماذا وضع كلمة (طائعا)، إلا أن تكون تعبيراً عن نفس ترفض القتال، وتخشى القتال فيه، ولعله أكره على الخروج بطريقة أو بأخرى، فكأنه أحسَّ بمن يغمز في خروجه، أو في إكراهه على الخروج، فلجأ إلى هذا الاحتراز، ثم يتحدث بصراحة عن خروج صاحب آمد حين يفاضل بين آمد وبغداد، فيقول: [ الطويل ]

وما خلتنا مستبدلي بقعة بها من الأرض لولا شؤم صاحب آمد<sup>(3)</sup>

وهكذا كان حنين ابن الرومي في شعره الجهادي، شوقاً للأحبة ولبغداد، وإيثاراً للسلامة هناك، وحباً للراحة والنعيم اللذين طالما حرم منهما .

في السطور السابقة، اتضح لنا أن شعر الحنين اتخذ أشكالاً عدة في هذه الفترة: منها حنين بكاء الديار الذين وصفوا الأطلال بما فيها من آثار، وحيوان، وما سببته الرياح والأمطار لهذه الأطلال، من تغير وبلى ، ليقف الشاعر فيبكي ويتألم، ويحاور صديقه، ويجتثّر ألمه، ثم يينثني من ذلك إلى ذكر الأحبة وأيام الصبا والشباب، وفترات النعيم والأنس التي قضاهما في تلك الربوع، فكان بكاء الأطلال قد عبّروا بهذه المعاني عن حنينهم الفائق؛ وشوقهم الدافق إلى فترة أو مكان، أو صاحب أو حبيبة.

أما المسجونون، فقد صوروا آلامهم النفسية، والجسمية من حرمان وضنك عيش، ووحدة قاتلة، وانعدام الأمن، وحتى الهواء النقي، وعدم تفريقهم بين الليل والنهار، إلى وصفهم

(1) ديوان ابن الرومي ، 789/2 .

(2) نفسه ، 789/2 .

(3) نفسه ، 790/2 .

لثقل القيود، وفضاظة الحرّاس الذين يمنعونهم حتى من الاستتناس، ثم يخاطبون طيف المحبوب، أو يرسلون الأخ والصديق ويستعطفون، ثم يتوجهون إلى الله أن يفرّج كربهم؛ كل ذلك تعبير واضح جليّ عن شعورهم وإحساسهم العميق، وعن حنينهم الحار، وشوقهم الحميم للحرية، ولكل ما يمثلها من أحيّة وأصحاب ومجالس أنس.

وحال المطرودين أو المنفيين قريية من حال المسجونين، يتبرّمون بالبلد الذي هم فيه، ويتشوقون إلى البلد الذي طردوا منه، ثم يصفون آلامهم النفسية والجسدية أيضا، ويستعطفون من نفاهم، ويتوسلون بأصحاب النفوذ، وما ذاك كله إلى مظاهر، من مظاهر الحنين الشديد، والشوق الأكيد إلى بلدهم، وأهلهم، وأحبّتهم، ومجالس أنسهم.

وحيثما يعبرّ المسافر عن طول سفره وقلقه من المستقبل، وخوفه من المجهول، وخوفه على ما ترك، تثيره حمامة، وتبعث شوقه هبات النسيم من جهة بلده، فيعاهد نفسه ألا يسافر إن كان الأمر بيده، وما ذاك إلا حنين جارف، وشوق خالد إلى أهله، ومن ترك عند سفره.

فإذا ما عرّجنا على المجاهدين، فإنهم ما كانوا ليخرجوا لو كان الخيار لهم؛ لأنهم يحبون حياة الدّعة، والسكون، والهدوء، ويفضلونها على توسّد الساعد، ومرافقة الصّارم، وتوقع الموت في كل لحظة، في بلاد حوادثها تقوم على محوري: القتل والأسر، لذلك حين يصف الشاعر هذه المشاهد، إنما يحن إلى ضدها: إلى المدن الهادئة، والمجالس الرائعة، والأصحاب الذين يلتقونه بالبشاشة لا بالسيوف. هكذا كان حنين هؤلاء جميعا، وبصوره المختلفة.

## الفصل الثاني: المكان في شعر الغربة والحنين:

أولاً: المكان مبعثاً للذّة عند شعراء الحنين.

ثانياً: المكان مبعثاً للألم لشعراء الحنين.

حين كان المكان الذي يحنّ إليه الشاعر في الجاهلية، مكان السكن والإقامة، أي ما يصطلح على تسميته بالوطن، كان الشعراء يحنون لهذا الوطن، ممثلاً بعناصره المختلفة، مثل: المحبوبة، والجيران؛ والأهل، ومراتع الصبا، ومجالات اللهو، والصدقة، وعندما تقدمت السنوات، وتحضرت البوادي، وكثرت المدن، أصبحت المدينة هي الوطن، فإن خرج منها الإنسان لسبب من الأسباب، برضاه أو رغماً عنه، انصرف حنينه إلى هذه المدينة التي هي وطنه.

ومن هنا كان المكان بعمومه يعبر عن الوطن؛ فتعلق الناس بأوطانهم، وأحبوها، وتكفينا هذه اللوحة التي رسمها ابن الرومي للوطن، وأسباب التعلق به، يقول: [ الطويل]

ولي وطنٌ آليتُ إلا أبيعهُ	وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً	بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفتُهُ النفسُ حتى كأنه	لها جسد إن بان غودرتُ هالكا
وحببَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ	مأربُ قضاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم	عهود الصبا فيها فحنوا لذلك <sup>(1)</sup>

وتعلق الإنسان بالمكان لم يعد مقصوراً على الوطن الذي يسكن فيه، فقد كان الشعراء في معظم أحوالهم في حل وترحال، وسفر وإقامة بين هذه الحاضرة وتلك، وعند هذا الأمير في مقرة أو عند ذلك، وكانوا يلتقون في مجالس اللهو التي غالباً ما تكون في الديارات، لذلك حين كانوا يغادرونها، أو يبعدون عنها، كان حنينهم إليها موجعاً، في نفثات شعرية، ولم يكن هذا الحنين إلى الوطن، وإنما إلى مكان له ذكريات في نفس الشاعر، كما كان في الوطن ذكريات للشاعر أيضاً.

(1) ديوان ابن الرومي، 1825/5.

وهكذا كانت الأماكن التي ينتقل فيها الشاعر، منها وإليها تعد محطات مؤقتة للإقامة، لكنها مبعث شوق وحنين في نفسه.

والمكان يعني أمرين اثنين لشعراء الحنين: الأول هو مكان الذات، والثاني هو مكان الآلام. وغالباً ما كان المكانان متلازمين في حديث شعراء الحنين بأصناف حنينهم: سواء أكانوا بكاء الأطلال، أم المساجين، أم المسافرين أم المبعدين. وكثيراً ما يحمل الحديث حول شيء ما حديثاً عن ضده، حتى لو لم يكون هناك حديث عن هذا الضد؛ لأن اللغة العربية غنية بأساليبها التي عبرت عن شجاعتها - كما يقول ابن جني -<sup>(1)</sup>.

فحين يقرأ الإنسان قوله تعالى: " أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " <sup>(2)</sup> فإنه يتجه فوراً بتصوره إلى من لا يتقي بوجهه سوء العذاب، أو قوله تعالى: " أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ " <sup>(3)</sup> يتجه خيال الإنسان إلى من لا تحقق عليه كلمة العذاب، وكذلك من يتأمل قوله تعالى: " أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ " <sup>(4)</sup>، فإنه ينصرف ذهنه تلقائياً إلى من لم يشرح الله صدره للإسلام.

وعليه، فإن الحديث عن مكان ما يمثل لشاعر الحنين مكاناً مؤلماً، فإنه بالتأكيد ينصرف ذهن الشاعر، وذهن السامع إلى مكان نقیض يحمل في طياته اللذة والراحة. ولكن الغالب العام على شعراء الحنين أن يتحدثوا عن المكانين معاً. ولهذا سيكون الحديث عن المكان في مظهره: المكان بلذاته، والمكان بآلامه، ولكل مظاهر يتفرع إليها؛ فمكان الذات يحن فيه الشعراء إلى: الخمر، والندامى، والنساء، والصبا، والشباب، وجمال الطبيعة، والأحاديث الممتعة، والأيام الخوالي، والأحباب والأصدقاء والجيران، كما يحن فيه إلى عنصر

(1) ينظر: باب شجاعة العرب، في: ابن جني، الخصائص، 360/2.

(2) الزمر، 24.

(3) الزمر، 19.

(4) الزمر، 22.

الأمن. أما المكان الذي يبعث الألم، فيتألم الشاعر فيه من طول الليل، ومن القيود والسجن، ومن السهر ومن الخوف، ومن الذلة والانكسار، ومن البؤس والتشتت، وفي الصفحات التالية استقرأ وتفصيل لعناصر نوعي المكان.

### أولاً: المكان مبعثاً للذة عند شعراء الحنين:

يعد المكان من أعظم مثيرات اللذة عند شعراء الحنين؛ لأنه مرتبط في أذهانهم بأمور تجلب لهم تلك اللذة، وحين عبر الشعراء عن حنينهم إلى هذه اللذة ممثلة في مكانها، فإنهم قد تحدثوا عن اللذة في عمومها، كما تحدثوا عن عناصرها التفصيلية.

ومن الذين تحدثوا عن اللذة بعمومها: البحري، حيث يقول: [الطويل]

مضيت حميداتِ الفِعالِ فعودي	ليالينا بين اللوى فزرو
وعهد بنات الدهر جدّ حميد	لقينا بك الدنيا مريعاً جنابها
بهجرٍ ولم تسنح لنا بصدود	زمان وصالٍ لم يُرنق صفاؤه
من الدهر نستحليه غير زهيد <sup>(1)</sup>	سُقينا كؤوس اللهو فيه وحظنا

فها هو يتحدث عن كؤوس اللهو التي شربها، مستحلياً دهره، واصلاً لأحبته، ويتحدث

بعمومية عن أنه لقي الدنيا جميلة لذيدة، لكنه لم يفصل.

ويقول أيضاً: [الكامل]

لمعاتهنّ من الرداء المنهَج	دمنّ كمثل طرائقِ الوشي انجلتْ
عن طرّتي زمنٍ بهنّ مدبج <sup>(2)</sup>	ولربّ عيشٍ قد تبسم ضاحكاً

فهي دمنة تبسم ضاحكةً في زمن مدبج بالألوان والسرور .

(1) ديوان البحري، 777/2.

(2) نفسه، 399/1.

وحين يبكي ابن الرومي شبابه، يتحدث عن اللذات في عمومها، يقول: [الطويل]

بَكَيْتَ فَلَمْ تَتْرُكْ لِعَيْنِكَ مَدْمَعاً      زَمَاناً طَوَى شَرِخَ الشَّبَابِ فَوَدَّعَا

ليالي تُسِينِي الليالي حسابها      بلهنيّة أقضي بها الحول أجمعاً<sup>(1)</sup>

فلذة الأيام تنسيه حساب الليالي، ولكن تلك عامة دون تفصيل.

وفي مكان آخر يحيي الدار لأن فيها أطرابه وأذكاره، وآرابه وأوطاره، ولكنه لم

يفصح عن تلك الأذكار ولا الآراب، يقول: [السريع]

ألا اسلمي يا دار من دار      تهيج أطرابي وأذكاري

وقد أراها فأقول اسلمي      لجمع آرابي وأطواري<sup>(2)</sup>

لكن معظم الشعراء قد تحدثوا عن اللذة في عناصرها التفصيلية، ولتسهيل الحديث عما

يعنيه المكان من لذة للشاعر، سيقسم الموضوع إلى عناوين جزئية.

### ■ المكان يعني اللذة / المحبوبة:

من أهم العناصر التي حن إليها الشعراء في تلك الأماكن، بل كانت الأماكن مثيراً

مرتبطاً بوجودها هي: المحبوبة. ولهذا فما إن يقف الإنسان عند طلل، حتى يتذكر المحبوبة

التي عمرته، وارتبط بها بذكريات جميلة، فالمكان هنا مكان محبوب، ومن ذلك قول البحري:

[الكامل]

وأنا الفداء لمُرْهَفٍ غَضَّ الصَّبَا      يوهيه حَمْلٌ وشَاحِه وَعَقُودِه

قَصَرَتْ تحيتهُ فجادَ بِخَدِّه      يومَ الفِراقِ لنا وَحَنٌ بجيدِه<sup>(3)</sup>

وليالي لبنى هي نهار، وبدر طالع، وأما خدّها فهو الورد في الضحى، يقول:

(1) ديوان ابن الرومي، 1473/4.

(2) نفسه، 1036/3.

(3) ديوان البحري، 693/2.

[الطويل]

لنا منزلٌ بين الدَّخُولِ فَتَوَضَّحِ      متى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيْمِّ تَسْفَحِ  
ليالي لُبَيْنِي بَدْرَ لَيْلِي إِذَا دَجَى      وَشَمْسَ نَهَارِي الْمُسْفَرِّ الْمُتَوَضَّحِ  
وما الورْدُ يَجْلُوهُ الضَّحَى فِي غُصُونِهِ      بأَحْسَنَ مِنْ خَدَيَّ لُبَيْنِي وَأَمْلِحِ<sup>(1)</sup>

أما ابن الرومي، فهو حين يحيي الطلل، يحيي فيه النساء الملائح، والعطابيل رقيقات  
الخصور، اللواتي اكتملت فيهن الوسامة بجمال خلقي، ولا متكلفاً ولا مصنوعاً، يقول:

[مجزوء الكامل]

وَسَلِّ الْمَلَائِحَ بِالْمَلَا      (م) نِحِّ وَالْعَطَابِيلَ بِالْعَطَابِيلِ  
الْبَلَاءِ أَشْبَهَهُنَّ الْغُصُورِ      (م) نِ الْمُسْتَقِيمَاتِ الْمَوَائِلِ  
وَكَمَلْنَ كُلَّ وَسَامَةٍ      فِي غَيْرِ أَسْنَانِ كَوَامِلِ  
خَلَيْنَ حَيًّا خَلْقَةً      مَجْبُولَةً لَا نَحْلَ نَاحِلِ<sup>(2)</sup>

وكما أن ماني الموسوس يذكر في المكان نساء، ويدعي أنه سلا عنهن، وإن كان هذا  
السلو غير صحيح؛ لأنه يدعي أنه تاب عن تلك الصباية لهؤلاء النساء، لكنه يحن إليهن حتى

في معرض التوبة، يقول:

[المنسرح]

سَمَّتْ وَرَدَ الصَّبَا ففَدَّ      يَسْتِ  
مِنِي بِنَاتِ الْخُدُورِ وَالْخَزَفِ  
سَلَوْتُ عَنْ نُهْدِ نُسْبِنَ      إِلَى  
حُسْنِ قِوَامِ وَاللِحْظِ فِي وَطْفِ  
يَمْدُدُنْ حَبْلَ الصَّبَا لَمَنْ أَلْفَتْ      رَجْلَاهُ قَدِ الْمُحُولِ وَالذَّنْفِ<sup>(3)</sup>

ويصرح جحظة البرمكي بما يعنيه له الطلل، بشكل مباشر، حين يقول: [الطويل]

(1) ديوان البحتري، 33/2.

(2) ديوان ابن الرومي، 2031/5.

(3) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ ج 243/2.



سلامٌ على تلكَ الطلُولِ الدَّوَابِرِ      وانْ أَقْفَرَتْ بعدَ الأنيسِ المُجَاوِرِ  
منازلُ لذَّاتي ودارِ صبايَتي      ولهوي بأمثالِ النجومِ الزواهرِ<sup>(1)</sup>

فالمكان هو مكان صبايته، ومنازل لذاته، ومجال التقائه بالنساء الجميلات. هذا في الحنين إلى الأطلال، حيث يعني المكان من بين ما يعنيه الارتباط بالنساء. أما في الدير، فالمكان أيضاً يعني النساء، ولكن هذه المرة يكون الحديث عن فتاة الدير، يقول أبو عبد الله النديم: [مخلع البسيط]

يا دَيْرَ درمَالِسَ ما أَحْسَنَكَ      ويا غَزَالَ الدَّيْرِ ما أَفْتَنَكَ  
لئنْ سَكَنْتَ الدَّيْرَ يا سَيِّدِي      فإنَّ في جَوْفِ الحِشَا مَسْكَنَكَ<sup>(2)</sup>

#### ■ المكان مرتعاً الصبا والشباب:

كثر الحنين في شعر شعراء هذا العصر إلى الصبا والشباب، حيث كان المكان مثيراً حسناً لتذكير الشاعر بشبابه وصباه، فالمكان هو مرتع الصبا، ومهد الشباب، ما إن يراه الشاعر حتى يتذكر صباه وشبابه.

يقول البحراني: [الطويل]

وَقَفْنَا فلا الأطلالُ رَدَتْ إجابةً      ولا العذْلُ أَجْدَى في المَشُوقِ المُخاطَبِ  
أَبْعَدَ الشَّبَابِ المُنتَضَى في الدَّوَابِرِ      أحاولُ لُطْفَ الوُدِّ عِنْدَ الكَواعِبِ  
وكانَ بياضُ الراسِ شَخْصاً مُذَمَّماً      إلى كَلِّ بياضِ الحِشَا والتَّرابِ<sup>(3)</sup>

فها هو يحاول أن يحصل على لطف الكواعب الجميلات، لكن شبابه قد ولى، وأصبح بياض رأسه ضعيفاً غير مرحب فيه، لأنه مذموم عند النساء. وهو يبكي مرة أخرى على

(1) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ ج 69/5.

(2) الشابشتي، الديارات، 4.

(3) ديوان البحراني، 108/1.

الشباب، رابطاً بينه وبين الطلل، لأنه رأى في الطلل مكان صباه، ومراتع شبابه، يقول:

[البسيط]

يأبى الخلي بكاء المنزل الخالي      والنوح في أرسم أقوت وأطلال  
ردت علي أحاديث الصبا حرقاً      وقد تقدم دهر دونه خال  
بان الشباب فلا عين ولا أثر      إلا بقية برد منه أسمال<sup>(1)</sup>

ويكي ابن المعتز شبابه، عندما وقف على الدار التي أساء إليها الزمان، لأن الصبا لن

يعود، كما أن الإنسان لن يفجع بشيء فجيئته بصباه وشبابه، يقول: [الكامل]

الدار أعرفها ربي وربوعا      لكن أساء بها الزمان صنيعا  
يا قلب ليس إلى الصبا من مرجع      فاحزن فلست بمثلِهِ مَفْجوعا  
صرمتك أيام الصريم وقطعت      حبلى الهوى وتزعن عنك نرُوعا<sup>(2)</sup>

ويربط أحمد بن أبي طاهر بين الصبا، ومكان الديار بشكل صريح، حيث لم يبق من

تلك الديار التي درست إلا بقايا صباه، التي يتذكرها في هذا المكان قبل أن يحول، ويقول:

[الكامل]

تلك الديار لو انها تتكلم      كانت إليك من البلى تتظلم  
درست مغانيها ومح جديدها      بل عاد رسماً ربها والمعلم  
لم يبق غير آثار الصبا      ومعاهد يشجى بهن المغرم<sup>(3)</sup>

(1) ديوان البحتري ، 1720/3.

(2) ديوان ابن المعتز، 134/1.

(3) الشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، 50/2.

وفي بكائه على الطلل، وحنينه إليه، يتذكر الحماني العلوي صباه وشبابه حين كان  
غصنه ريان، وقامته معتدلة، يطرب مع الصبا، ويلهو مع الشباب، ويغزو قلوب الغواني، حتى  
لو يستطعن لوضعنه، داخل قلوبهن، يقول:

[ مجزوء الكامل ]

سُقِيَ الْمُنْزَلَةَ وَطِيبَ	بَيْنَ الْخَوْرَثِقِ وَالْكَثِيبِ
أَيَّامَ غُصْنِ شَبِيبَتِي	رِيَّانَ مُعْتَدِلَ الْقَضِيبِ
أَيَّامَ كُنْتُ مَعَ الطُّرُوبِ (م)	بَةَ لِلصَّبَا وَمِنَ الطُّرُوبِ
أَيَّامَ كُنْتُ مَعَ الْغَوَا (م)	نِي فِي السَّوَادِ مِنَ الْقُلُوبِ
لَوْ يَسْتَطَعْنَ خَبَأَنِّي	بَيْنَ الْخَوَافِقِ وَالْجُيُوبِ <sup>(1)</sup>

وحين يتشوق ابن الرومي إلى بغداد، يذكر ارتباط المكان بصباه وشبيبتها، يقول: [الكامل]

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ وَالصَّبَا	وَلَبِستُ ثُوبَ الْعَيْشِ وَهُوَ جَدِيدُ
فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيَتُهُ	وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيدُ <sup>(2)</sup>

■ المكان يعني متعة الخمرة والندامي:

ربط عدد من الشعراء بين المكان، والالتذاذ فيه بشرب الخمرة، ومجالسة الندامي،  
ففي بكائه على الأطلال، وحنينه إلى الديار، يذكر الناشئ الأكبر ارتباط المكان عنده بشرب

الخمرة، يقول:

[ الرمل ]

يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ هَلْ مِنْ مُجِيبِ	عَنْكَ يَشْفِي غَلِيلَ نَائِي الْمَزَارِ
قَدْ لَهَوْنَا بِهَا زَمَنًا وَحِينًا	وَوَصَلْنَا الْأَسْحَارَ بِالْأَسْمَارِ
وَاعْتَبَقْنَا عَلَى صَبُوحٍ وَلَهْوٍ	وَحِينَ النَّايَاتِ وَالْأُوتَارِ <sup>(3)</sup>

(1) ديوان الحماني العلوي، 202، المورد، م3، ع2، 1974م.

(2) ديوان ابن الرومي، 766/2.

(3) ديوان الناشئ الأكبر، 130، المورد، م11، ع1، 1982م.

وفي حنينه إلى الأطلال، يربط ابن المعتز بين المكان، ولذة الخمرة أيضاً، يقول:

[الطويل]

سقى الله من غمّي قرارة منزلٍ      ترامت به أيدي جنوبٍ وشمألٍ  
الإرب يومٍ فيه قصر دونه      دم الزق منزوفاً فهاتٍ وعجلٍ<sup>(1)</sup>

وفي الإطار ذاته، يتحدث ماني الموسوس في حنينه إلى الديار بالنجف، عن الخمرة

الني سماها: القهوة، حيث تخطف عقل الفتى بسهولة، وترجع شرخ الشباب إلى الشيخ الفاني،

يقول: [المنسرح]

وقهوة من نتاج قطربلٍ      تخطف عقل الفتى بلا عنفٍ  
ترجع شرخ الشباب للخرف الف (م)      اني وتدني الفتى من الشغف<sup>(2)</sup>

وقد ربط الصنوبري بين: الدمن والأطلال، وبين الخمرة، يقول: [البيسط]

وقم بنا نصطح صهباء صافيةً      تنفي الهموم ولا تبقي من الحزنِ  
بكرًا معتقة عذراء واضحةً      تبدو فتخبرنا عن سالف الزمنِ  
خمرًا مروقة صفراء فاقعةً      كأنما مزجت من طرفك الوسن<sup>(3)</sup>

والديارات أكثر الأماكن ارتباطاً بالخمرة ؛ لأن هذه الديارات كانت تقدم الخمرة

لروادها، وقد كانت للذة والمتعة، يقصدها الناس لهذا الغرض، حتى تمنى لحظة أن يرى دير

العذارى نظرة قبل الممات، وأن يسكر مرة في سوق القادسية، وأن يقف بحانات المطيرة مع

ندمان يرفعون شعار الخمر، ويقول: [الطويل]

ألا هل إلى دير العذارى ونظرة      إلى الخير من قبل الممات سبيلُ

(1) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء من كتب الأوراق، 197، ولم أعرث عليها في الديوان .

(2) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ج2/243.

(3) ديوان الصنوبري، 496.

وهل لي بسوق القادسية سكرةً      تغلُّ نفسي والنسيم عليلُ  
وهل لي بحانات المطيرة وفقةً      أراعى خروج الزقِّ وهو جميلُ  
إلى فتية ما شتت العزلُ شملهمُ      شعارهم عند الصِّباحِ شمولُ<sup>(1)</sup>

وكذلك يتحدث يموت بن المزرع عن دير الطور، وكيف رافق الندامى إليه، وسقاهم

من الخمرة، يتلذذون بالأحاديث العذبة، يقول: [المتقارب]

نهضتُ إلى الطورِ في فتيةٍ      سراعِ النهوضِ إلى ما أحبُّ  
اتختُ الركبَ على ديره      وقصيتُ من حقه ما يجبُ  
وأنزلتهم وسطَ أعابِه      وأسقيهم من عصيرِ العنبِ  
وما بين ذلك حديثُ يروقُ      وخوضُ لهم في فنونِ الأدبِ<sup>(2)</sup>

#### ■ المكان هو الأيام الخوالي بذكرياتها:

وهنا يتحدث الشعراء عن ذكرياتهم، وأيامهم الخالية، عندما يرون المكان، سواء أكان ذلك في شعر البكاء على الأطلال، أم شعر الديارات، أم غير ذلك. فهذا البحري يتحدث عن أيامه القصيرة التي مرت خلسة، كأن لحظاتها الحسان قد سرقت من الرقيب والعاذل، يقول:

[الكامل]

دمنُ لزينبَ قبلَ تشريدِ النوى      من ذي الأراكِ لزينبِ ولعوبِ  
فسقى الغضى والنازليه وإن هم      شبَّوه بين جوانحِ وقلوبِ  
وقصارُ أيامٍ به سرقتُ لنا      حسنتها من كاشحِ ورقيبِ<sup>(3)</sup>

(1) الأصفهاني، الديارات، 123.

(2) الشابستي، الديارات، 207-208.

(3) ديوان البحري، 245/1.

وقد نسي ابن الرومي حساب أيامه، حين كان يقضي الحول في ذلك المكان، بل كان لا يعرف الحول باسمه، إنما يعرفه بما فيه من لذات، فإذا انقضى اليوم لم يبكه؛ لأن ما بعده خير منه، لذلك يتوجع على تلك الأيام والليالي الجميلة، لهذا فالمكان يعني له أياماً ممتعة، وليالي ساهرة باللذات، يقول:

[ الطويل ]

ليالي تُسني الليالي حساباً بها      بلهنيةً أقضي بها الحولَ أجمعاً  
سدى غرة لا أعرّف اليومَ باسمه      وأعملُ فيه اللّهوَ مرأى ومسمعا  
إذا ما قضيتُ اليومَ لم أبكِ عهدَهُ      وأخلفتُ أدنى منه ظناً وأفنعاً<sup>(1)</sup>

والأيام الجميلة في الديارات أيضاً، يذكرها الشاعر، ويحن إليها عندما يحن إلى الدير، ويتحدث عنه؛ فالدير مكان يذكره بالأيام الرائعة، كما إنه المكان المفضل بما فيه من متعتي:

الخمير والنساء. وفي دير نهيا يقول العباس بن البصري: [الكامل]

يا للدياراتِ الملاحِ وما بها      من طيبِ يومٍ مرّ لي بشوقٍ  
أيامَ كنتُ وكانَ لي شوقٌ بها      وأسيرُ شوقِ صباّتي لم يُطلق<sup>(2)</sup>

#### ■ المكان هو جمال الطبيعة:

ندر أن خلت قصيدة حنين من وصف المناظر الطبيعية المرتبطة بذلك المكان، فالشعراء ربطوا المكان بالمحبوب، أو الأيام الخالية، أو الخمر، أو الصحة والشباب، فإنهم قد ربطوا المكان بجمال الطبيعة، أي أن المكان كان يعني لهم المنظر الجميل، والأطيار المغردة، والجداول والمياه، والأشجار اليانعة، وغيرها، وقد ظهرت هذه السمة بعد الاستقرار الحضاري.

<sup>(1)</sup> ديوان ابن الرومي، 1473/4. الفجع: الرائحة الطيبة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فجع). بلهنية: الرخاء وسعة العيش.  
ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بله).  
<sup>(2)</sup> الشابشتي، الديارات، 249-250.

ولعل الصنوبري، أكثر هؤلاء الشعراء حديثاً عن ارتباط المكان بجمال الطبيعة؛ فحين

يختار مكاناً للشرب والغزل، يجب أن يكون شربه: [البسيط]

فِي رَوْضَةِ زَهْرَتٍ بَالنَّبْتِ مُذْ حَسَنَتْ      كَأَنَّهَا فُرْشَتُ مَنْ وَجَّهَهُ الْحَسَنُ  
يَا طَيْبَ مَجْلِسِنَا وَالطَّيْرَ يَطْرِبُنَا      وَالْعُودُ يُسْعِدُنَا مَعَ مُنْشِدِ حَسَنٍ (1)

فهو يجمع عناصر الحسن جميعها، من: روضة مزهرة، يافعة النبات، كأنها

مفروشة ببساط جميل، والطير يغرد حول الجالسين، على عزف عود، مع مغن حسن

الصوت. وحين يحن إلى دمشق، يقول: [الهج]

مَتَى الْأَرْخُلُ مَحْطُوطَةٌ      وَعَيْرُ الشَّقِيقِ مَرْبُوطَةٌ  
بِأَعْلَى دَيْرِ مَرَّانٍ      فِدَارِيَّا عَلَى الْغَوْطَةِ (2)

فإنه يصف الأشجار والثمار، ويسميها بأسمائها، ومنها: النخل، والسرو، والرمان،

والتفاح، والأترج، بألوانه المختلفة، يقول: [الهج]

فَلَأَشْجَارٍ فِيهَا جُ      (م) مَمَّ بِالْحُسْنِ مَمْشُوطَةٌ  
وَلَأَثْمَارٍ فِيهَا طُ      (م) رَفٌّ بِالطَّرْفِ مَلْقُوطَةٌ  
صَنُوفٌ بَيْنَ مُلُوقَتِ      (م) وَةٍ أَوْ مُسْبِلِ خُوطَةٍ  
فَمِنْ نَخْلٍ وَمِنْ سُرُوٍ      يِبَاهِي عَيْطُهُ عَيْطَةٌ  
وَمِنْ أَفْنَانِ رَمَّانٍ      عَلَى الْحَيْطَانِ مَحْطُوطَةٌ  
وَمِنْ تَفَاحَةٍ مِنْ أَحَدِ      (م) مَرِّ الْيَاقُوتِ مَخْرُوطَةٌ  
وَمِنْ أَتْرَجَةٍ مِنْ أَصَدِ      (م) فَرِّ الْعَسْجَدِ مَخْطُوطَةٍ (3)

(1) ديوان الصنوبري، 496.

(2) نفسه، 249. دير مران: دير بناحية من دمشق على تلة مشرفة على مزارع ورياض جميلة. ينظر: الأصفهاني، الديارات، 33. داريا: من منتزهات دمشق بالقرب من دير مران. ينظر: الأصفهاني، الديارات، 20.

(3) ديوان الصنوبري، 251.

وحين حن إلى حلب، يعرج أيضاً على جمال الطبيعة فيها، بعد أن يستسقي لها المزن، حيث تنتشر أعلام الزهر الأصفر حول المجالس، بينما ينتشر الزهر الأبيض حوله، وكذلك

الأحمر الذي يشبه العقيق، يقول: [المتقارب]

سقى حَلَبَ المَزْنِ مَعْنَى حَلَبُ      فكم وصلتُ طرباً بطربِ  
وكم مُسْتَطَابٍ مِنَ العَيْشِ لَذٌّ      بها لي عيشٌ لم يُسْتَطَبُ  
إِذَا نَشَرَ الزَّهْرُ أَعْلَامَهُ      بها ومطارفه والعذبُ  
غداً وحواشيه من قِضَّةٍ      تروقُ وأوساطُهُ من ذَهَبِ  
زَبْرَجَدِهِ بَيْنَ فَيْرُوزِ      عَجِيبٍ وَبَيْنَ عَقَيْقٍ عَجَبِ<sup>(1)</sup>

ويلح الصنوبري على جمال الطبيعة في المكان الذي يحن إليه، وهو حلب الذي يصف في هذه المرة تربتها، حيث فيها تربة متنوعة منها ما هو بُني كالصندل، ومنها ما هو أصفر

كالزعفران، ونبته ذو رائحة نفائثة، كأنها المسك أو العنبر، يقول: [الطويل]

تري تَرْباً شَتِي: فَتَرْبٌ مُصْنَدَلٌ      ينافسُهُ فِي الحُسْنِ تَرْبٌ مُزَعْفَرٌ  
وَرَوْضاً تَلَاقَى بَيْنَ أَثْنَاءِ نَبْتِهِ      مُمَسِّكٌ نَوْرٍ يَجْتَنِي وَمَعْبَرٌ<sup>(2)</sup>

ويتحدث مرة أخرى في حنينه إلى حلب عن الزهر المنتظم في أرضها كالنجوم،

بحيث تباهي هذه الرياض ملابس القيان، من قُمصٍ وعصائبٍ وتكك، يقول: [المتقارب]

وقد نَظِمَ الزَّهْرُ نَظْمَ النُّجُومِ      فَمَفْتَرِقُ النِّظْمِ أَوْ مَشْتَبِكُ  
كَمَا دَرَجَ المَاءُ مَرُّ الصَّبَا      وَدَرَجَ وَجْهَ السَّمَاءِ الحَبْكُ  
يَبَاهِينِ أَعْلَامِ قُمُصِ القِيَانِ      وَنَقَشِ عَصَائِبِهَا وَالتَّكِّ<sup>(3)</sup>

(1) نفسه ، 392..

(2) نفسه ، 426.

(3) نفسه ، 432. التلك: السراويل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (تلك)



ويدلي جحظة بدلوه حين يربط بين رحبة هاشم، و جمال الطبيعة فيها، المتمثل في  
الفيء وقت الضحى، والنسيم العليل بعد الظهر، والطيور على الأغصان، والمياه تجري فيها،

كل ذلك جعله يشتاق إلى أفيائها في الهاجرة، ليقول: [الطويل]

سقى الله أيامي برحبة هاشم      إلى دار شرشير محل الجآذرِ  
ألا هل إلى فيء الجزيرة بالضحى      وطيب نسيم الروض بعد الظهائرِ  
وأفنانها والطيرو تنذب شجوهاً      بأشجارها بين المياه الزواخرِ  
ورقة ثوب الجو والريح لدنة      تساق بمبسوط الجناحين ماطرِ  
سبيل، وقد ضاقت بي السبل حيرة      وشوقاً إلى أفنائها بالهواجر<sup>(1)</sup>

وفي شوقه إلى ديار أحبابه الموحشة، وحنينه إليها، يربط الناشئ الأكبر بين المكان،  
ومظاهر الطبيعة الخلابة، حين وصل الأسفار بالأسمار - كما يقول - في مجلس بين: ورد،

ونرجس، وبنفسج، وسوسن، وأقاح، وجنار، وأنواع الأزهار كلها، يقول: [الخفيف]

بين وردٍ ونرجسٍ وخزامى      وبنفسٍ وسوسنٍ وبهارِ  
وأقاحٍ وكل صنف من النور (م) ر الشهيّ الجنّي ومن جنّارِ  
فرقتنا الأيام أحسن ماكن (م) نا على حين غفلة واغترار<sup>(2)</sup>

وفي الوقت الذي فضل فيه هؤلاء مظاهر الطبيعة وجمالها في المكان الذي حنوا إليه،  
فإن ابن المعتز قد أجمل ذلك كله في وصف ليلاليه في الكرخ ودير السوسي، بأنها كانت  
نموذجاً من الجنة، وفي هذا التعبير ما فيه، من إيجاز له دلالات كثيرة، وصور شتى يمكن

للإنسان أن يتحدث عنها، أو أن يتخيلها، يقول: [الخفيف]

يا ليلاليّ بالمطيرة والكر (م) خ ودير السوسي بالله عودي

(1) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ج 69/5.  
(2) ديوان الناشئ الأكبر، 58، المورد، 11، ع 3، 1982م.

كنتِ عندي أنموذجاً من الجنِّ (م) ننة لکنها بغير خلود<sup>(1)</sup>

### ■ المكان رمزاً للهدوء والأمن:

وقد برز هذا في أشعار ابن الرومي، عندما رافق الخليفة المعتضد في خروجه لتأديب صاحب آمد، والحرب عند ابن الرومي هي الويل، والدمار، بينما بغداد المكان الذي حن إليه،

هي مثابة الأمن والدعة، والراحة النفسية، يقول: [الطويل]

أحنُّ إلى بغدادَ والبيدُ دُونَهَا      حنينَ عميدِ القلبِ حرانَ فاقدِ  
وأترکها قصداً لآمدَ طائِعاً      وقلبي إليها بالهوى جدُّ قاصدِ  
ألا هلْ لأيامٍ تعلَّتْ عيشَهَا      بها عودة أم ليس دهرٌ بعائدِ  
بلى، ربما عادَ الزمانُ بمثلِ ما      بدأ، فحمدنا فعله غير عامد<sup>(2)</sup>

وعندما شارك في الحملة على الزنج، كان يعرف تماماً ما هي الحرب، لذلك تحدث

عن بغداد التي حن إليها، باعتبارها مكان الأمن، والطمأنينة، يقول: [الطويل]

فإن يقض لي الله الرجوعَ فإنَّهُ      عليّ له أن لا أفارقكم نذرُ  
ولا أبتغي عنكم شُحوصاً وفرقةً      يدَ الدهر إلا أن يفرقنا الدهرُ  
فما العيشُ إلا قربٌ من أنت ألفُ      وما الموتُ إلا نأيه عنك والهجر<sup>(3)</sup>

### ■ المكان يعني ساكنيه:

إذ لا يعقل أن يحن الشاعر فقط إلى مظاهر الطبيعة، فلا بد له من أناس يتحدث معهم، ويأنس بهم، فربط الشعراء بين المكان وساكنيه، لكن هؤلاء السكان قد تنوعوا ما بين: أحبة، وأهل، وجيران، وأصدقاء.

(1) ديوان ابن المعتز، 96/2.

(2) ديوان ابن الرومي، 789/2.

(3) نفسه، 1129/3.

فهذا ابن دريد يحن إلى العقيق وساكنيه؛ لأنه يهيم بهم ، لكنه لم يصرح بماهية هؤلاء

السكان، يقول: [الوافر]

أيا برق العقيق أقم فما لي سواك على الصبابة من معين

أحن إلى العقيق وساكنيه وما يخلو المتيم من حنين<sup>(1)</sup>

أما البحري، فيسأل عن المكان الذي حل به أهله، سؤال من يربط مباشرة بين المكان

وأهله، يقول: [المديد]

أين أهل القباب في الأجرع الفر (م) د تولوا لا أين أهل القباب

سقم دون أعين ذات سقم وعذاب دون الثنايا العذاب

وكمثل الأحباب لو يعلم العا (م) نل عندي منازل الأحباب<sup>(2)</sup>

أما الخبز أرزي، فيحن إلى المكان رابطاً إياه مع الجيران، يقول: [الخفيف]

شاقني الأهل لم تشقتي الديار فالهوى صائر إلى حيث صاروا

جيرة مزقتهم غربة البي (م) ن، وبين القلوب ذاك الجوار

كم أناس رعوا لنا حين غابوا وأناس جفوا وهم حضار<sup>(3)</sup>

هكذا يكون المكان في قصائد الحنين، موطناً للمحوبة، يذكرها الشاعر مشتاقاً،

متغزلاً، حين يتحدث عن ذلك المكان، كما كان المكان موضعاً لشرب الخمر، ومجالسة

الندامي، وغالباً ما كان ذلك في الديارات، ومجالس اللهو والأنس، وكان المكان أيضاً موطناً

للصبا والشباب، يذكر الشاعر بأيامه في الصبا والشباب، فيتحسر على المكان حسرته على

صباه وشبابه. كما كان هذا المكان باعثاً للحنين للأيام الخوالي التي قضاها الشاعر في هناء

(1) ديوان ابن دريد. 110.

(2) ديوان البحري، 297/1.

(3) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ج/383.

وراحة، ثم وجدنا المكان أيضاً موطناً للجمال الطبيعي، حيث الأشجار وارفة الظلال، والأزهار بألوانها، والطيور بتغريدها، والمياه بصفائها، مما يبعث في النفس الانتشراح والسرور. كما حن الشاعر إلى المكان رابطاً ذلك بالناس الذين سكنوه، سواء أكانوا أهلاً أم جيرة أم أصدقاء، ثم كان المكان في صورة من الصور موطناً للأمن، حين يكون الشاعر في الحروب وآلامها.

### ثانياً: المكان مبعثاً للألم لشعراء الحنين:

سبق أن بُين أن المكان بمعنى اللذة، وكان مقروناً في كثير من أوضاعه في شعر الحنين بذكرى اللذة؛ لأن هذا المكان كان يمثل للشاعر موطن الحزن، والوحشة، والغربة، والخوف. وذلك حسب المكان الذي كان فيه الشاعر، ويمكن توضيح ذلك كما يأتي:

#### 1. المكان موطناً للحزن وباعثاً له:

أكثر ما ظهر هذا المكان، وبهذه الصورة الباعثة على الحنين، إنما كان في وصف الشعراء للطلل؛ لأن الطلل قد جرى عليه تعديل بفعل باديات الأيام، ومظاهر الطبيعة، بعد رحيل أهله عنه؛ فالأمطار قد دمرته، والرياح قد عصفت به، والرمال قد عفت معالمه وسكنه الوحش بدل الناس، ومظاهر التغير هذه ستترك إحساساً بالحزن والأسى لدى الشاعر، يقول

البحثري: [الكامل]

دمن تناهب رَسْمَهَا حتى عفا      فيها تعاقبُ رائج بقطاره

باتت وبات البرق يمري عوده      فيها، وينتج مثقلات عِشاره<sup>(1)</sup>

ويقول ابن الرومي: [الكامل]

أسألت رسم الدار أم لم تسأل      دمناً عفت فكأنها لم تحلل

(1) ديوان البحثري، 866/2.



فعندما يتحدث ابن الرومي عن نكبة البصرة، يصف المآسي التي حلت بها، ويذكر أن

تلك المآسي جعلته لا ينام، يقول: [ الخفيف ]

ذاد عن مقتلتي لذيد المنام شغلها عنه بالدموع السجام

أي نوم من بعد ما حلّ بالبصر (م) مرة من تكلم الهنات العظام

أي نوم من بعد ما انتهك الزنا (م) حج جهاراً محارم الإسلام<sup>(1)</sup>

ثم يعبر عن حزنه الشديد لما حل بها، حين يوازن بين حالها اليوم، وحالها قبل

الخراب، ويقول:

لهف نفسي عليك يا معدن الخيب (م) مرات لهفاً يعضني إبهامي

لهف نفسي يا قبلة الإسلا (م) م، لهفاً يطول منه غرامي

لهف نفسي لجمعك المتفاني لهف نفسي لعزك المستضام<sup>(2)</sup>

هذا التكرار كله هو دقات محزون، ونفثات مصدور، مما شهده من خراب، وأي

مكان أبعث على الحزن من مكان صورته:

ألف ألف في ساعة قتلوهم ثم ساقوا السبّاء كالأغنام

من رآهن في المساق سبايا داميات الوجوه والأقدام

كم فتاة مصونة قد سبّوها بارزاً وجهها بغير لثام<sup>(3)</sup>

هذا الحزن لما حل بالناس، أما المكان كثير للحزن على أوضاع الحضارة وما حل بها

من تخريب، فيقول:

رُبَّ بيتٍ هناك قد أخرجوه كان مأوى الضعاف والأيتام

(1) ديوان ابن الرومي، 2377/6.

(2) نفسه، 2378/6.

(3) نفسه، 2382/6.

ربّ قصر هناك قد دخلوه      كان من قبل ذاك صعب المرام

أين تلك القصور والدور فيها      أين ذاك البنيان ذو الأحكام

بُدلت تلكم القصور تلالاً      من رماد ومن تراب ركام<sup>(1)</sup>

ويبلغ الحزن مداه لما يعكسه هذا المكان، وهو البصرة من مظاهر التخريب الذي حلت

به، حتى دور العبادة لم تسلم من التخريب، يقول:

بل ألما بساحة المسجد الجا (م) مع إن كنتما ذوي إمام

فأسألاه ولا جواب لديه:      أين عبّاده الطوال القيام؟

أين عماره الألى عمروه      دهرهم في تلاوة وصيام؟

أين فتيانه الحسان وجوهاً      أين شيوخه أولو الأحلام؟<sup>(2)</sup>

بهذه المظاهر التخريبية بما حل بالبصرة من تدمير للحضارة ومظاهرها، وتقتيل

الناس، حتى غدت البصرة أثراً بعد عين، ذلك كله جعل من البصرة مكاناً للحزن والأسى،

يحن الشاعر إلى أيامها الخوالي، بعز ومنعة وسؤدد، ولكن أين هي الآن بعد أن نالها هذا

التدمير الشديد؟

والشاعر أبو ناظرة السدوسي<sup>(3)</sup>، يحس بالفاجعة الشديدة، والألم العظيم، لما حل

بالبصرة على يد الزنج، فيرثيها رابطاً هذا المكان بالحزن الشديد لأنها باعث للحزن، وأي

باعث، وها هو يصف ما حل بالناس من مصيبة على يد الزنج، يقول: [الطويل]

فكم من رحيّ دارت وكم من مصيبة      توالت ومن يوم هناك عصيب

على ألف ألف من ملوك وسوقة      ثووا بين أبواب لهم ودروب

(1) ديوان ابن الرومي ، 2382/6.

(2) نفسه، 2383/6.

(3) أبو ناظرة السدوسي: عيسى بن محمد، كان صديقاً لسوار بن شراة صديق إبراهيم بن المدير، وكان أبو ناظرة من أهل العلم والمعرفة بكلام العرب، ولم أف له على تاريخ وفاة. تنظر ترجمته في: (المرزباني، معجم الشعراء، 93).

معلقةً هاماتهم وشريدهم      شماطيط شتى أوجه وسروب  
عباديد من ناجٍ على جذم بغلة      ومن رازحٍ يشكو الكلال جنبِ  
ومن راسبٍ طافٍ على الماء شلوه      وذو ظمأٍ أودى به وسغوب<sup>(1)</sup>

هذه المشاهد التي حلت بالناس، جعلت البصرة مكاناً للحن والتفجع على أهلها وناسها، فإذا ما تحدث عن الجانب المادي والحضاري زاد المكان حزناً، يقول:

فلا المرید المعمور بالعز والنهي      وكل فتى للمكرمات كسوب  
ولا قصر أوس والمناخ الذي به      وما حوله من روضةٍ وكثيبٍ  
بمرتجع يوماً ولا المسجد الذي      إليه تناهى علم كل أديبٍ  
ولا قائم لله آناء ليله      به كل أوّاه إليه منيب<sup>(2)</sup>

وكفى حزناً بمكان لم يعد فيه سوق المرید مأهولاً بالناس، ولا القصور ظلت قصوراً، ولا حتى المساجد، بل دمرت وقتل عباها.

ويبلغ الحزن مداه عند أبي ناظرة، حين يعد البصرة الدنيا بأسرها، فكيف لا يحزن الإنسان على ضياع الدنيا؟ وهي مبالغة، كشفت عن عميق الحزن، وشديد الأسى، ذلك الحزن الذي كانت البصرة باعثاً عليه، يقول:

نعت أرضنا الدنيا إلينا وأدبرت      بكل نعيم في الحياة وطيبٍ  
وما كانت الدنيا سوى البلد الذي      فلا اليوم من داعٍ به ومجيبٍ  
وما عيش هذا الناس بعد ذهابه      بعيشٍ ولا مغناهم برغيبٍ  
عليك، سلام الله منا فإنا      نرى العيش إلا فيك غير حبيب<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> الميرد، التعازي والمرائي، 283، وشماطيط: الأرهاط متفرقة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (شمط). وعباديد: الأرهاط المتفرقة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عبد)، والسغوب: الجوع، ابن منظور، لسان العرب، مادة (سغب).  
<sup>(2)</sup> الميرد، التعازي والمرائي، 283.  
<sup>(3)</sup> نفسه، 284.



وحين يصور ابن المعتز سر من رأى، بعد خرابها يصورها مكاناً حزيناً باعثاً على

الحزن، مأساوياً يبعث على التفجع والأسى، يقول: [المجتث]

قد أقفرت سرّ من را                      ومما لشيءٍ دوامٌ  
فالنقض يحمل منها                      كأنها آجامٌ  
ماتت كما مات فيلٌ                      تسئل منه العظام<sup>(1)</sup>

وهذا الحزن يبلغ مداه حين يعلم الإنسان أن خراب سر من رأى، لم يكن بيد الأعداء، ولا الخارجين كما حدث في البصرة، بل لأن أهلها هجروها إلى بغداد، فرحل الخليفة وأتباعه، وتبعهم الناس حتى أصبحوا ينقضون مبانيها، وينقلون هذا النقض إلى بلدان أخرى، حتى سقطت على عروشها، ودمرت بأيدي أهلها، كما تسقط جثة الفيل إذا سحبت منه عظامه. ويا لها من صورة، ولكن المكان بصورته المأساوية في البصرة وسر من رأى قد اتخذ في المدينة المنورة صورة مأساوية محزنة من نوع آخر، ذلك لأنها العاصمة الروحية للمسلمين، مهما تعددت عواصمهم العمرانية والسياسية، فحين خربت، رأى فيها الفضل بن العباس أماكن ورموزاً أثارت حزنه، فأبكته وأبكت من حوله، كيف لا وهي دار هجرة النبي -عليه السلام-، وفيها مقام جبريل -عليه السلام- والمنبر النبوي، والمسجد النبوي أيضاً. يقول:

[المنسرح]

أخربت دار هجرة المصطفى البرِّ                      (م) رِ فأبكى خرابها المسلمينا  
عين فابكي مقام جبريل والقب                      (م) رَ فبكي المنبر الميمونا  
وعلى المسجد الذي أسه التقى                      (م) سوى خلاء أضحي من العابدينا  
وعلى طيبة التي بآرك الإِ                      (م) له عليها بخاتم المرسلينا

(1) ديوان ابن المعتز، 582/2.

قبح الله معشراً أخرجوها وأطاعوا مشرداً ملعوناً<sup>(1)</sup>

حقاً قبح الله من خرب دار الهجرة، ومسجد النبي - عليه السلام - حتى جعلها خاوية من العابدين، مبكية لعيون المسلمين بعد عزها وقدسيتها.

## 2. المكان مصدرًا للوحشة وباعثًا لها:

برز المكان كرمز للوحشة في شعر الحنين بصورة لافتة، على لسان الشعراء المسجونين، وكيف لا يكون السجن مكاناً للوحشة، وفيه ينقطع الإنسان عن العالم، ويجاور العنف، والانطواء والألم، والعزلة، وكفى بهذه عوامل للوحشة، وعدم الأنس. ومع أن بعض الشعراء المسجونين حاولوا أن يعزوا أنفسهم بأن السجن للرجال والأبطال، وأنه لم يسجن إلا ذو شأن، فإن السجن في حقيقته وحشة وألم وانطواء. يقول ابن

[الكامل]

الجهم:

قالت: حبست، فقلت: ليس بضائري      حبسي وأي مهند لا يُغمدُ  
أو ما رأيت الليث يألف غيله      كبراً وأوباش السباع تَرَدُّدُ  
والشمس لولا أنها محجوبة      عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ  
والبدر يدركه السرار فتجلي      أيامه وكأنه متجددُ  
والغيث يحصره الغمام فما يرى      إلا وريقه يراع ويرعدُ  
والنار في أحجارها مخبوءة      لا تسطلي إن لم تثرها الأزندُ  
والزاغبية لا يقيم كعوبها      إلا الثقافُ وجذوةً تتوقدُ<sup>(2)</sup>

(1) المرزباني، معجم الشعراء، 186.

(2) ديوان علي بن الجهم، 41-43. السرار: آخر الشهر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرر). والزاغبية: الرماح، منسوبة إلى رجل من الخزر، اسمه زاغب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (زغب)

فهذه الحجج الكثيرة، أتى بها الشاعر ليحاول إقناع الناس أن السجن كحجاب، إنما يكون للأشياء الهامة في الحياة؛ فالليث يألف أجمته كبراً وسلطة، في حين السباع الحقيرة تتردد في الغابة، وكذلك الشمس إن حجبها يفسح المجال للفرقد الخفي أن يضيء، أما البدر، فحين يحجب في آخر الشهر تتجدد أيامه، وكأن خفاءه مبعث حياة للأيام.

أما الغيث، فإنه إن كان كثيفاً حجب بالغمام، وعندها تهطل أمطاره، والنار مخبوءة وخافية في حجارتها، لا تظهر إلا إذا قدحت، والرماح على حالها، فإن قومت إنما يكون ذلك بالنار، فتكون حادة.

ولم يكن ابن المدبر أقل مبالغة حين يأتي بالحجج لإقناع السامع بأن الحبس إنما يكون

لأصحاب الشأن. يقول:

[الكامل]

والحبس يحجبنى وفي أكنافه      مني على الضراء ليث خادرُ  
عجباً له كيف التقت أبوابه      والجود فيه، والربيع الباكرُ  
هلا تقطع أو تصدّع أو وهى      فعذرتـه لکنه بيَ فاخرُ<sup>(1)</sup>

فالحجج هي نفسها: الليث في خدره، والربيع الباكر والجود داخل السجن، ثم يعرج

على أدلة أخرى تأتي كعنصر دفاعي عما يحس به من مهانة ووحشة وألم، في هذا المكان

الموحش المؤلم، يقول:

[الطويل]

أست ترين الخمر يظهر حُسْنُها      وبهجتها بالحبس في الطيب والقارِ  
وما أنا إلا كالجواد يصونه      مقدمه للسبق في طي مضارِ  
أو الدرّة الزهراء في قعر لُجّةٍ      فلا تُجتلى إلا بهولٍ وأخطارِ

<sup>(1)</sup> الأصفهاني، الأغاني، 112/22.

وهل هو إلا منزل مثل منزلي      وبيت ودار مثل بيتي أو داري<sup>(1)</sup>

فالخمر في رأيه لا تكون جميلة إلا حين تحبس في الدن المطلي بالقار، والجواد يحبس ليقوم من أجل السباق، والدرّة تكون في عمق البحر وظلامه، تلك حجج وأدلة واهية، لم تكن إلا للتعزية فقط. وها هي عبارة الحسرة والشوق إلى داره، وذلك المكان الهادئ الآمن الأنيس، تظهر في البيت الأخير حين يكرر البيت مرتين، والدار مرتين، والمنزل مرتين، وكأنه يصرخ طالباً داره ست مرات.

وهذه حجج المناطق والفلاسفة، وكان يكفي أن يأتي الشاعر بمثال أو دليل ليثبت مقولته، لكن يبدو أنه غير مقتنع بما يقول. ولم يكن الحبس يوماً مكان فخر للإنسان، ويدلك على ذلك أننا لم نسمع عن إنسان طلب الحبس لنفسه، ولو كان الحبس مكرمة وكبرياء لتهافت عليه الناس، ولكن عزة نفس الشاعر جعلته يبالغ بالإكثار من هذه الأدلة والحجج، ذلك كله تعزية لنفسه.

ولم يلبث ابن الجهم في مكان آخر أن قال: [الطويل]

هل العيش إلا العزّ والأمن والغنى      غنى النفس والمغبوط من ذل كاشحه

ومن همم الفتیان تفريج كربّة      وإطلاق عانٍ بات والبؤس فادحه

وضيف تخطى الليل يسأل من فتى      ضيف، فدلته عليه نوابحه<sup>(2)</sup>

فأي فخر بالحبس، وهو يصف نفسه بأنه عانٍ، والبؤس قد فدّحه، وأثقله وأوهن قواه.

وابن الجهم ذاته يتحدث عن السجن في صورة في غاية التعبير؛ إذ يصور نفسه في

السجن وقد خرج من الدنيا، ويقول: [الطويل]

إلى الله فيما نابنا نرفع الشكوى      ففي يده كشف الضرورة والبلى

(1) الأصفهاني، الأغاني، 113/22.

(2) ديوان علي بن الجهم، 65.

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها      فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى  
إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة      عجبنا وقتنا جاء هذا من الدنيا  
ونفرح بالرؤيا فجلّ حديثنا      إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا  
فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأت      وإن قبحت لم تحبّس وأتت عجلي<sup>(1)</sup>

هكذا يظهر الصدق جلياً في هذه الأبيات، لأنها تعبر عن إحساس واضح بالألم، والآنزواء والتعاسة. فبهذا يكون الحبس خروجاً عن الدنيا، وانسلاخاً عن أهلها، ومن ذا الذي يستبشر بدخول السجن؟ يكفي أن دخول السجن يعد فرحة وعجباً لمن هم داخل هذا المكان الموحش البائس، ويعتبرونه قد جاء من الدنيا، ويكفي بهذا المكان ضيقاً ووحشة، أن يكون حديث أهله عن الرؤيا، ولكن أية رؤيا؟ إن كانت حسنة، لا يرون لها تحقيقاً، وإن كانت سيئة تحققت بسرعة. وأين هذا من التعزية وإظهار التجلّد بحجج تدل على ضعف من أتى بها، تتناسب طردياً مع عدد هذه الحجج والبراهين.

وكم من الشعراء من صور وحشة هذا المكان، حين تناول جزئيات محددة من هذه الوحشة، فغياب الناس عن المكان يترك الوحشة حالة فيه، والأنس من الإنسان، أو الإنسان من الأنس، فإن خلا المكان من الإنسان خلا من الأنس. لذلك عبر ابن المدبر عن وحشة السجن، بذكره لأناس خارجه يحبهم قلبه، ويألفهم فؤاده، وانزوى عنهم في سجن موحش، يقول:

[الطويل]

وإني لا ستنشي الشمال إذا جرت      حيناً إلى آلاف قلبي وأحابي  
وأهدى مع الريح الجنوب إليهم      سلامي وشكوى طول حزني وأوصابي<sup>(2)</sup>

فمن أين يأتي الحزن والوصب والنصب والتعب والألم، إلا من ذلك المكان الموحش؟

(1) ديوان علي بن الجهم ، 96 .  
(2) الأصفهاني، الأغاني. 182/22.

أما مظهر الوحشة داخل السجن، فهي طول الليل، فإذا كان هذا الليل طويلاً والإنسان في بيته يشنق محبوباً، أو يحن إلى صديق، فما بالك بطول الليل في مكان موحش، هو السجن؟ بالتأكيد سيحس الشاعر بطول الليل مضاعفاً، فهذا ابن المدبر، يقول:

[الكامل]

هذا الزمان تسومني أيامه      خسفاً وها أنا ذا عليه صابرٌ  
إن طال ليلي في الإِسار فطالما      أفنيتُ دهرًا ليلته متقاصرٌ<sup>(1)</sup>

فالدهر الطويل الذي مر به خارج السجن كان قصيراً، والليالي القليلة التي أمضاها

داخل السجن جد طويلاً.

ويستوحش سليمان بن وهب من السجن، بذكر طول الليل أيضاً، يقول: [الرمل]

هل رسول وكيف لي رسول      إن ليلي إن نمتُ جدّ طويل<sup>(2)</sup>

وهذا ابن الجهم يمضي ليله ساهراً في هذا السجن الموحش، فيصف نفسه بأنه: [المتقارب]

إذا أدرع الليلَ أفضى به      إلى الصبح من قبل أن يرقدا<sup>(3)</sup>

وإذا كان طول الليل مظهراً من مظاهر وحشة السجن، فإن القيود مظهر آخر من

مظاهر هذا المكان الموحش، وقد شكّا معظم الشعراء المساجين من ثقل القيود، ومنهم ابن

الجهم، يقول: [الطويل]

فلا تجزعي إمّا رأيت قيوده      فإن خلاخيل الرجال قيودها<sup>(4)</sup>

والحسين بن وهب، يعثر في قيده إذا أراد القيام بسبب ثقل هذا القيد، ويقول: [الرمل]

يا أخي لو ترى مكاني في الحبس      وحالي وزفرتي وعويلي

(1) الأصفهاني، الأغاني، 112/22.

(2) التنوخي، الفرج بعد الشدة، 174.

(3) ديوان علي بن الجهم، 79.

(4) نفسه، 99.

وعِثاري إذا أردت قياماً وقعوداً في مثقلات الكبول<sup>(1)</sup>

ويصف عاصم الكاتب ثقل قيوده، وكيف قصرت خطاه، يقول: [الكامل]

قَصُرْتُ خطاي وما كبرت وإنما قَصُرْتُ لأنني في الحديد مصفد<sup>(2)</sup>

أما غاية الوحشة في السجن فهي أنه مكان الذلة والهوان، وقد عبر الشعراء عن هذه الذلة في هذا المكان الموحش بصور شتى جمعت بين التعبير عن الذلة نفسها، ووصف الشاعر لحاله داخل السجن، وبين استعطاف أولي الأمر، لإطلاق سراحه.

ولقد كان الاستعطاف محشواً بالذلة والمسكنة. فهذا ابن المعتز يذل ويستكين لحادثات

الزمان، فيتحول عيشه من سرور وطيب إلى حزن وألم، يقول: [الخفيف]

من يذود الهموم عن مكروب مستكين لحادثات الخطوب

حولته الدنيا إلى طول حزن من سرور وطيب عيش خصب<sup>(3)</sup>

ويجيد عاصم الكاتب التعبير عن الذلة بألفاظ صريحة حين يقول: [الكامل]

من قال إن الحبس بيت كرامة فكابراً في قوله متجلد

ما الحبس إلا بيت كل مهانة ومذلة ومكاره ما تنفد

إن زارني فيه العدو فشامت بيدي التوجع تارة ويفند

أو زارني فيه الصديق فموجع يذري الدموع بزفرة تتردد

يكفيك أن الحبس بيت لا ترى أحداً عليه من الخلائق يُحسد<sup>(4)</sup>

(1) التتوخي، الفرج بعد الشدة، 174.

(2) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92، والبيهقي، المحاسن والمساوي، 394.

(3) ديوان ابن المعتز، 2/ 252.

(4) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92، والبيهقي، المحاسن والمساوي، 394.

وبلغت الذلة في هذا المكان ذروتها، حين يتوجه الشاعر إلى سجانهِ أو من أمر بحبسه، مستعظفاً منذلاً ليطلق سراحه. فهذا ابن المدبر يستعطف وسيطاً بينه وبين الخليفة

المتوكل، يقول: [الطويل]

دعوتك من كربٍ فلبيت دعوتي ولم تعترضني إذ دعوتُ المعانرُ  
ولي حاجةٌ إن شئتُ أحرزتُ مجدها وسرك منها أول ثم آخرُ  
كلام أمير المؤمنين وعطفه فما لي بعد الله غيرك ناصر<sup>(1)</sup>

وعاصم الكاتب يستعطف الأمير أحمد بن عبد العزيز، واصفاً نفسه بسواد الوجه، وألا

أمل له إلا من سيده، يقول: [الكامل]

ما لي مجيراً غير سيدي الذي مازال يكفُّني فنعَم السيِّدُ  
فاغفر لعبد ذنبه متطوِّلاً فالحد منك سجيّة لا تعهدُ  
واذكر خصائص حرمتي ومقاومي أيام كنت جميع أمري تحمداً<sup>(2)</sup>

وقد بالغ ابن الجهم في استعطافه؛ مصوراً نفسه بالعبد أيضاً كما فعل عاصم الكاتب،

يقول: [المتقارب]

عفى الله عنك ألا حرمةً تعوذ بعفوك أن أبعدا  
لئن جل ذنبٌ ولم اعتمده فأنت أجل وأعلى يدا  
ألم ترَ عبداً عدا طوره ومولى عفا ورشيداً هدى<sup>(3)</sup>

ويقول أيضاً، واصفاً نفسه بالعبودية مرة أخرى: [المنسرح]

إن تعف عن عبدك المسيء ففي فضلك ماوى للصفح والمنن

(1) الأصفهاني 'الأغاني، 113/22.

(2) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92، والبيهقي، المحاسن والمساوي، 395.

(3) ديوان علي بن الجهم، 77.



أتيت ما استحقُّ من خطأ فعد لما تستحق من حسن<sup>(1)</sup>

وقد جمع عاصم الكاتب في لوحة رائعة، جزيئات الوحشة كلها في السجن، في قوله:

[الكامل]

قالت حبست فقلتُ خطبٌ أنكدُ  
لو كنت حراً كان سربي مطلقاً  
أو كنت كالسيف المهند لم أكن  
أو كنت كالليث الهصور لما رعتُ  
من قال إن الحبس بيتُ كرامة  
ما الحبس إلا بيتُ كلِّ مهانةٍ  
إن زارني فيه العدو فشامتُ  
أو زارني به الصديقُ فموجعُ  
يكفيك أن الحبس بيتُ لا ترى  
عشنا بخير برهةً فكبا بنا  
قصرتُ خطاي وما كبرتُ وإنما  
في مطبق فيه النهار مشاكلُ  
تمضي الليالي لا أدوق لرقدةٍ  
فتقولُ لي عيني إلى كم أسهرتُ  
وغداي بعد الصوم ماءً مفردُ  
وإذا نهضت إلى الصلاة تهجراً

أنحى عليّ به الزمان المرصدُ  
ما كنت أوخذ عنوةً وأقيدُ  
وقت الشديدة والكريهة أغمدُ  
في الذئاب وجدوتي تتوقدُ  
فمكاشرٌ في قوله متجلدُ  
ومذلةٌ ومكاره ما تنفدُ  
يُيدي التوجع تارةً ويُفندُ  
يُذري الدموع بزفرة تترددُ  
أحداً عليه من الخلائق يُحسدُ  
ريبُ الزمان وصرفه المترددُ  
قصرتُ لأني في الحديد مصفدُ  
لليل والظلمات فيه سرمدُ  
طعماً فكيف حياة من لا يرقدُ؟  
ويقولُ لي قلبي إلى كم أكمدُ  
كم عيشٌ من يغذوه ماءً مفردُ  
جدبتُ قيودي ركبتني فأسجدُ

(1) ديوان علي بن الجهم ، 189 .

فإلى متى هذا الشقاء مؤكداً  
وإلى متى هذا البلاء مجدداً  
يا ربّ فارحمْ غربتي وتلافني  
إني غريبٌ مفردٌ متلدداً  
مالي مجيرٌ غيرُ سيدي الذي  
مازال يكفني فنعم السيّد<sup>(1)</sup>

### 3. المكان موطناً للغربة وآلامها:

وقد أحسّ بعذابات هذا المكان وغربته، الشعراء المبعدون والمسافرون، فعبروا عن مظاهر الغربة وما يحسه الغريب في هذا المكان الجديد سواءً أكان منفياً فيه أم مسافراً إليه.

وممن صورّ المكان بغربته متمثلة بطول الليل والذلة، ابن المنجم، حيث يقول: [الخفيف]

عاد ليلي القصير في كرخ بغداد (م) د بقرقيسيا علي طويلاً  
أجميلاً أن تتركوني وتمضو (م) ن رهيناً بها غريباً ذليلاً<sup>(2)</sup>

وفي ذلة الغريب، في موطن الغربة ذلك الموطن الذي يخشع فيه الغريب ويذل، يقول

ابن الجهم:  
[المنسرح]

وارحمتا للغريب في البلد النا (م) زح ماذا بنفسه صنعا  
كان عزيزاً بقرب دارهم حتى إذا ما تباعدوا خشعا<sup>(3)</sup>

وفي التعبير عن الذلة في مكان الغربة، يقول أبو هفان:  
[الطويل]

لعمرى لئن بيّعتُ في دارٍ غربةٍ ثيابي أن ضاقت عليّ المآكلُ  
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه له حليةٌ من نفسه وهو عاطلُ<sup>(4)</sup>

ومكان الغربة مكان ألم وحزن، وفي ذلك يقول ابن المعتز:  
[المتقارب]

ألفتُ التباعد والغربة ففي كل يوم أطا تُربئة

(1) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 93، والبيهقي، المحاسن والمساوي، 394-395.

(2) القيسي، نوري، أربعة شعراء عباسيون، 212.

(3) ديوان علي بن الجهم، 154.

(4) البكري، سمط الألي: شرح أمالي القالي، 335/1.

وفي كل يوم أرى حادثاً      يؤدي إلى كبدي كُربة  
أمر الزمان لنا طعمه      فما إن نرى ساعة عذبة<sup>(1)</sup>

ويتحدث خالد الكاتب في تشوقه لأهل في سفره، عن الألم في موطن الغربة، يقول:

[الكامل]

الله يعلم أنني كمد      لا أستطيع أبث ما أجد  
نفسان لي: نفسٌ تضمنها      بلدٌ، وأخرى حازها بلد  
فإذا المقيمة ليس ينفعها      صبرٌ، وليس يقيمها جلد  
وأظن غائبتني كشاهدتي      فكأنها تجد الذي أجد<sup>(2)</sup>

#### 4. المكان موطناً للذعر والخوف والقلق:

تناول شعراء الحنين في شعرهم، المكان بوصفه مكاناً مخيفاً مرعباً، وذلك في حالة الحرب، وقد عبر عن هذا الموقف ابن الرومي، حين رافق المعتضد إلى تأديب صاحب آمد، فصورّ خوفه في مكان الحرب، حيث يبني متوسداً ذراعه، وسيفه ضجيعه، يقول: [الطويل]

رقدت وما ليل الغريب براقداً      وما راقداً لم يرعَ نجماً كساهد  
وكيف رقاد الصبِّ ما بين سائق      من الشوق يقريه النزاع وقائد  
تبيت ذراعي لي وساداً ومُنصلي      ضجيعاً إذا ما بتّ فوق الوسائد<sup>(3)</sup>

ويتجلى الرعب الشديد، والخوف العظيم في وصفه مكان حرب الزنج، يقول: [الطويل]

أقام لحرب الزنج في دار غربة      حوادثها في أهلها القتل والأسر  
ومن دونه هولٌ، ومن تحته ردىً      ومن فوقه سيفٌ، ومن تحته بحرٌ<sup>(4)</sup>

(1) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق، 213، والشابشتي، الديارات، 99.

(2) ابن المرزبان، الحنين إلى الأوطان، 161، المورد: م16/10ع1987م.

(3) ديوان ابن الرومي، 789/2.

(4) نفسه، 1129/3.

هكذا يبرز المكان المؤلم بصوره المختلفه، في شعر الحنين، فصوره تعبر عن وحشة المكان وهو السجن بما فيه من بؤس وانقطاع وذلة ومسكنة، وقيود وسجان، وليل طويل، وبعد عن الناس.

وصورة تمثل الحزن على الطلل الخرب المنذر الذي اعتورته الرياح، فأحلت معالمه، وغيّرت الأمطار، فعفت رسومه، وعانت فيه الرياح فطمست آثاره.

وصورة لألم المكان في الغربة، حيث عبر المسافرين والمنفيون عن التشنت، والسهر، والذلة، والألم. أما الصورة الرابعة فهي صورة المكان بما فيه من خوف ورعب، وذلك حين يبيت الشاعر ويده على سيفه، والهول يحيط به، والموت يترقبه.

وهكذا يبرز المكان في شعر الحنين بصورتيه المتوازيتين: صورة المكان بما فيه من

لذة، وصورة المكان بما فيه من ألم، على تعدد حالات المكانين وأشكالهما.

## الفصل الثالث: الدراسة الفنية.

أولاً: البناء العام للقصيدة.

ثانياً: اللغة والأسلوب.

ثالثاً: الموسيقى.

رابعاً: الصورة الشعرية.

خامساً: التجربة الشعرية.

## أولاً: البناء العام للقصيدة:

تحدث النقاد كثيراً عن بنية القصيدة العربية، من: استهلال، وانتقال بين الأغراض المختلفة، ومدى إجادة الشعراء هذا الانتقال، أو قلة الإجادة، كما تحدثوا عن الوحدة العضوية أو الموضوعية في القصيدة العربية بإسهاب، وجالوا في سؤال مهم: هل يتوفر في القصيدة ذات الموضوعات المتنوعة وحدة عضوية أو موضوعية؟ وهل يشترط ذلك أم لا؟ ثم تحدثوا عن خواتيم القصائد، وماذا اشترط النقاد في هذه الخواتيم، فقد قال الجرجاني في ذلك: إن الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء، ووضح أن الأوائل، لم يكونوا يخصّون ذلك بفضل مراعاة<sup>(1)</sup>.

فإذا أدرنا دفة الحديث إلى شعر الحنين في هذا العصر، من حيث الطول والقصر، وجدناه على صورتين: المقطعات، والقصائد.

### أ. المقطعات:

كثرت المقطعات في شعر الحنين في هذا العصر، لأنها مجرد نغمات للمستطار، أو مجرد وصف للذين يعيشون تجاربهم الوجدانية، ويصفونها بسرعة من الخارج، ذلك أن المسافر، أو المبعد، لا وقت لديه لإطالة القصائد، بل ربما حلّ مدينة ذكرته بمدينة التي رحل عنها، أو حلّ منزلاً في طريقه ذكره منزلاً غاب عنه، أو رأى مظهراً من مظاهر الطبيعة؛ كالبرق مثلاً فشاقه إلى بلاده وموطنه وأهله.

(1) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه، 48.

ومن هنا كان شعر المسافرين والمبغدين في معظمه، على شكل مقطّعات. كقول محمد

[ الخفيف ]

بن أمية الكاتب:

يا غريباً يبكي لكل غريب لم يذق قبلها فراق الحبيب

عزّه الصبر فاستراح إلى الدّم (م) ع، وفي الدمع راحة للقلوب

ليت يوماً أراك فيه كما كنّ (م) ت، قريباً، فأشتكي من قريب<sup>(1)</sup>

فهذه مقطّعة يتمنى صاحبها اللقاء، لأنه يحسّ بالغربة.

[ الطويل ]

ومن ذلك قول ابن دريد في سفر له:

أقول لورقاوين في فرع نخلة وقد طفّل الإمساء أوجّح العصر

وقد بسطت هاتا لتلك جناحها وما على هاتيك من هذه النحر

ليهنكما إن لم تراعا بفرقة وما دبّ في تشتيت شملكما الدهر

فلم أر مثلي قطع الشوق قلبه على أنه يحكى قساوته الصخر<sup>(2)</sup>

وقد ظهرت المقطّعات في شعر السجن أيضاً، خلال مرور الشاعر بحالة عارضة

[ الطويل ]

تستدعي لحظة يفرج فيها عن نفسه، كقول ابن المدبر:

وإني لأستنشي الشمال إذا جرت حيننا إلى الألف قلبي وأحابي

وأهدي مع الريح الجنوب إليهم سلامي وشكوى طول حزني وأوصابي<sup>(3)</sup>

[ الخفيف ]

وكقول سليمان بن وهب:

هل رسول إلى أخي وشقيقي ليت أتى مكان ذلك الرسول

يا أخي لو ترى مكاني في الحبّ (م) س، وحالي وزفرتي وعويلي

(1) الشابشتي، الديارات، 29.

(2) ديوان ابن دريد، 66.

(3) الأصفهاني، الأغاني، 124/22.

لرأيت الذي يغمك في الأعدا (م) ء، إن يسلكوا جميعاً سبيلي

ولعل الإله يأتي بصنع وخلص وفرجة عن قليل<sup>(1)</sup>

وكثرت المقطعات في شعر الحنين إلى المدن والديارات، يقول المهلبي: [ الطويل ]

أحنّ إلى بغداد شوقاً وإنما أحنّ إلى إلف بها لي شائق

مقيم بأرض غبت عنها وبدعة إقامة معشوق، ورحلة عاشق<sup>(2)</sup>

ويقول أبو عبد الله النديم: [ السريع ]

يا دير درمالمس ما أحسنك ويا غزال الدير فا أفتك

لئن سكنت الدير يا سيدي فإن في جوف الحشا مسكنك

ويحك يا قلب أما تنتهي عن شدة الوجد بمن أحنك

ارفق به بالله يا سيدي فإنه من حيثه مكنك<sup>(3)</sup>

ولم تكثر المقطعات في الحنين إلى الأطلال، ولعل ذلك بسبب كون الأطلال جاءت

مقدمة لأغراض أخرى؛ لذلك كان وصف الطلل في حد ذاته طويلاً، ثم زاد طول القصيدة

بالموضوعات الأخرى التي تلتها.

وقد بلغ عدد النصوص التي شملتها الدراسة: مئة وتسعة وأربعين نصاً، كان منها:

اثنتان وثلاثون نصاً من المقطعات، وليس هذا بقاطع؛ إذ ربما لبعض هذه المقطعات تنمة لم

تصل إلينا، وضاعت مع ما ضاع من الشعر.

(1) التنوخي، الفرغ بعد الشدة، 174 .

(2) الأصفهاني، أدب الغرباء، 76.

(3) الشابشتي، الديارات، 3 .



## ب. القصائد:

وهي ما زاد عدد أبياتها على سبعة لدى بعض النقاد<sup>(1)</sup>، أو ثمانية أو غير ذلك، وقد أخذت بالرأي الذي عدّ القصيدة ما زاد عن سبعة أبيات، وقد بلغت هذه القصائد في هذه الدراسة: مئة وسبع عشرة قصيدة.

ولدى عرضها على معايير النقاد في بناء القصيدة من حيث: المطلع، والتخلص، والخاتمة، والوحدة في القصيدة، يتبين لنا ما يأتي:

### (1) المطلع:

وقد أطلق عليه أكثر من مصطلح، منه: حسن الابتداء، وبراعة الاستهلال، ولعل اهتمامهم به ينبع من كونه أول ما يطرق السمع من الكلام، فإن حسن كان داعيا لاستماع ما يجيء بعده من الكلام<sup>(2)</sup>، فالشعر " قفل، أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجودّ ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"<sup>(3)</sup> كما أن إجادة المطلع تعدّ دليلا على مقدرة الأديب<sup>(4)</sup>.

لذلك اشترط النقاد في المطلع أن يكون دالا على موضوع القصيدة، وغرض الشاعر من نظمها، دون أن يكون في ذلك تصريح مباشر، " بل إشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر، أو تتصل، أو تهنئة، أو مدح أو هجو"<sup>(5)</sup>.  
أي أن القصيدة العربية، قد ثبتت في عصورها الأولى على شكل فني يكاد يلتزمه الشعراء. فقد كانت هذه القصيدة مشتملة على أكثر من غرض شعري: فيها يقف على الأطلال

(1) ينظر: العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، 489.

(2) ينظر: نفسه، 496، وابن الأثير، المثل السائر، 224/2.

(3) ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 350/1.

(4) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، 227/2.

(5) ابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، 30/1. وللمزيد حول مفهوم المطلع وآراء النقاد فيه، ينظر: ديوان الناشئ الأكبر، مقدمة المحقق، 97، المورد، م 11، ع 1، 1982 م، و القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 310، و بكار، يوسف، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، 275، و موافي، عثمان، الخصومة بين القدماء والمحدثين، 230، وغيرها.

يسائلها، ويخاطبها، ويستبكيها، ويبكي عليها، ثم ينتقل إلى غرضه من مدح أو هجو أو غزل وغيرها.

وكما سبق، فيستحسن للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله، مما يتطير منه، ويستجفى من الكلام، والبكاء، وتشيت الألاف، ونعى الشباب، وذم الزمان، وبخاصة في قصائد المديح والتنهاني، ولكن لا بأس بهذه المطالع في المراثي، ووصف الخطوب<sup>(1)</sup>.

ومن أكثر الشعراء حضوراً في القصائد الطوال: البحتري، وابن الرومي، وعلي بن الجهم؛ أما البحتري، فقد امتاز في حنينه إلى الأطلال بمطالع، أكثر النقاد من مدحها<sup>(2)</sup>.

منها قوله: [ الخفيف ]

ما على الركب من وقوف الركاب في مغاني الصبا ورسم التصابي<sup>(3)</sup>

وقوله: [ الكامل ]

هذي المعاهد من سعاد فسلم واسأل، وإن وجمت فلم تتكلم<sup>(4)</sup>

ومن المطالع المستحسنة، قول ابن الرومي في رثاء البصرة: [ الخفيف ]

ذاد عن مقلتي لذيد المنام شغلها عنه بالدموع السجام<sup>(5)</sup>

فقد كانت القصيدة في البكاء على البصرة، والحنين لأيامها الخالية، بعد أن دمرها

الزنج، ومن حسن المطالع أيضاً قوله في حنينه إلى بغداد: [ الطويل ]

رقدت وما ليل الغريب براقِد وما راقِد لم يرع نجماً كساهد<sup>(6)</sup>

فهو في بعد عن بغداد، وتشوق إليها، لذلك صح منه هذا المطلع القلق.

(1) ينظر: العسكري، أبو هلال، كتاب الصنائع: الكتابة والشعر، 489 .

(2) ينظر: الأمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، 384 ، وعتوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، 78 .

(3) ديوان البحتري، 83/1 .

(4) نفسه، 418/1 .

(5) ديوان ابن الرومي، 23776 .

(6) نفسه، 789/2 .

ومنها، قول جحظة:

[ الطويل ]

ألا هل إلى دير العذارى ونظرةٍ إلى الخير من قبل الممات سبيل<sup>(1)</sup>

فقد جمع بين الاستفتاح والتمني، فكان جيدا.

ومن المطالع المحمود، قول علي بن الجهم في سجنه:

[ الطويل ]

أقلّي فإن اللوم أشكلٍ واضحاً وكم من نصيحٍ لا تملُ نصائحه<sup>(2)</sup>

فالمطلع يكشف عن نفس مبلبلة، وأية نفس بهذه الصفة، أكثر من نفس في السجن،

وكذلك قوله:

[ المتقارب ]

عفا الله عنك إلا حرمةً تعوذ بعفوك أن أبعدا<sup>(3)</sup>

فهو مطلع بالدعاء يطلب فيه المسامحة والعفو، فجاء في هذا المطلع الحسن بالدعاء،

والسبب الذي يطلب من أجله المسامحة هو الحرمة، وذكره بشيمته وهي حبّ العفو. ومنها

قوله:

[ الوافر ]

توكلنا على ربّ السماء وسلّمنا لأسباب القضاء<sup>(4)</sup>

وبسبب كونها في الحبس، فإنها تدل بوضوح على الرضا بقضاء الله، فكان المطلع

جميلاً، ولولا الإطالة لأكثرت من الأمثلة على هذه الابتداءات الحسنة.

ولا يعني هذا أن هذه الابتداءات في شعر الحنين كانت حسنة كلها، فقد كان الحظ لا

يحالف بعض الشعراء في بعض مطالعهم، رغم شهرتهم بالإجادة ومن هؤلاء البحري، في

قوله في مدح المتوكل:

[ الطويل ]

(1) الأصفهاني، الديارات، 123 .

(2) ديوان علي بن الجهم، 64 .

(3) نفسه، 77 .

(4) نفسه، 81 .

قف العيسَ قد أدنى خطاها كلالها      وسل دار سعدي إن شفاك سؤالها<sup>(1)</sup>

فالألفاظ حسنة، لكن المعنى ليس حسناً، وكأنه لم يقف لسؤال الأطلال إلا لأن الراحلة

تعبت. ومنها قوله: [ الطويل ]

قفا في مغاني الدار نسأل طولها      عن النفر اللّائين كانوا حلولها<sup>(2)</sup>

فقد حشر كلمة (اللّائين) وهي كلمة "غير مشهورة، ولاحوة"<sup>(3)</sup>

ومن الذين دخلوا القصيدة بمدخل ليس بحسن: ابن الرومي ، فقد بكى الشباب كثيراً،

بسبب فقد الشباب، وتعلقه بالحياة، لكنه ابتدأ قصيدة له بقوله: [ البسيط ]

نبكي الشباب لحاجات النساء ولي      فيه مآرب أخرى سوف أبكيها<sup>(4)</sup>

هكذا دون أن يقدم بين يدي هذا البكاء شيئاً يحسن المدخل، لكن الأغلب في مطالع

القصائد أنها بدأت بدايات حسنة.

والملاحظ على مطالع القصائد عند الشعراء الثلاثة: البحتري وابن الرومي وابن

المعترز، أنها كانت على النحو الآتي:

امتاز البحتري بمقدمته الطللية تمهيدا للأغراض الأخرى، من مديح وهجاء، وتهنئة

وعتاب إلى غير ذلك. وقد أطل بعض الباحثين في الحديث عن مقدمات البحتري، وعن سبب

تركيزه على الأطلال والطيف، من حبه لعمود الشعر، إلى نشأته في قبيلته البدوية قبل التحاقه

بالمدين وبالخلفاء وبالأمراء<sup>(5)</sup>.

(1) ديوان البحتري، 179/2 .

(2) نفسه، 199/2 .

(3) الأمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، 393 .

(4) ديوان ابن الرومي، 2377/6 .

(5) ينظر: عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، 57 .

أما ابن الرومي فقد أكثر في مطالع قصائد من الحديث عن الشيب والشباب، فبكى الشباب وتألم من الشيب، وفصل في ذلك، وأجاد وذهب فيه كل مذهب، حتى عدت هذه المقدمات من باب التجديد في القصيدة العربية<sup>(1)</sup>.

في حين نوّع ابن المعتز في مطالع قصائده، فله مقدمات فخرية، وأخرى في وصف السحاب، وثالثة في الشكاية من الدهر، ويبدو أن الخمر والسحاب كانت في أوقات لهوه ومرحه، وأن الشكوى التي تصدرت غير قليل من قصائده، جاءت عند تولي سلطته، أو خلال حسبه<sup>(2)</sup>.

وبنظرة سريعة لهذه المقدمات، يتبين التقليد في كثير منها، وبخاصة لدى البحري في مجال الأطلال والديار، وإن كان قد حدد في التوسع والتفنن في جمال الطيف<sup>(3)</sup>، وكذلك الحال في الشكوى من الشيب وتوديع الشباب كبداية سبق إليها ابن الرومي، لكنه جدد فيها في تعمقه في الفكرة، وأحاطته بجزئياتها كلها من جهة، وكثرة ورودها في مطالع القصائد من جهة ثانية.

كما كان التجديد واضحاً في موضوع الشكوى من الدهر، الذي نهض به ابن المعتز، نهضة رائعة متأثراً فيها بالظروف السياسية الفاسدة في عصره<sup>(4)</sup>.

هذا مع العلم أن المقطعات لم تكن لها مقدمات، وكذلك الحال في قصائد الحنين التي تتحدث عن ويلات السجون، فقد تناولت بالحديث: السجن، وظلامه، وحراسه، والآلام النفسية والجسمية للمسجون، ولم يدخل إليها بمقدمة بل كان يدخل إليها مباشرة بقول الشاعر: (قالت حبست)، أو الحكمة، أو الدعاء، أو ما شابه ذلك، أي أن الشعراء كانوا يطرقون الموضوع مباشرة.

(1) ينظر: عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، 149 .

(2) ينظر: نفسه، 211 .

(3) نفسه، 60 .

(4) ينظر: نفسه، 404 .

## (2) التخلص أو الانتقال:

اهتم النقاد بالتخلصات: حسنها، وقبحها؛ فالشعراء القدماء لم يوجهوا عنايتهم في الانتقال من غرض إلى غرض في القصيدة، وكانت طريقة بعض الشعراء أن يقولوا بعد أن يفرغوا من النسيب: دع ذا، أو عدّ عن ذا، أو اترك ذا، وغيرها من الأساليب، أو يستأنف الشاعر وصف السحاب أو البحر أو غيرهما، ثم يقول: فما الشمس أو القمر أو البحر بأجود أو أشجع أو أحسن من فلان<sup>(1)</sup>.

ولما كانت العرب تنتقل من موضوع إلى آخر، كانوا يقولون (دع ذا)، أو ينتقلون إلى الحديث عن العيس، ثم ينتقلون بقولهم (إلى فلان) إذا أرادوا مدحاً، وربما تركوا الموضوع الأول وأخذوا في الثاني من غير أن يستعملوا الأساليب السابقة.

ومن تأمل القصائد الواردة في هذه الدراسة يجدها جمعت بين حسن الانتقال والتخلص وبين التخلص السيئ، أو الانتقال المفاجئ أو المبتور.

ومن التخلصات الجيدة قول البحتري:

إذا باكرته غاديات همومه أراح عليها الراح حمراء كالورد

كأن سناها بالعشي لشربها تبلى عيسى حين يلفظ بالوعد<sup>(2)</sup>

فهذا تخلص حسن إلى الممدوح، ومنها قوله أيضاً في مديحه:

لعمري أبي الأيام ما جار حكمها علي ولا أعطيتها ثني مقود

وكيف أخاف الحادثات وصرفها علي ودوني أحمد بن محمد<sup>(3)</sup>

وهو انتقال حسن، وقد كان أحسن لو لم يأت بلفظة (دوني)، فإنها غير مناسبة.

(1) ينظر: ابن طباطبا، عيار الشعر، 113، للمزيد حول مفهوم التخلص أو الانتقال، ينظر: وابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 378/1، وابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، 329/1، والجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه، 156، وابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، 315.

(2) ديوان البحتري، 759/2.

(3) نفسه، 772/2.

ومن حسن التخلص في موضوع الهجاء، قول ابن الرومي: [ الكامل ]

وأنا المقابلُ في أكاسر فارس      وابن الملوك الصيِّد غير تتحل  
رفعوا يفاعي كابرًا عن كابر      حتى استقلَّ إلى السمَّك الأعزل  
في حيث يقصرُ باع كل مساورٍ      دوني، ويحسرُ ناظرُ المتأمل  
فضلاً له بك يا بن طاحنة الرحي      رومي وبيتك بالحضيض الأسفل<sup>(1)</sup>

فقد فخر بنفسه، ثم انتقل بسلاسة إلى هجاء المهجو، مقارنة بين علو الشاعر وانخفاض المهجو.

وهذا ابن الجهم يحسن التخلص في المديح حين يقول: [ الوافر ]

وثرنَ وللصبح معقباتٌ      تقلص عنه أعجاز الظلام  
فلما أن تجلى قال صحبي      أضوء الصبح أم وجه الإمام  
فقلت كأنه هو من بعيد      وجئت غرّة الملك الهمام<sup>(2)</sup>

فقد أحسن في التخلص وأجاد، حين وازن بين ضوء الصبح ووجه الإمام، ثم فضل وجه الإمام على الصبح.

لكن الأمر لم يكن دائماً انتقالاً حسناً، حتى قال الجرجاني في وصف القدماء: "ولم تكن الأوائل تخصصها- أي الاستهلال والتخلص والخاتمة- بفضل مراعاة، وقد احتذى البحثري على مثالهم، إلا في الاستهلال"<sup>(3)</sup>.

فقد كان البحثري كثيراً ما ينتقل بين موضوع وآخر قافزاً، ومن ذلك قوله في المديح:

[ البسيط ]

(1) ديوان ابن الرومي، 2035/5 .

(2) ديوان علي بن الجهم ، 8 .

(3) الوساطة بين المتنبي وخصومه، 48 .

أسقى الغمام بلاد الغور من بلد هاج الهوا وزمان الغور من زمن  
إني وجدت بني الجراح أهل ندى غمر، وأهل تُقى في السرّ والعلن<sup>(1)</sup>

وكذلك قوله [ الطويل ]

تمنيت ليلي بعد فوّتٍ وإنما تمنيت منها خطّةً لا أنالها  
زهت سرّ من را بالخليفة جعفر وعاد إليها حسنّها وجمالها<sup>(2)</sup>

ومثل هذه الانتقالات القافزة في قصائد البحتري كثيرة.

ولم يسلم ابن المعتز من ذلك في المديح، فهو يقول: [ المديد ]

وسقى أطلال هند فأضحت يمرح القطر عليها مراحا  
في ثرى كالمسك شيبَ براح كلما أنبتّه القطر لاحا  
جمّع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا<sup>(3)</sup>

كما وقع في ذلك ابن الرومي في قوله هاجياً: [ مجزوء الكامل ]

فودّ لها وجهاً عليّ (م) ه من القمامة مئبسُ  
كالبدر حقّته السعو (م) د وغاب عنه الأحمسُ  
قولاً لدبسٍ شرّ من يطأ الترابَ ويرمسُ  
تبّاً لدهرٍ أنت في (م) ه مقدمٌ ومُراسُ<sup>(4)</sup>

ومن الانتقال غير المحمود وغير المذموم في الوقت ذاته، قول الخبز أرزي في

المديح: [ الخفيف ]

لا تلمهم على التجني فلو لم يتجنوا لم يحسن الاعتذارُ

(1) ديوان البحتري، 2158/4 .

(2) نفسه، 1629/3 .

(3) ديوان ابن المعتز، 1 / 463 .

(4) ديوان ابن الرومي، 1193/3 .



وكذا لم تطب لنا البصرة الزهـ (م) راءُ لولا أميرها المختار<sup>(1)</sup>

فنتقل من اللوم والتجني إلى المديح بطريقه ملتوية.

ولعل سير الأمور على طبيعتها، قد كان وراء عدم التركيز على حسن التخلص، الذي

أصبح يتفنن فيه الشعراء، ويقصدونه مقصداً في العصور اللاحقة، كقول ابن حجر العسقلاني:

[ الكامل ]

لم يُنسِ أيامي قديم عهدكم إلا حديثُ المصطفى المستغنى<sup>(2)</sup>

أو قوله: [ الكامل ]

والله مالي من هداك تخلص إلا بمدح المصطفى المحبوب<sup>(3)</sup>

أو قوله: [ البسيط ]

والله ما اشتغلت عن ذكركم فكري إلا بمدح المقام الناصر العالي<sup>(4)</sup>

وبذلك فإن حسن التخلص له دور بارز في إظهار الوحدة العضوية للقصيدة بأبهى

صورها وأكملها ، ولكن إن تخطب الشاعر ولم يحسن تخلصه أفسد اللوحة الشعرية ، وأساء

إلى هذه الوحدة إساءة كبيرة .

(1) النجار، إبراهيم ، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2 / ج 2 / 383 .

(2) ديوان ابن حجر العسقلاني، 99 .

(3) نفسه، 106 .

(4) نفسه، 146 .

### (3) الخاتمة:

كانت نهاية القصيدة من المسائل التي عني بها متأخرو الشعراء، ولم تكن تحظى بعناية القدماء، شأنها في ذلك شأن البدء والانتقال<sup>(1)</sup>.

وجاء اهتمام الشعراء بأواخر قصائدهم؛ لأنها آخر ما يبقى في ذهن السامع، ولعلّ اهتمام الوشاحين بالخرجة هو من هذا المقام، وقد جاءت الخواتيم في كثير من المقطعات والقصائد، ومنها ختام قصيدة رثاء البصرة لابن الرومي، حيث دعا إلى مقاتلة الزنج، وشوقهم إلى الجنة إذا استشهدوا، فأحسن الختام في قوله: [ الخفيف ]

لا تطيلوا المقام عن جنة الخلد (م) فد، فأنتم في غير دار مقام

فاشترروا الباقيات بالعرض الأدنى (م) نى، وبيعوا انقطاعه بالدوام<sup>(2)</sup>

وفي رثاء البصرة ذاتها، يحسن أبو ناظرة السدوسي ختام قصيدته، بالسلام على البصرة، قائلاً: [ الطويل ]

عليك سلامُ الله منا فإننا نرى العيش إلا فيك غير حبيب<sup>(3)</sup>

وقد أجاد ابن الرومي في ختم قصيدة الشيب، التي لم يبدع في استهلالها، فقال في ختامها:

[ البسيط ]

وكانت النفس ينهاها إذا غويت ناه سواها ، فمنها الآن ناهيها<sup>(4)</sup>

(1) ينظر: الفيل، توفيق، القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي، 354، وموافي، عثمان، الخصومة بين القدماء والمحدثين، 360. للمزيد حول مفهوم خاتمة القصيدة، ينظر: ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 380/1، وابن حجة، خزائن الأدب وغاية الأرب، 493/2، وابن أبي الأصعب، تحرير التحبير، 213، والقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 336، و القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 385.

(2) ديوان ابن الرومي، 2377/6.

(3) المبرد، التعازي والميراثي، 390.

(4) ديوان ابن الرومي: 2478/6.

كما أجاد الحسين بن وهب، وهو في سجنه، الحديث عن الفرغ في قوله: [ الخفيف ]

ولعلَّ الإله يأتي بصنع وخلص وفرجة عن قليل<sup>(1)</sup>

فلقد أجاد فيها بطلب الفرغ من صاحبه، وضمَّ في شطر واحد: الفرغ، والخلص،

وقرب ذلك.

وقائمة الخواتيم الحسنة طويلة، لكنَّ بعض الشعراء لم يحسن ختام قصيدته، ومن

هؤلاء ابن المعتز في المديح، حيث يقول: [ المديد ]

إن أغب عنك فما غاب شكر دعوة جاهرة وامتداحا

يا أمين الله أيدت ملكاً كان من قبلك نهباً مستباحاً<sup>(2)</sup>

فلو ختمها بالبيت ( إن أغب عنك )، لكان ختاماً حسناً؛ لأنه تضمن الشكر والمدح

والدعاء، وليس بعد ذلك حديث. وكذلك قول جحظة في شوقه إلى الجزيرة: [ الطويل ]

ألا هل إلى فيء الجزيرة بالضحى وطيب نسيم الروض بعد الظهائر

... سبيلٌ وقد ضاقت بي السبيلُ حيرةً وشوقاً إلى أفيائها بالهواجر<sup>(3)</sup>

فلو جمع البيتين (ألا هل) و(سبيل) في بيت واحد، لكان الختام جيداً، لأنه يتمنى

لقاءها، لكنه مزقهما بحشو كثير، زيادة على بيتين كاملين بينهما.

ولم يحسن ماني الموسوس ختام قصيدته أيضاً في وصفه لتوبته، حين ختمها بوصف

الخمرة قائلاً: [ المنسرح ]

وقهوة من نتاج قطربل تخطف عقل الفتى بلا عنف

تُرجع شرخ الشباب للخرف الفا (م) ني وتدني الفتى من الشغف<sup>(4)</sup>

(1) التتوخي، الفرغ بعد الشدة ، 174 .

(2) ديوان ابن المعتز، 460/1.

(3) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2 / ج 2 / 69.

(4) نفسه ، قسم 2 / ج 2 / 243.

ولكن يجب الاحتراس من أن هذه النهايات قد لا تكون هي النهايات الفعلية للقصيدة، إذ قد تكون ثمة أبيات لم تصل إلينا، وضاعت فيما ضاع من الشعر، ولكن لا بد من التتويه أيضاً إلى أن الشعراء في هذا العصر، لم يقصدوا تحسين الخوايم قصداً، بل كان ذلك استجابة لطبع، على غير ما هي الحال لدى الشعراء المتأخرين من العصر المملوكي، وحتى العصر الحديث، فإن الشعراء كانوا يقصدون تحسين خوايم قصائدهم قصداً، وما أجمل ما ختم به شوقي مديحه للنبي صلى الله عليه وسلم- في قوله: [البسيط]

يا ربّ أحسنت بدء المسلمين به فتمم الفضل وامنح حُسنَ مُختتم<sup>(1)</sup>

فأي خاتمة أجمل من هذه، حين ضمّت الدعاء والفضل والتمام، وحسن الختام معاً!؟

### ثانياً: اللغة والأسلوب:

ليس المقصود باللغة الكلمات ومدلولاتها، وإن كانت هذه جزءاً رئيساً من اللغة، إنما المقصود: اختيار الكلمات والعبارات والجمال لتكسو المعنى أو الفكرة كساء الجسد للروح، في إنتاج الجسم الحي المتحرك، إذ ليس للكلمات في ذاتها صفات أدبية خاصة ولا توجد كلمة قبيحة أو جميلة في ذاتها أو من طبيعتها أن تبعث على اللذة أو عدمها. ولكل كلمة جملة من التأثيرات الممكنة يختلف طبقاً للظروف التي توجد فيها<sup>(2)</sup>.

ولا شك في أن الشاعر يختار ألفاظه التي يتوقع أن تقوم بعبء الفكرة، وتؤثر في السامع، مقترنة مع غيرها من العناصر، وهذا العصر ليس عصر بداوة وجفاء، بل هو عصر لمعت فيه مظاهر الحضارة المختلفة، لذلك كانت الألفاظ مصقولة مهذبة أميل إلى السهولة، ولا يحتاج الإنسان فيها إلى كثير عناء حتى يفهمها، وحتى في مجال الطلل الذي قلّد فيه شعراء هذا العصر، وبخاصة البحري الشعراء الجاهليين، إلا أن ألفاظه كانت مهذبة رقيقة إذا قيست

(1) الشوقيات، 208/1 .  
(2) ريتشاردز، إ.أ، مبادئ النقد الأدبي، 90.

بالمقدمات الطللية عند الجاهليين، ويأتي ذلك من حرصه على اتباع تقاليد الشعر العربية، في المحافظة على الاستفتاح بالطلل، وحرصه المقابل على أن يكون ابن بيئته، من حيث الرقة وسهولة الألفاظ ووضوحها.

ولما كانت الحال في شعر الحنين حديثاً عن الأحاسيس، والآلام، والمشاعر، فإن مثل هذا الغرض لا يناسبه ألفاظ وعرة، وغريبة، بل سهلة مفهومة؛ لأن شعر الحنين يعبر عن نفسية هذه حالها، وتطلب من المتلقي أن يشاركها هذه الأحاسيس والمشاعر، وكيف يشارك المتلقي، إن لم يفهم الألفاظ التي خوطب بها؟ فجاءت في كثير من الأحوال ألفاظه مؤتلفة مع بعضها ومع معناها، وهو ما يسميه البلاغيون: ائتلاف اللفظ مع المعنى<sup>(1)</sup>. كقول البحتري:

[ الكامل ]

لو شئت عدت إلى التناصف في الهوى وبذلت من مكنونه ما أبذل<sup>(2)</sup>

[ المديد ]

وقول ابن المعتز:

علموني كيف أسلو وإلا فخذوا عن مقلتي الملاحا<sup>(3)</sup>

[ الطويل ]

وقول ابن الرومي:

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضّاهم الشباب هناكا<sup>(4)</sup>

[ الكامل ]

وقول نفطويه:

وكذاك أيام السرور قصيرة لكنّ أيام البلاء بواقية<sup>(5)</sup>

ومن باب السهولة، كان الشاعر يلجأ إلى توضيح حاله، بموازنتها بأحوال الآخرين في

مثل هذا المقام، وأكثر ما كان ذلك في مجال الاقتباس والتضمين.

(1) ينظر: ابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، 21/2.

(2) ديوان البحتري، 1599/3.

(3) ديوان ابن المعتز، 461 / 1.

(4) ديوان ابن الرومي، 1582/5.

(5) ابن المرزبان، الشوق والفراق، 100.

أما الاقتباس، فهو نوع من تقريب الفكرة إلى ذهن السامع، وجلبه بألفاظ سهلة، يعرفها

من القرآن الكريم<sup>(1)</sup>. كقول ابن الجهم:

[ الكامل ]

والله بالغ أمره في خلقه وإليه مصدرنا غداً والمورد<sup>(2)</sup>

فهو ينظر بوضوح إلى قوله تعالى: " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا {3}"<sup>(3)</sup>.

ويقول ابن الجهم أيضاً:

[ متقارب ]

فشكراً لأنعمه إنه إذا شكرت نعمة جدد<sup>(4)</sup>

فهو يقتبس من قوله تعالى: " لئن شكرتم لأزيدنكم "<sup>(5)</sup>.

واقتبس ابن الجهم نصاً كاملاً في قوله:

[ الكامل ]

والله ليس بغافل عن أمره وكفى بربك ناصرًا ووكيلاً<sup>(6)</sup>

وكثيرة هي الآيات التي ذيلت بقوله تعالى: " وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "<sup>(7)</sup>. وكذلك

كثيرة هي الآيات المذيلة بقوله تعالى: " وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا "<sup>(8)</sup>.

ومنها قول ابن الرومي:

[ الخفيف ]

أين فُلكٌ فيها وفُلكٌ إليها منشآت في البحر كالأعلام<sup>(9)</sup>

وهي من قوله تعالى: " وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ "<sup>(10)</sup>.

(1) ينظر: ابن حجة، خزائن الأدب وغاية الأرب، 478/2.

(2) ديوان علي بن الجهم، 47.

(3) الطلاق، 3-2.

(4) ديوان علي بن الجهم، 79.

(5) إبراهيم، 7.

(6) ديوان علي بن الجهم، 173.

(7) من هذه الآيات: البقرة، 74، 85، 140.

(8) من هذه الآيات: النساء، 81، 109، 132، 171.

(9) ديوان ابن الرومي، 328/6.

(10) الرحمن، 24.

أما التضمين<sup>(1)</sup>، فهو من باب التسهيل وإيضاح الفكرة؛ لأنه يستشهد بقولٍ لغيره يناسب حالته، فكأنه يوضح فكرته بصورة مضاعفة.

وقد كان التضمين بهذه الصورة في جانب السهولة، كقول جحظة:<sup>(2)</sup> [ الطويل ]

يُغْنِي وأسباب الصواب تمدهُ      وليس له فيما يقول عديلُ:

" ألا هل إلى شمّ الخزامي ونظرة      إلى قرقرى قبل الممات سبيلُ"<sup>(3)</sup>

وثنى يغني وهو يلمس كأسه      وأدمعه في وجنتيه تسيلُ

"سيعرض عن ذكري وينسى مودتي      ويحدث بعدي للخليل خليلُ"<sup>(4)</sup>

فالبيت المضمن الأول: (ألا هل إلى شمّ الخزامي)، ليحيى بن أبي طالب، والبيت

الثاني المضمن: (سيعرض عن ذكري)، لأبي العتاهية.

وقد يكون التضمين زخرفة ليس إلا، كما ورد في وصف ابن المعتز لخراب سامراء:

[ الطويل ]

غدت سر من را في العفاء فيا لها      "قفا نك من ذكري حبيب ومنزل"

وأصبح أهلوها شبيهاً بحالها      "لما نسجتها من جنوب وشمأل"

إذا امرؤ منهم شكا سوء حاله      "يقولون لا تهلك أسي وتجمل"<sup>(5)</sup>

ومعلوم أن أعجاز الأبيات الثلاثة هي لامرئ القيس<sup>(6)</sup>، ولم يأت بها إلا للزخرفة، فلا

تحسن فيها عاطفة حرّى.

(1) ينظر: ابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، 56/2، وابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 719/2.

(2) الشابشتي، الديارات، 123.

(3) البيت ليحيى بن أبي طالب الحنفي، في: الأصفهاني، الأغاني، 283/16.

(4) ينظر البيت في: ديوان أبي العتاهية، 356.

(5) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق، 212.

(6) ديوان امرئ القيس، 8-9.

ومثلما استخدم الشعراء الألفاظ العربية القديمة للتعبير عن بيئتهم الصحراوية، استخدموا ألفاظاً جديدة معرّبة من الفارسية، فأخذوا عن الفرس كثيراً من ألفاظهم الأعجمية، واستخدموها في أشعارهم وبخاصة في شعر الطبيعة، وكان ذلك بسبب الامتزاج الحضاري بين العرب وغيرهم، فأخذ العرب عن غيرهم، فتأثرت اللغة العربية وأثرت في غيرها، وظهرت أساليب كثيرة وألفاظ غريبة أصبحت من العربية.

وشعراء هذا العصر لم يكونوا بمنأى عن هذه الثقافة لكنهم وظفوا كثيراً من الألفاظ في شعرهم، فهذا الصنوبري يقول:

زبرجده بين فيروزج عجب وبين عقيق عجب<sup>(1)</sup>

فالزبرجد والفيروزج كلمتان معرّبتان من الفارسية<sup>(2)</sup>.

ويقول الصنوبري أيضاً:

أخضر اللون كالزمرد في أحد (م) ممر صافي الأديم كالأرجوان<sup>(3)</sup>

فالزمرد، حجر أخضر اللون وهو معرّب.

والناشئ الأكبر يحشد مجموعة من الألفاظ المعربة في قوله:

واغتبقنا على صبوح ولهو وحنين النايات والأوتار

بين ورد وnergس وخزامى وينفسٍ وسوسن وبهار

وأقاح وكل صنف من النّو (م) ر، الشهيّ الجنّي ومن جُنّار<sup>(4)</sup>

(1) ديوان الصنوبري، 392.

(2) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، 168، 229، على التوالي.

(3) ديوان الصنوبري، 432.

(4) ديوان الناشئ الأكبر، 158، المورد، م11، ع1، 1982م.



فالنأي معرّب كلمة (نأي لُزْمٌ) من الملاهي، وهي كلمة أعجمية<sup>(1)</sup>. وكلمة نرجس من الكلمات المعرّبة<sup>(2)</sup>، وكلمة بنفسج هي معرّب (بِنَفْسَه)<sup>(3)</sup>، إضافة إلى كلمة سوسن<sup>(4)</sup>، وكلمة جَنّار<sup>(5)</sup>.

فانظر إلى كثرة الكلمات المعرّبة التي حشدها الشاعر هنا لوصف ديار أحبته وأهله، وهذه أمثلة فقط.

ولتوضيح الفكرة، يأتي الشعراء بضد الشيء لإبرازه، كما وضح الفكرة دوقالة المنبجي<sup>(6)</sup>، في قوله:

والوجه مثل الصبح مبيّضُ      والشعر مثل الليل مُسْوَدُّ  
ضدان لما استجمعا حسناً      والضد يظهر حسنة الضد<sup>(7)</sup>

فورد الطباقي كثيرا لإيضاح الفكرة، كقول البحتري:

ولو استطاع لكان يوم وصاله      للمستهام مكان يوم صدوده<sup>(8)</sup>

فهو يشكو من الصدود، فيخطر بباله ضده وهو الوصال.، يقول البحتري أيضا: [ البسيط]

أسوا العواقب يأس قبله أمل      وأعضل الداء تكس بعد إبلال<sup>(9)</sup>

فقد طابق مرتين: مرة بين (اليأس والأمل)، ومرة بين (الشفاء والمرض).

ومن ذلك قول عبد الله بن طاهر:

يا منزلاً لعب الزمان بأهله      طوراً يفرقهم وطوراً يجمعُ

(1) ينظر الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، 295،

(2) ينظر: نفسه، 297.

(3) ينظر: نفسه، 87.

(4) ينظر: نفسه، 178.

(5) ينظر: نفسه، 59.

(6) الحسين بن محمد المنبجي، من الشعراء العباسيين المحدثين، تنسب إليه قصيدته (اليتيمة). ينظر: شوشة، فاروق، أحلى 20 قصيدة حب في الشعر العربي، 154.

(7) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، 50، وشوشة، فاروق، أحلى 20 قصيدة حب في الشعر العربي، 156.

(8) ديوان البحتري، 693/2.

(9) نفسه، 1720/3.

أين الذين عهدتهم بك مرة كان الزمان بهم يضر وينفع<sup>(1)</sup>

فطابق بين: (يفرق ويجمع)، و(يضر وينفع).

والملاحظ أن الطباق من هذا النوع من شعر الحنين كثير، ولم يكن على حساب المعنى، بل لتوضيحه، وهو من باب حرص الشاعر على إيصال فكرته للناس، وما يحسّ به من برحاء الألم، وشدة الشوق والحنين.

وحين يريد الشاعر توضيح الفكرة أيضاً، يلجأ إلى المقابلة<sup>(2)</sup>؛ لأنها تقارب الطباق في

إبراز الفكرة بذكر ضدها، كقول البحتري:

[ الكامل ]

من أجل طيفك عاد مظلم ليله أحظى لديه من مضيء نهاره<sup>(3)</sup>

فقد أكدّ شينئين: أولهما حبّه للطيف، وثانيهما تبيان ليله المظلم، والمقابلة كانت بين:

(الليل المظلم)، و(النهار المضيء). ومن ذلك قول الخبز أرزي: [ الخفيف ]

كم أناس رعوا لنا حين غابوا وأناس جفوا وهم حُضَّار<sup>(4)</sup>

فهو يريد أن يكشف جفاء من حوله، فأتى بصورة مغايرة لهم، حين قابلهم بأناس

غائبين عنه، فالحاضرون جفوا، والغائبون رعوا.

ومن ذلك أيضاً قول ابن المعتز:

[ الطويل ]

هي الدار إلا أنها منهم قَفَرُ وأناي بها ثاوٍ وأنهم سَفَرُ<sup>(5)</sup>

فقد أراد أن يكشف حاله؛ فهو مقيم لكنه حزين لأن أحبابه مسافرون. وبهذه الصورة

للمقابلة، تكون في خدمة إيضاح الفكرة، وليس عبئاً عليها، ولا حلية قشرية زخرفية فقط.

(1) القيسي، نوري، أربعة شعراء عباسيون، 313 .

(2) ينظر: ابن حجة، خزائن الأدب وغاية الأرب، 129/1 .

(3) ديوان البحتري، 686/2 .

(4) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2 / ج 383/2 .

(5) ديوان ابن المعتز، 116/1 .

ومال شعراء الحنين في وصف الأطلال بخاصة، إلى استخدام التدبيح<sup>(1)</sup>.

كقول البحتري: [ الكامل ]

أيام روض العيش أخضرُ والهوى      تَرَبُّ لأُدْمِ ظبائِها الأترابِ  
بيضُ كواكبُ يشتهين غرارة      ويبيِّن عن نشوى الجفون كعاب<sup>(2)</sup>

فالأخضر والأبيض ألوان طرّز بها الشاعر نصّه، لإبراز الفكرة؛ فالعيش الأخضر هو

الخصب والتواصل والهناء، والنساء البيض من الرفاهية والنعمة.

ومن ذلك قول الصنوبري في حنينه إلى حلب، وبساتينها وتربتها، يقول: [ الطويل ]

صحبتُ إليها الدهرَ والدهرُ أبيضُ      ونادمت فيها العيشَ والعيشُ أخضرُ  
ترى تُرباً شتى فتربُّ مصنّدلُ      ينافسه في الحسنُ تربُّ مزعفر<sup>(3)</sup>

فالأبيض والأخضر والأحمر (المصنّدل)، والأصفر (المزعفر)، ألوان ليقول إن

الروض جميل بهي.

وقد أكثر الصنوبري بخاصة من التدبيح، في حنينه إلى حلب ودمشق والرّمّتين، وذلك

كله ليخدم فكرته، وهي أن لا لوم عليه في حبه وحنينه وشوقه إلى تلك الديار<sup>(4)</sup>.

هذه المظاهر التوضيحية كلها، كانت تأتي منسجمة بلغة واضحة سهلة متألّفة إلى حد

كبير.

وفي مجال التوكيد على الفكرة، ألحّ الشعراء على إثبات الفكرة في أذهان الناس، وقد

جاء التوكيد في صور عدة، منها: الترادف، وأمثله كثيرة، ومنه قول ابن الجهم حين كان

(1) التدبيح: أن يذكر الناظم أو الناثر ألواناً، يقصد بها التورية والكناية بذكرها عن أشياء. ينظر: ابن حجة، خزائن الأدب وغاية الأرب، 453/2.

(2) ديوان البحتري، 214/1.

(3) ديوان الصنوبري، 426.

(4) ينظر ديوانه: 84، 249، 251، 392، 432، 447.

يشكو آلامه في السجن، ويحن إلى الحرية والأصحاب، فتوجه بالشكوى إلى الله تعالى، مسلماً

بالقضاء والقدر، وقد أكثر من الترادف في تأكيد هذا المعنى، يقول: [الوافر]

فلا طول الثواء يردّ رزقا      ولا يأتي به طول البقاء  
ولا يجدي الثراء على بخیل      إذا ما كان محظور الثراء  
وليس يبید مال عن نوال      ولا يؤتی سخي من سخاء<sup>(1)</sup>

فطول الثواء هو طول البقاء، وعدم فناء المال من العطاء هو عدم إتيان السخي من

السخاء. ويقول أيضاً:

هي الأيام تكلمنا وتأسو      وتجري بالسعادة والشقاء  
جلبن الدهر أشطره ومرت      بنا عقب الشدائد والرخاء<sup>(2)</sup>

فالأيام فيها السعادة والشقاء، وهي العبارة ذاتها: الشدائد والرخاء. ولا داعي للإطالة

بالأمثلة لأنها كثيرة، حتى لا يكون الحديث مملأً.

ومن باب التوكيد أيضاً استخدام أسلوب القسم، ومنه قول ابن النديم: [السريع]

ويحك يا قلب أما تنتهي      عن شدة الوجد بمن أحزنك  
أرفق به بالله يا سيدي      فإنه من حينه مكنا<sup>(3)</sup>

ومنه قول الناشئ الأكبر: [الخفيف]

يا ليالي اللذات بالله عودي      بين قيرونيا وباب الحديد  
بين تلك الربا وقد نسج الوب      (م) ل بكف الربيع ريط البرود<sup>(4)</sup>

(1) ديوان علي بن الجهم، 82 .

(2) نفسه، والصفحة نفسها.

(3) الشابشتي، الديارات، 4 .

(4) ديوان الناشئ الأكبر، 202، المورد، م 11، ع 1، 1982 .

ومن أساليب التوكيد: التكرار، وقد برزت هذه الظاهرة كثيرا في شعر المسجونين،

وفي الحنين إلى الشباب وإلى المدن المدمّرة.

ومن ذلك قول الحمّاني العلوي في حنينه إلى أيام الصبا، ضمن حنينه في الأطلال:

[ مجزوء الكامل ]

أَيَّامَ غَصْنُ شَبِيبَتِي رِيَّانَ مَعْتَدِلَ الْقَضِيبِ

أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ الطُّرُوبِ (م) بَةَ لِلصَّبَا وَمِنَ الطُّرُوبِ

أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ الْغَوَا (م) نِي فِي السَّوَادِ مِنَ الْقَلُوبِ

أَيَّامَ كُنْتُ وَكُنَّ لَا مَتَحَرِّجِينَ مِنَ الذُّنُوبِ<sup>(1)</sup>

ومن فجيعة ابن الرومي بالشباب، وتعلقه بالحياة، يبكي شبابه كثيرا، فانتكأ على

التكرار كوسيلة لهذا البكاء والتحسر والحنين، يقول:

[ البسيط ]

أَبْكَى الشَّبَابَ لَأَمَالٍ فَجَعْتُ بِهَا كَانَتْ لِنَفْسِي أَنْسَاءً فِي مَعَانِيهَا

أَبْكَى الشَّبَابَ لِنَفْسٍ لَا تَرَى خَلْفًا مِنْهُ وَلَا عَوَضًا مَذْكَانَ يُرْضِيهَا

أَبْكَى الشَّبَابَ لِعَيْنٍ كُلِّ نَاطِرِهَا بَعْدَ الثَّقُوبِ، وَحَارَ الْقَصْدَ هَادِيهَا<sup>(2)</sup>

فقد كرر عبارة [أبكي الشباب] سبع مرات في هذه القصيدة.

ومن التوكيد بالتكرار، قول الصنوبري:

[ الخفيف ]

أَبْعَدِ الْمَاءِ أَبْعَدِ الْمَاءِ قَوْمَا أَدْنِيَا، أَدْنِيَا بَنَاتِ الدَّيَّانِ<sup>(3)</sup>

(1) ديوان الحماني العلوي، 202، المورد، م 3، ع2، 1974.

(2) ديوان ابن الرومي، 2377/6.

(3) ديوان الصنوبري، 447.

كما اعتمد الشعراء في حنينهم لتوكيد المعنى على المبالغة<sup>(1)</sup>، ومن المبالغة استخدام (كم) التكريرية بصورة لافتة، حيث استخدمها ابن الرومي ثمانى مرات متتالية في قصيدة رثاء

البصرة، والمرة التاسعة في آخر القصيدة، يقول: [ الخفيف ]

كم أخٍ قد رأى أخاه صريعاً      ترب الخد بين صرعى كرام  
كم أبٍ قد رأى عزيز بنيهِ      وهو يُعلى بصرم صمصام  
كم مُقدّى في أهله أسلموه      حين لم يحمه هناك حام<sup>(2)</sup>

واعتمد أبو ناظرة السدوسي على (كم) في رثاء البصرة أيضاً، بالإضافة إلى استخدام

جموع تدل على الكثرة، يقول: [ الطويل ]

فكم رحيّ دارت وكم من مصيبةٍ      توالى، ومن يوم هناك عصب  
معلقةً هاماتهم، وشريدهم      شماطيط شتى أوجهٍ وسروب  
عباديد من ناجٍ على جذم بغلة      ومن رازح يشكو الكلال نجيب<sup>(3)</sup>

ومن المبالغة الواضحة، قول ابن الجهم مادحا الخليفة ومستعظفاً، وذلك خلال سجنه،

في قصيدة حنين إلى الحرية، يقول: [ المتقارب ]

وأعلاك حتى لو ان السماء      تُنالُ لجاوزتها مُصعداً  
ولم يرضَ من خلقه أجمعين      ألا تحبّ ولم يُعبداً  
فما بين ربكٍ جلّ اسمه      وبينك إلا نبيّ الهدى<sup>(4)</sup>

فأن يصل الخليفة السماء ويتجاوزها مبالغة، وألا يكون في المقام الرفيع بين الله

سبحانه وبين الممدوح إلا النبي، هي مبالغة ممقوتة وغير صادقة، وإلا: فأين الصحابة

(1) ينظر: ابن حجة، خزان الأدب وغاية الأرب، 7/2، وابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 658/2 .

(2) ديوان ابن الرومي، 2177/6 .

(3) المبرد، التعازي والمراثي، 283-284 .

(4) ديوان علي بن الجهم، 78 .

والخلفاء الراشدون والتابعون؟ كذلك ألا يرضى الله من خلفه إلا أن يعبدوه، وأن يحبوا الخليفة، فهذه مبالغة إن لم تكن كذبا. ولكن إنما كان ذلك ليرفع من شأن الخليفة، وليستعطف قلبه، علّه يحن عليه أو يرق له ويطلق سراحه، وإن كان التبرير غير مقنع مهما كانت الأسباب.

ومن طرق التوكيد أيضا: رد الصدر على العجز، بذكر لفظ في الصدر وتكراره في العجز<sup>(1)</sup>، وهو فن بلاغي معروف، أفاد منه شعراء الحنين في توكيد عواطفهم. يقول

البحتري: [ الطويل ]

وعهدي بها من قبل أن تحكم النوى على عينها ألا تدوم عهودها<sup>(2)</sup>

فقد ردّ العهود في نهاية الشطر الثاني، إلى العهود في أول الشطر الأول.

ومنها قوله أيضا: [ الطويل ]

وطيف سرى تحت الدجى فنفى الكرى كرى النوم عن ميل السوائف غيّد<sup>(3)</sup>

فقد رد الكرى في بداية الشطر الثاني، على الكرى في نهاية الشطر الأول. ومنها قول علي

بن الجهم: [ المتقارب ]

ومفسد أمر تلافيته فعد وأصلح ما أفسد<sup>(4)</sup>

فردّ الفساد في الشطر الثاني، عليه في الشطر الأول.

وفي جانب التعبير عن الحسرة، استخدم الشعراء أساليب عدة في التعبير، منها: كثرة

النداء، فأكثر ما كان النداء في الاستغاثة للمدن المكروبة، أو الحنين إلى الديارات وما فيها،

فكان الشعراء ينادون الديارات بأسمائها كتعبير عن حسرتهم، وبعدهم عنها، ومنها قول ابن

النديم: [ السريع ]

(1) ينظر: ابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، 255/1، وابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 560/1 .

(2) ديوان البحتري، 650/2 .

(3) نفسه، 777/2 .

(4) ديوان علي بن الجهم، 77 .

يا دير درمالس ما أحسنك<sup>(1)</sup> ويا غزال الدير ما أفتنك<sup>(1)</sup>

وقول خالد الكاتب: [مخلع البسيط]

يا منزل القصف في سماو ما لي عن طيبك انتقال<sup>(2)</sup>

ومنها قول ابن المعتز: [الخفيف]

يا ليالي بالمطيرة والكر (م) خ ودير السوسي بالله عودي<sup>(3)</sup>

ومنها قول العباس بن البصري: [الكامل]

يا من إذا سكر النديم بكأسه غريب لواحظه بسكر الفيق

يا للديارات الملاح وما بها من طيب يوم مرّ لي بتشوق

يا دير نهيا إن ذكرت فإنني أسعى إليك مدى الخيول السبق<sup>(4)</sup>

ومن أساليب التعبير عن الحسرة، استخدام اسم المرّة؛ لأنه في غاية الشوق لأن يرى

ديار الأحباب نظرة، أو يقف فيها وقفة، يقول جحظة: [الطويل]

ألا هل إلى دير العذارى ونظرة إلى الخير من قبل الممات سبيل

وهل لي بسوق القادسية سكرة تعلل نفسي والنسيم علي

وهل لي بحانات المطيرة وقفة أراعي خروج الزق وهو حميل<sup>(5)</sup>

ويعبر الشاعر في حنينه وحسرتة بأسلوب الاستفهام (أين)، كقول ابن الرومي: [الخفيف]

أين ضوضاء ذلك الخلق فيها أين أسواقها ذوات الزحام

أين فلك منها وفلك إليها منشآت في البحر كالأعلام

(1) الشابثي، الديارات، 4 .

(2) نفسه، 15 .

(3) ديوان ابن المعتز، 96/2 .

(4) الشابثي، الديارات، 249 .

(5) الأصفهاني، الديارات، 123 .



أين تلك القصور والدور فيها أين ذاك البنيان ذو الأحكام<sup>(1)</sup>

وحين تبلغ الحسرة منتهاها في حنين الشاعر إلى هذه المدينة المدمرة، يستخدم أسلوب المبني للمجهول، وكأنه لا يريد أن يعرف من الذي فعل فيها هذه الأفاعيل، يقول ابن الرومي:

[الخفيف]

بدلتْ تكُمُ القصور تـلـلـالاً من رماد ومن ترابٍ رُكـام  
سَلَطَ البتُّ الحريقَ عليها فتداعت أركانها بانهاـم  
وُطِنَتْ بالهوان والذلّ قسرا بعد طول التـجـيل والإعـظـام<sup>(2)</sup>

ولما كان هؤلاء الشعراء قد عاشوا في مجتمع فيه الجدل والفلسفة والمنطق، فقد أثرَ هذا في لغتهم، فوجدنا استدلالات المناطق، وأصحاب الجدل، لدى ابن المدبر وابن الجهم، في حديثهما عما يعانيانه داخل السجن، في حينهما إلى الحرية والانطلاق. يقول ابن المدبر:

[الطويل]

وما أنت إلا كالجواد يصونـه مقومـه للـسـبـق في طي مضمـار  
أو الدرة الزهراء في قعر لـجـة فلا تجتلى إلا بهولٍ وأخطارٍ<sup>(3)</sup>

حجج وإثباتات: أن الجواد يلجم ويحفظ حتى يسبق، والجوهرة تكون مختفية في الأعماق، وهو كذلك لأن له شأنها وأي شأن، إذن فإخفاؤه في السجن بسبب هذا الشأن العظيم.

[الكامل]

وفي الموضوع ذاته يقول ابن الجهم:

قالت: حُبِسْتُ، فقلت: ليس بضائرٍ حبسي، وأي مهندٍ لا يُغمدُ  
أو ما رأيت الليث يألف غيلـه كبراً، وأوباش السباع تـرددُ

(1) ديوان ابن الرومي، 2177/6 .

(2) نفسه، والصفحة نفسها .

(3) الأصفهاني، الأغاني، 112/22 .

والشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد<sup>(1)</sup>

فها هي الأدلة والإثباتات على أنه إنسان مهم، لهذا سُنن، كما أن السيف يغمد لأنه قاطع، وأن الأسد يربض في أجمته من بأسه، واحتجاب الشمس في الليل يظهر النجوم الصغيرة، ثم ذهب ليكمل الأدلة بالبدر والغيث والنار والرياح، وذلك كله تأثر بأسلوب المنطقة، من أثر البيئة التي عاش فيها الشعراء.

وبعد هذه التنوعات اللغوية في التعبير عن الحنين الشديد، والشوق الأكيد، لا بد من أن يخرج الشاعر بالحكم والأمثال. وقد أكثر الشعراء منها في حنينهم، ومن هؤلاء ابن الجهم،

حيث يقول: [ السريع ]

المرء منسوبٌ إلى فعله والناسُ أخبارٌ وأمثال<sup>(2)</sup>

ويقول أيضاً: [ الوافر ]

وجربنا وجرب أولونا فلا شيء أعزُّ من الوفاء<sup>(3)</sup>

ويقول أيضاً: [ الوافر ]

إذا ما عدّ مثلهم رجلاً فما فضل الرجال على النساء<sup>(4)</sup>

ويقول ابن الرومي: [ البسيط ]

وكانت النفس ينهاها إذا غويت ناه سواها فمنها الآن ناهيها<sup>(5)</sup>

ويقول البحتري: [ الطويل ]

وإن اغتراب المرء في غير بُغية يطالبها، من حيف دهر يطالبه<sup>(6)</sup>

(1) ديوان علي بن الجهم ، 42-41 .

(2) نفسه ، 68 .

(3) نفسه ، 83 .

(4) ديوان علي بن الجهم ، 84 .

(5) ديوان ابن الرومي ، 2377/6 .

(6) ديوان البحتري ، 219/1 .

ويقول ابن المعتدل:

[ الهزج ]

كلنا واجدٌ في النا (م) س، ممّن مّله خلفاً<sup>(1)</sup>

بهذه الصور المختلفة من التعبير اللغوي: من نداء واستفهام وتحسّر ومبالغة وترادف وقسم وتكرار، إلى غير ذلك، استطاعت اللغة أن تكسو الفكرة ثوبا قشيبا ملونا بالألوان المتناسقة، فأثرت في السامع، كما أراد لها الشعراء أن تؤثر.

وتشكل اللغة لبنة أساسية في بناء الأسلوب الأدبي، ومعنى هذا أنه لا بد من تخير الألفاظ، وتجويد صناعتها، وما يجب أن يحرص عليه الشاعر هو أن يبتعد عن الأسلوب التقريبي المسطح الخالي من أي نتوء بياني<sup>(2)</sup>. وقد يضطر الشاعر المفلق، فيقع في كلامه لفظ مستكره، فإذا انعطفت عليه جنبتا الكلام، غطّتا عواره، وسترتا من شينه<sup>(3)</sup>.

وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مُرضيا موافقا، كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤونة، وأجود الشعر ما رأيتُه متلائم الأجزاء، سهل المخرج، فتعلم من ذلك أنه أفرغ إفراغا جيدا، وسبك سبكا حسنا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدّهان لسهولته وانسيابه<sup>(4)</sup>.

ويعد البيانيون "مسالك البلاغة في وضوح الكلام"<sup>(5)</sup>، واللفظ العاديّ قد يكتسب قوة

شاعرية إذا دخل في تركيب شعري، أو صورة بيانية<sup>(6)</sup>.

والأسلوب من هذه الآراء، يدور حول عناصر عدّة، يعضد بعضها بعضا في إخراج

العمل الأدبي في صورته النهائية، متناسقا متكاملا متماسكا، فإن اختلّ عنصر منها، سببت

(1) الأصفهاني، الأغاني، 158/13 .

(2) ينظر: مندور، محمد، الأدب وفنونه، 37 .

(3) ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 372/1، وابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 380/1 .

(4) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 36/1 .

(5) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1/2 .

(6) ينظر: مندور، محمد، الأدب وفنونه، 37 .

خلا في الصورة النهائية للعمل الأدبي، من حيث الاكتمال أو التماسك أو التناسق أو التأثير في المتلقي. وأهم هذه العناصر:

اللغة، والموسيقا، والعاطفة والخيال. وهذه معا تجلو المعنى، وتوضح الفكرة.

### ثالثاً: الموسيقا:

يمتاز الشعر عن النثر بعنصر الموسيقا، وبخاصة الموسيقا الخارجية المتمثلة في الوزن والقافية؛ فالموسيقا والإيقاع من العناصر الرئيسية في الشعر العربي، حمل هذا العنصر في ثناياه الطرب وسرعة الحفظ، زيادة على إثارة العواطف والانتقال، حتى كان الشاعر إذا وصل إلى نهاية القصيدة، أو البيت أحياناً، يقابل بالتصفيق والتهتاف، دلالة على الإعجاب بالشيء، ولا يعبر عن هذا الإعجاب إلا بعد نهاية الموقف.

وعن علاقة الشعر بالموسيقا يرى النقاد أن الشعر العربي لا يستمد موسيقاه من فن آخر هو الموسيقا، بل يستمد موسيقاه من مادة صياغته ذاتها، وهي اللغة العربية، حيث يكون الوزن الشعري، أو النظم وسيلة إضافية تملكها اللغة، لاستخراج ما تعجز دلالات الألفاظ عن استخراجها، بل إن الموسيقا الشعرية تعد إحدى الوسائل المرهفة التي تملكها اللغة، للتعبير عن ظلال المعاني وألوانها<sup>(1)</sup>، وهذا واضح لكل من يدرس الشعر العربي؛ إذ إن الوزن والقافية عنصران أساسيان لإحداث الموسيقا الشعرية المطلوبة في الشعر.

إن، فالشعر كلام موسيقيّ تنغم لموسيقاه النفوس، وتتأثر بها القلوب، ولا ينكر أحد ما للشعر الموزون من إيقاع يساعد على الطرب، وبخاصة إذا كان حسن التركيب، معتدل الأجزاء، يجمع بين صحة الوزن، وصحة المعنى.

(1) ينظر: ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، 93، ومندور، محمد، الأدب وفنونه، 26، وهلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، 469. للمزيد حول الموسيقا الشعرية: ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، 7، وما بعدها.

والموسيقا نوعان: خارجيّة، تتمثل في البحر والقافية، وداخلية:تتمثل في جرس الألفاظ، واختيار الصيغ وانسجامها.

## 1. الموسيقا الخارجيّة:

تتمثل الموسيقا الخارجية في البحور الشعرية والقوافي، ولتسهيل البحث والدراسة، سأحدث عن كل جزئية منهما على انفراد، مع إدراكي أن الجمال كلّ متكامل، وأن موسيقا الشعر تأتي من هاتيك العناصر كلها مجتمعة.

### ■ البحور الشعرية:

نظم العرب شعرهم على بحور شعرية عدّة صنّفها الخليل بن أحمد، وقد اختلفت في التركيز عليها من بحر إلى آخر، وقد لوحظ أن الشعر الذي نظم على البحر الطويل يقارب ثلث الشعر، وأن وزن الطويل هو الذي كان يؤثّر القدماء على غيره من البحور، ويتخذونه ميزانا لأشعارهم، ولا سيما في الأغراض الجدّية جليّة الشأن، وأن البحر الكامل والبحر البسيط يمثلان المرتبة الثانية في نسبة الشيوخ، ويحيء بعدهما كل من الوافر والخفيف، حيث كانت هذه البحور الخمسة موفورة الحظ، يطرقها الشعراء، ويكثر من النظم فيها، وتألّفها آذان الناس في البيئات العربية وفي معظم العصور<sup>(1)</sup>.

وقد جاء بعض النقاد يتحدث عن علاقة الموضوع باختيار البحر الشعري، حيث إن البحر الطويل يتسع لكثير من المعاني وإكمالها، لذلك يكثر في الفخر والحماسة والوصف والتاريخ، والكامل يصلح لأكثر الموضوعات، وهو في الخبر أجود منه في الإنشاء، وهو أقرب إلى الرقة، فإن جاد نظمه جاء مطربا مرقصا، وكانت به نبرة تهيج العاطفة، أما الوافر فهو ألين البحور، يشتد إذا شدّدته، ويرق إذا رققته، وأكثر ما يوجد به النظم في الفخر، وفيه

(1) ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر ، 189 ، ورشدي، علي حسن، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، 225 .

تجود المرثي كذلك، أما الخفيف فأخفها على الطبع، وأجملها على السمع، يشبه الوافر في لينه، لكنه أكثر سهولة وأقرب انسجاماً، فإن جاد نظمه رأيتُه سهلاً ممتعاً لقرب الكلام المنظوم من القول المنثور، وليس في بحر الشعر بحر نظيره يصح للتصرف في المعاني جميعها، أما الرمل فهو بحر الرقة، وجود في الأحزان والأفراح والزهريات، والسريع بحر يتدفق سلاسة، وعضوبة، يحسن فيه الوصف، وتمثيل العواطف الفيّاضة<sup>(1)</sup>.

والمتمأل في هذا كله يجد أن هذه الدراسة الطريفة، تقوم على التغليب؛ لأن الشاعر حين ينظم قصيدة في موضوع ما، لا يعقل أن ينشر البحور أمامه ثم يوازن بينها، ليختار البحر المناسب لقصيدته، لكنّ ذوق العربي، والدفقة الشعرية تناسب في وعي الشاعر وزناً محدداً، ينظم عليه قصيدته، ومن الواضح أن عوامل عدة تتداخل في نفس الشاعر حين ينظم على البحر الشعري، منها حالة الشاعر النفسية، وثقافته، ومقدرته على التصرف بالأوزان، ومنها كذلك طبيعة الموقف، ودرجة العاطفة<sup>(2)</sup>.

ومن استقراء النصوص الشعرية في شعر الحنين لهذا العصر، كانت النصوص المستشهد بها في الدراسة: مئة وتسعة وأربعين نصاً، ويمكن استنتاج تركيز الشعراء على البحور من الجدول الآتي:

التكرار	البحر
49	الطويل
33	الكامل
19	الخفيف
17	البسيط
7	المتقارب
6	الوافر

(1) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، 319 وما بعدها.  
(2) ينظر: إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، 59.

5	الرمل
5	السريع
3	المنسرح
2	المجتث
1	المديد
1	الرجز
1	الhezج

يتبين من هذه الأرقام أن البحور القصيرة، كانت قليلة الدوران في شعر الحنين، ولعل الحديث عن النفس، وذكرياتها، وشوقها، يحتاج إلى تفصيلات وشرح وتوضيح، وهو ما يحتمله البحر الطويل، كذلك فإن الحديث عن الحنين إلى أماكن أو فترة أو أناس، يحتاج إلى كثير من الوصف، وهو ما يناسب البحر الطويل أيضاً، وحين يعبر الإنسان عن آلامه ونفسه، وعن حاله وإحساساته، فإن ذلك يقع في مجال الخبر، ويأتي لذلك البحر الكامل، صاحب الترتيب الثاني.

وبالمجمل فإن المعاني التي يتناولها شعر الحنين من: وصف للديار، أو إخبار عن الذات، أو تلهف على مفقود، أو تذكر لعهد مضى، أو بكاء على شيء، إنما يدخل ذلك في باب الشرح والتفصيل، وهو ما تحتمله البحور الطويلة، كالطويل، والكامل، والبسيط، والخفيف.

وعند الحديث عن مجالس الأُنس وافتقادها، كان الشاعر يميل إلى البحور ذات التفعيلة الواحدة، كالكامل أو المتقارب.

وقد لاحظت في الدراسة، أن الحديث عن الطلل، كان باستخدام البحور الواردة في الجدول السابق كلها، عدا المجتث والhezج، ولكن بنسب حسب ترتيبها في الجدول أيضاً، أما في وصف الأماكن والمدن عند التعبير عن الحنين إليها؛ فقد سيطر الطويل ثم الخفيف، وأتى

بعدهما الكامل ثم المتقارب، ولم يكن لباقي البحور إلا حضور خفيف، وعند الحديث عن شعر السجن، كان التوازي بين الطويل والكامل، تبعهما البسيط ثم الخفيف والسريع، ولم يكن للبحور الأخرى نصيب يذكر في شعر المساجين. وفي حنين المسافرين كان الطويل صاحب الحضور الأبرز، تبعه الكامل والبسيط والخفيف في الرتبة نفسها. وفي حنين المجاهدين كان التعبير فقط في النصين الواردين من نصيب وزن الطويل.

#### ■ القافية:

القافية في اللغة: آخر كل شيء، ومنه قافية الشعر<sup>(1)</sup> وهي في الشعر آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يسبقه مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، أو آخر ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن<sup>(2)</sup>. والجدول الآتي يبين أضرب القافية بحسب النصوص التي تناولتها الدراسة :

أضرب القافية بحسب ورودها في النصوص	التكرار
المتواتر	83
المتدارك	57
المتراكب	8
المترادف	1

من الجدول السابق نلاحظ غلبة المتواتر الذي يشكل ما نسبته 55.7% ، ويليه المتدارك الذي يشكل نسبة 50.3% ، بينما يشكل المتراكب 5.4% ، فيما يشكل المترادف

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قفا) .  
(2) ينظر: التنوخي، القوافي 37، وعتيق، وعبد العزيز ، علم العروض والقافية، 134 ، و السمان، محمود علي، العروض القديم،



0.6% من مجموع النصوص المستشهد بها في هذه الدراسة ، أما الضرب الآخر وهو

المتكاوس فلم أجد في النصوص المستشهد بها قافية تحت هذا الضرب .

وفي مجال الروي، تحدث النقاد عن حروف جميلة الجرس، لذيدة النغم، كالهزمة،

والباء، والذال، والراء، والعين، واللام. وأخرى ثقيلة النغم، مثل:

التاء، والثاء، والذال، والشين، والضاد، والغين، ولاحظوا كذلك أن القاف تصلح رويًا

للحرب والشدة، والذال للفخر والفروسية، والميم واللام للوصف والخبر، والباء والراء للغزل

والنسيب<sup>(1)</sup>.

وللحديث عن هذه الحروف في الحنين في هذا العصر، وبعد استقراء النصوص المئة والتسعة

والأربعين، كانت حروف الروي حسب الجدول الآتي:

التكرار	حرف الروي
24	اللام
22	الذال
19	الباء
18	الراء
15	الهاء
12	النون
7	العين
5	القاف
5	الحاء
4	الفاء
4	الكاف
4	الميم
3	الألف
3	الجيم

(1) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، 331.

3	السين
1	الباء

وقد صدقت الدراسة السابقة، التي تحدثت عن الحروف لينة الجرس وثقلته ، على شعر الحنين في هذا العصر، كما يظهر في الجدول؛ فالحروف الثقيلة لم يكن لها حضور يذكر في روي القصائد، فحين تكون القاف والجيم في ثماني قصائد، فهذا يعني أن ورودها كروي ثقيل كان بنسبة 5% فقط، وهو شيء قليل . في حين كانت القوافي اللينة هي المسيطرة؛ لأن شعر الحنين تعبير عن خلجات، واندفاع لعواطف، وتصوير لأحاسيس كلها رقة. وكفى أن يكون الحنين في تعريفه يعني الرقة، فالحروف اللينة هي التي تناسب الرقة، فإذا لاحظنا تكرار اللام بصورة مميزة، فلأنها حرف جانبي لين<sup>(1)</sup>، وهو هنا لصيق بالعاطفة، وأما حرف الدال اللثوي اللساني الانفجاري<sup>(2)</sup>، فهو يمثل دقات الحزن، وبخاصة إذا كان مكسورا، وما أكثر ما ورد مكسورا في النصوص التي تناولتها الدراسة؛ لأن الحزن يخرج مع لفظه وكسره، والنفثة تطلق مع انطلاق حبس الحرف قبل نطقه، ويقاربها في ذلك حرف الباء ذلك الحرف الشفوي الانفجاري<sup>(3)</sup>، الذي يتدفق تيار هوائه حاملا زفرات المبعد، وأنين المسافر والمحبوس، ولوعة المشتاق، وقد عبّر أحد الدارسين عن هذه الظاهرة، بقوله: " وأشاعوا - أي شعراء هذا العصر - في شعرهم القوافي الدال، التي تجيء رويًا بكثرة، وهي: الراء واللام والميم والنون والباء والدال"<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب، 434/4، وأنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، 87، وبشر، كمال محمد، الأصوات العربية، 130، وعبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، 92 .  
(2) ينظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، 89، عبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، 694، والنوري، محمد جواد، فصول في علم الأصوات، 147 .  
(3) ينظر: عبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، 97، وهلال، عبد الغفار، أصوات اللغة العربية، 107، وعمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، 118 .  
(4) حسن، رشدي علي، شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، 233 .

وقد كانت القافية مطلقة في جميع النصوص التي شملتها الدراسة، باستثناء نص واحد، جاءت قافيته مقيدة، وهي حرف الهاء المقيد في وصف الطبيعة لدى الصنوبري، في حينه إلى الغوطة، ولعل سبب التقييد هنا لأنه ضم كلمة الغوطة إلى القافية.

ويلاحظ أن الشعور بالفقد يستلزم الانفجارات العاطفية الباكية، التي تجعل التعامل مع حروف اللين والمد، والأصوات المتقدمة في الفم شيئاً طبيعياً، وأظهر ما يكون هذا في الروي، وقد اتضح ذلك من حروف الباء والذال، كروي متميز في القصائد، كما أن الشكوى والأنين والانكسار عوامل هامة في كسر القافية في شعر الحنين.

وتأتي الموسيقى الخارجية من إيقاعات، وفنون بلاغية تتمثل في أمور أخرى، غير الروي، منها:

■ **التصريع:** من صرع الباب: جعل له مصراعين، والمصراعان هما بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما بابا البيت، والمصراعان من الشعر: ما كان فيه قافيتان في بيت واحد<sup>(1)</sup>.

والتصريح في الشعر: تفتية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب، وهما مصراعان، وإنما وقع التصريح في الشعر، ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصة وإما قصيدة<sup>(2)</sup>.

والتصريع اصطلاحاً: استواء آخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب، وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرع).

(2) ينظر: نفسه، مادة (صرع).

(3) ينظر: ابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، 278/2.

والتصريح نوعان:

أ ( في مطلع القصيدة: وهو الأشهر الأعمّ، الذي درج عليه الشعراء من أقدم العصور، وحسب دراسة النصوص في شعر الحنين لهذا العصر، فإن ما يزيد على 98% منها، قد جاء مصرّعا في المطلع، ومن أمثلة ذلك قول ابن الرومي: [ الخفيف ]

طلّ دمع هريق في الأطلالِ      بعد إقوائها من الحُلالِ<sup>(1)</sup>

وقول ابن المعتز: [ المديد ]

عرف الدار فحيّا وناحا      بعد ما كان صحا واستراحا<sup>(2)</sup>

وقول أحمد بن أبي طاهر: [ الكامل ]

تلك الديار لو انها تتكلمُ      كانت إليك من البلى تتظلمُ<sup>(3)</sup>

وقول الخيز أرزي: [ الخفيف ]

شاقني الأهل لم تشقني الديارُ      والهوى صائر إلى حيث صاروا<sup>(4)</sup>

وكقول ماني:

أفقر مغنى الديار بالنجفِ      وحلّت عما عهدت من لطفِ<sup>(5)</sup>

وكقول جحظة البرمكي: [ الطويل ]

سلام على تلك الطلول الدوائرِ      وإن أقفرت بعد الأنيس المجاورِ<sup>(6)</sup>

(1) ديوان ابن الرومي ، 2054/5 .

(2) ديوان ابن المعتز ، 459/1 .

(3) الشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، 50/2 .

(4) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ ج 110/2 .

(5) نفسه ، قسم 2/ ج 243/2 .

(6) نفسه ، قسم 2/ ج 69/5 .

هكذا يكسب التصريع في المطلع نغماً موسيقياً، تلذ له الأذن، وتطرب وتتشنف لسماع ما يأتي، وقد تزيد الموسيقى تركيزاً، ولعل ذلك من إحساس الشاعر بأهميتها، إذا كان التصريع مكرراً في أثناء القصيدة.

ب ( التصريع الداخلي: وهو ما يرد خلال القصيدة، زيادة على التصريع في المطلع، وقد أكثر شعراء الحنين في هذا العصر من التصريع الداخلي، إحساساً منهم بأهمية الموسيقى، أو لعل ذلك للتوكيد على الموسيقى الواردة في المطلع، لشد السامع وجذب انتباهه. ولو ذهبت أحصي التصريع الداخلي، لطل الأمر، ولكن يكفي بعض الأمثلة للتدليل على الظاهرة.

يقول ابن المعتز: [البسيط]

يا دارُ يا دارَ أطرابي وأشجاني      أبلى جديدَ مغانيك الجديدان  
لما وقفت على الأطلال أبكاني      ما كان أضحكني وألهائي<sup>(1)</sup>

ويقول ابن الرومي: [الخفيف]

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام      شغلها عنه بالدموع السجام  
... أبرموا أمرهم وأنتم نيامٌ      سوءةٌ سوءةٌ لنوم النيام<sup>(2)</sup>

ويقول عاصم الكاتب: [الكامل]

قالت: حبست، فقلت: خطب أنكد      اتحى عليّ به الزمان المرصدُ

ويصرع ابن الرومي، أيضاً، حتى في حنينه في الجهاد، يقول: [الطويل]

أحباءنا ما كان لي عنكم صبرٌ      وهل لصبور عن أحبته عُذرٌ

(1) ديوان ابن المعتز، 189/1.  
(2) ديوان ابن الرومي، 2377/6.

... وَمِنْ نَشْرَهَا مِسْكٌ، وَالْحَاطِظُهَا سِحْرٌ وَمَيِّسَمُهَا دُرٌّ، وَرَيْقَتُهَا خَمْرٌ<sup>(1)</sup>

فالتصريح بنوعيه إذن، عامل موسيقي واضح لإبراز الرنة الموسيقية في خواتيم

الأبيات.

والترصيع في معناه الموسيقي توازن في الألفاظ، مع التوافق في آخر الفواصل أو

الجمال، وهو ما يكسب البيت موسيقى رائعة، كقول الصنوبري: [البسيط]

يسعى بها غنجٌ في خده ضرجٌ في ثغره فلجٌ ينمى إلى اليمنِ

في ريقه عسلٌ، قلبي به ثملٌ في مشيه ميلٌ أربى على الغصنِ

كأنه قمرٌ، ما مثله بشرٌ في طرفه حورٌ، يرنو فيجرحني

سبحان خالقه، يا ويح عاشقه يهدي لرامقه ضعفاً من الشجنِ

في روضة زهرت ، بالنبت قد حسنتُ كأنها فرشتُ، من وجهه الحسنِ

يا طيبَ مجلسنا، والطيرُ يطربنا والعودُ يسعدنا مع منشدٍ حسنٍ<sup>(2)</sup>

هكذا يستمال السامع ويطرب مع كل فاصلة، ثلاث مرات في البيت قبل أن يصل إلى

نهايته في رويه. ومثل الفن توقيع موسيقي أكثر منه معنى وديباجة.

■ **التوازن:** والتوازن تساوي في الوزن، ولا يشترط في القافية، فالوزن هو موسيقا، وبما أن

التوازن فيه، إذن فهو مدعاة لجذب الرنين الموسيقي، كقول ابن الرومي: [المتقارب]

إذا ما غدونا لطاف الخصور خفاف الصدور ثقال الخطا

رقاق الثنايا عذاب الغروب صفاء القلوب ضعاف القوى<sup>(3)</sup>

(1) ديوان ابن الرومي ، 1129/3 .

(2) ديوان الصنوبري، 496 .

(3) ديوان ابن الرومي، 124/1 .

فالتوازن بهذا التقطيع، وبهذه الحروف المتوازنة، عدداً ووزناً، هو الموسيقا في حد ذاتها.

■ **التقسيم:** وهو أن يريد المتكلم متعدداً، أو ما هو في حكم المتعدد، ثم يذكر لكن واحد من المتعددات حكمه على التعيين، أو هو استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه<sup>(1)</sup>.

وبيان أجزاء الأشياء في نغمة موسيقية، يشد انتباه السامع ويجذبه، وأكثر ما يتضح ذلك إذا كانت الأقسام مقفاة، وقد ورد التقسيم بأشكال مختلفة، ومنه تقسيم محتويات المكان،

ولكن بأسلوب التكرار، كقول الصنوبري:

[الخفيف]

حبذا الكرخ، حبذا العمر، لا بل حبذا الدير، حبذا السروتان<sup>(2)</sup>

وكقوله في التعداد والتفصيل:

[الخفيف]

أقحوان وسوسن وشقيق ويهار يُجني، وأذريون<sup>(3)</sup>

وتقسم ابن المدبر بالتفنية لتبيان الحال، يقول:

[الكامل]

هلاً تقطع أو تصدع أو وهى فعذرتة لکنه بي فاخر<sup>(4)</sup>

ويقسم الناشئ الأكبر، مع تبيان الحال، فيقول:

[الطويل]

فوشي بلا رقم، ونقش بلا يد ودمع بلا عين، وضحك بلا ثغر<sup>(5)</sup>

وفي وصف أهوال الحرب، يقسم ابن الرومي فيما يراه المحارب، يقول:

[الطويل]

ومن دونه هؤل، ومن تحته ردى ومن فوقه سيف، ومن تحته بحر<sup>(6)</sup>

(1) ينظر: ابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، 270/2.

(2) ديوان الصنوبري، 474.

(3) نفسه، 445.

(4) الأصفهاني، الأغاني، 112/22.

(5) ديوان الناشئ الأكبر، 158، المورد، م 11 / ع 1982/1 م.

(6) ديوان ابن الرومي، 1128/3.

ويقسّم بالأوصاف المتتابعة، يقول:

[الطويل]

حليمٌ عليمٌ للرعية ناظر رؤوف بهم يحنو عليهم كوالد<sup>(1)</sup>

أمام هذا التقسيم لا يملك الإنسان إلا أن يهتز مع موسيقاه، ويتفاعل وينجذب للتتابع مع هذه الفواصل، وتأثيرها في التقسيم الموسيقي.

### ■ الضرائر الشعرية:

لما كان الشعر كلاماً موزوناً يخرج الزيادة فيه، والنقص منه عن صحة الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، أجازت العرب فيه ما لا يجوز في الكلام، اضطروا إلى ذلك، أو لم يضطروا إليه، لأنه موضع ألفت فيه الضرائر<sup>(2)</sup>. وتتمثل الضرائر في أمور كثيرة، منها:

(أ) تحريك ما حقه السكون<sup>(3)</sup>، كقول ماني الموسوس:

[المنسرح]

وقهوة من نتاج قَطْرِبِلِ تَخْطِفِ عقل الفتى بلا عُنف<sup>(4)</sup>

إذ حرك النون في كلمة (عنف) وحققا التسكين.

(ب) صرف الممنوع من الصرف، كقول الصنوبري:

[الطويل]

عسى من أرى يعقوب غرة يوسف يرينيهُم إن القديرَ قدير<sup>(5)</sup>

فقد صرف (يوسف) ولم يصرف (يعقوب).

(ت) تسهيل الهمزة في الأسماء الممدودة، كقول البحتري:

[البسيط]

أسوا العواقب يأس قبله أمل وأعضل الداء نكسٌ بعد إبلال<sup>(6)</sup>

(1) ديوان ابن الرومي، 790/2.

(2) ينظر: ابن عصفور، ضرائر الشعر، 5.

(3) ينظر: نفسه، 63.

(4) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2 / ج 2 / 243.

(5) ديوان الصنوبري، 84.

(6) ديوان البحتري، 1720/3.



فقد سهل همزة (أسوأ) مع أنه لفظها في (يأس)، ومن تسهيل الهمزة أيضا قول

جحظة: [الطويل]

رمتنا يد المقدور عن قوس فرقة فلم يخطنا للحين سهم المقادر<sup>(1)</sup>

إذ لو حقق الهمزة (يخطننا) لانكسر الوزن.

ث (تسكين المتحرك، كقول ماني الموسوس:

ومسمعات نهكن أعظمه فهو من الضيم غير منتصف<sup>(2)</sup>

إذ لو حرك الهاء في (فهو) لا نكسر الوزن.

ومنه قول علي بن الجهم: [الوافر]

ولم لا أشتكي بثي وحرني إلى من لا يصم عن النداء<sup>(3)</sup>

إذ لو حرك الميم في (لم) لا نكسر الوزن أيضا.

ج (إشباع الحركة، كقول ابن المعتز: [البسيط]

ويكسب الريح من أرجائها عبقا كأن نفحته مسك وكافور<sup>(4)</sup>

حيث أشبع الضمة في الهاء في (نفحته)، ولولا ذلك لانكسر الوزن.

ومن ذلك قول الصنوبري: [الوافر]

ترانا واصليك كما عهدنا وصالا لا تنغصه بيين<sup>(5)</sup>

هذه الضرورات وغيرها، يلجأ إليها الشاعر عادة حتى لا ينكسر الوزن الشعري

للبيت، ولجوؤه إليه يكون اضطراراً.

(1) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2 / ج 89/5 .

(2) نفسه، قسم 2 / ج 243/2 .

(3) ديوان علي بن الجهم، 82 .

(4) ديوان ابن المعتز، 297/2 .

(5) الشابستي، الديارات، 219 .

## 2. الموسيقى الداخلية:

وتتصل بجرس الألفاظ، وخواصها الصوتية، وطريقة تأليف الكلام، وتكرار ألفاظ بذاتها، أو حروف بعينها. ومن أفضل نواحي الجمال في الشعر، وأسرعها إلى النفوس، ما كان فيه جرس الألفاظ منغماً واضحاً.

ومن المعروف أن الصغار والكبار يستمتعون بما في الشعر من موسيقا، حيث يدرك ما في الشعر من جمال الجرس، قبل أن يدرك المعاني والصور والأخيلة<sup>(1)</sup>.

والكلمات ذات الجرس المنسجم والمتناسق، يلتقطها الإنسان ويعيها قبل غيرها، وهذا ما يفسر حفظ الجمل الموسيقية، كما يفسر استجابة الأطفال الصغار للكلام الموزون المقفى، وبخاصة السجع والجناس<sup>(2)</sup>. ومن أجمل الأبيات التي ورد فيها انسياب الحروف، وتناسقها،

قول الناشئ الأكبر: [الخفيف]

قد لهونا بها زماناً وحيناً ووصلنا الأسفار بالأسمار<sup>(3)</sup>

ومن يدقق في هذا الانسجام في كثرة الحروف الحلقية: الهاء في (لهونا)، والحاء في (الأسفار، وحيناً)، وكذلك الحروف الأنفية: الميم والنون، يلاحظ مدى الانسجام الذي عبّر عن انسجام في واقع الحال، كما ظهر الانسجام أيضاً في الجناس بين: (الأسفار والأسمار). ومن

أمثلة ذلك قول البحتري: [الخفيف]

سُقْمُ دون أعين ذات سُقْمٍ وعذابُ دون الثنايا العذاب<sup>(4)</sup>

(1) ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، 9.

(2) ينظر: نفسه، 11.

(3) ديوان الناشئ الأكبر، 146، المورد، م 11 / ع 1 / 1982م.

(4) ديوان البحتري، 360/1.

الألفاظ تعبر عن خراب المدينة، فالعيون المريضة الذابلة من الدلال، سببت السقم،  
والعذوبة في الأسنان أعقبها العذاب، وما أجمل ما جانس بين (سقم وسقم) و(عذاب والعذاب)،  
كذلك تكرار حرف العين، وتكرار كلمة (دون)، ذلك كله أعطى انسجاماً داخلياً للألفاظ.  
ولو ذهبت أستقرئ الأمثلة على مثل هذه الأشياء، لطلال الحديث وامتد، ولكن يكفي من  
القلادة ما أحاط بالعنق.

بقي أن أشير هنا إلى أن التجديد الموسيقي الذي أحدثه شعراء هذا العصر، في شعر  
مجالس اللهو والطرب، مثل التركيز على البحور القصار، والمجزوءة والمشطورة، لم يكن ذا  
حضور بارز، بل كان التعبير عن عاطفة الحنين وموضوعات الحنين بأوزان تناسبها، تحمل  
النقل، وتتحمل التفعيلات، وهذا من ميزات البحور الطويلة.

#### رابعاً: الصورة الشعرية:

وللصورة دور كبير في تكوين القصيدة، لا يقل عن الدور الموسيقي، ومن هنا كانت  
النقاشات والخصومات الأدبية كثيراً ما تدور حول الصورة<sup>(1)</sup>.  
وقد رأى النقاد أن الصورة يمكن أن تلقي من الضوء على الشعر ما لا تلقيه دراسة  
أي جانب من جوانب الدراسة الأدبية بعامة، والشعر بخاصة، كما أن هذا الاختيار دليل على  
حذق الشاعر، وإحساسه وفنائه؛ لأن الأمر ليس مجرد شكل خارجي، أو حلي زائفة.

(1) ينظر: ابن طباطبا، عيار الشعر، 10. للمزيد حول الصورة الشعرية، ينظر: عباس، إحسان، فن الشعر، 193، و ضيف،  
شوقي، في النقد الأدبي، 175، و إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، 67، و محمد، ذ. الولي، تحديد الصورة وأهميتها  
في البناء الشعري، 198. مجلة كلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، العدد 9، 1987.

والصورة تساعد في إبراز المعنى، وتقريبه للأذهان، كما أنها ذات تأثير واضح في المتلقي، لأنها تشكل أوتار الاهتزاز الشعري الذي يؤدي بالتالي إلى اهتزاز عاطفي عند السامع أو القارئ، ومن هنا يحدث التجاوب مع الأدب.

ومن هذه الجولة يمكن أن نصل إلى أن الصورة، هي ما يرسمه الفنان بريشته شعراً أو نثراً لإثارة العاطفة، والتأثير في الناس بصورة أفضل من الكلام المباشر.

وفي مجال الحديث عن الصورة، فإنها قد تكون بيانية تقوم على التشبيه، والاستعارة والمجاز والكناية. وقد فطن إليها الشعراء من قديم، فاصطنعوها في شعرهم، فأبرزوا العلاقة بين الشيء وشبيهه، باستخدام التشبيه، وأبرزوا صفة ما حين استعاروا صفة من الشبيه على سبيل الاستعارة، وأخفوا المباشر، وعبروا عنه بما يفيد معناه باستخدام الكناية.

كما أن الصورة يمكن أن تكون حسيّة، تقوم على علاقات أعمق، وتحتاج إلى إعمال فكر في تفسيرها، أو تتطلب وقتاً في تحليل عناصرها ومكوناتها، وهي في النهاية أرقى من الصورة التي تقوم على العلاقة الجزئية، ويدركها الطبع السليم، والذوق الرفيع<sup>(1)</sup>.

أما الصورة البيانية في شعر الحنين، فهي كثيرة جداً، ولا يمكن حصرها، كالتشبيه

في قول ابن الرومي: [مجزوء الكامل]

اللاءِ أشبهن الغصو (م) نَ المستقيمات الموائل<sup>(2)</sup>

فهو تشبيه عادي يشبه قامات النساء بالغصون في حالة الاستقامة، وبها أيضاً حين

تعبث بها الريح فيميل على الجانبين، وهكذا حركة النساء في تننيهن بفعل الغنج والدلال.

ومن التشبيهات أيضاً، تشبيه الوجه بالبدر، في قول ابن الرومي: [مجزوء الكامل]

خود لها وجهه على (م) ه من القسامة ملبس

(1) ينظر: النواجي، عقود اللال في الموشحات والأزجال، مقدمة المحقق، 75.

(2) ديوان ابن الرومي، 2031/5.

كالبدر حَفَّتْهُ السَّعْوُ (م) دُ، وغاب عنه الأَحْسُ<sup>(1)</sup>

وهو تشبيه مطروق منذ القدم، وكذلك تصوير القامات بالغصون. ومن تشبيه التمثيل،

قول العباس بن البصري: [الكامل]

والبدر في وَسَطِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ وَجَهُ مَلِيحٍ فِي قَنَاعِ أَرْزَقِ<sup>(2)</sup>

فصورة الوجه الأبيض في القناع الأزرق، وصورة البدر الأبيض وسط السماء

الزرقاء، هي أيضاً صورة مألوفة، وقد جرى الشعراء على تشبيه الوجه بالبدر، وليس العكس،

فإن حدث هذا العكس، كان التشبيه مقلوباً لإبراز قيمة المشبه، والمبالغة في ذلك.

وقول ابن المعتز: [الطويل]

وإلا أَثَافٍ كَالْحَمَائِمِ رُكِّدِ كَأَنَّ الرَّمَادَ بَيْنَهُنَّ وَدَائِعِ<sup>(3)</sup>

فشبه الأثافي بالحمام تجلس وتحتضن بينها الرماد.

وحين يصف ابن الرومي كثافة الزنج، حين دخول البصرة، إضافة إلى لونهم الأسود،

يجد تشبيهه بالليل، يقول: [الخفيف]

دَخَلُوهَا كَأَنَّهُمْ قَطَعِ اللَّيْلَ — (م) لَ إِذَا رَاحَ مَدَّ لَهُمُ الظَّلَامِ<sup>(4)</sup>

فتشبيه العدد الكثير بالليل، تشبيه مطروق في الشعر العربي القديم.

وحين يصف البحترى البرق، وشدة لمعانه، وكثرة المطر الناتج عنه، يكتفي عن ذلك

بالعُودِ والعِشَارِ، لأنها رمز العطاء والتكاثر، يقول:

بَاتَ وَبَاتَ الْبَرْقُ يَمْرِي عَوْدَهُ فِيهَا، وَيَنْتِجُ مَثَقَلَاتِ عِشَارِهِ<sup>(5)</sup>

وحين يكتفي عن الرقة والدلال، يصف المرأة بأنها عليلة الألاحظ، يقول: [الكامل]

(1) نفسه ، 1193/3 .

(2) الشابشتي، الديارات، 249 .

(3) ديوان ابن المعتز، 117/1 .

(4) ديوان ابن الرومي، 2389/6 .

(5) ديوان البحترى، 686/2 .

## وعليّة الأَحاظ ناعمة الصِّبَا غري الوشاة بها ولجّ العُدلُ<sup>(1)</sup>

وحين يريد ماني أن يعبر عن انقضاء رضاه، وجد استعارة الطيِّ، علماً بأن الرضى لا يطوى، وكذلك العيش، يقول:

## طويت عنها الرضا مُدَمِّمة لما انطوى غضّ عيشها الأُنفُ<sup>(2)</sup>

هذه مجرد أمثلة، لأن الصورة الجزئية في شعر الحنين في هذا العصر، كثيرة جداً، بل أكثر من أن يحاط بها في دراسة مختصرة كهذه، لهذا اكتفيت بهذا الكمّ القليل للتمثيل فقط. أما الصورة الحسية التي تقوم على علاقات أوسع، وتترك في النفس أثراً أعمق إن جزأها الإنسان أساء إليها، فهي تلك الصور المرتبطة بالحواس، ومنها: الصورة الحركية، والصورة الشمية، والصورة السمعية، والصورة البصرية<sup>(3)</sup>. ولكثرة اعتماد الشعراء عليها، ربما بسبب حاجتهم إلى تصوير معاناتهم في الشوق والحنين إلى الطلل، أو إلى الأحبة، أو إلى الشباب، أو تصوير معاناتهم داخل السجون، وفي أماكن الإبعاد؛ لهذا سأتحدث عنها بشيء من التفصيل حسب كثرة ورودها في شعرهم، لأنها الرديف الحسيّ لتجربة الشاعر الواقعية التي يعيشها.

### 1) الصورة البصرية:

وهي ما تجلوه الأبصار من نظرها إلى واقع ما، أو ما تراه العين مرتبطاً بصورة ذهنية ما، ومن هذه الصور، الحديث عن الأثافي وكأنها حمائم، ولا أدري إن كانت هذه الصورة قد جاءت من اللون الأغبر لهذه الأثافي، من كثرة إيقاد الحطب بينها، أم من شكل تقاربها مواجهة لبعضها، كما رسم أحد الشعراء، فمن هذه الصور قول البحترى:

(1) ديوان البحترى ، 1599/3 .  
(2) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2/ج 234/2 .  
(3) ينظر: كبايه، وحيد، الصورة الفنية في شعر الطائيين، 31.

[الطويل]

عفا غير نؤي دارس بفنائه ثلاث أئاف كالحمام جُنح<sup>(1)</sup>

[الطويل]

وكقول ابن المعتز:

وإلا أئاف كالحمام رُكِّد كأن الرماد بينهن ودائع<sup>(2)</sup>

والغريب في هذه الصورة، اجتماع الحمام كأنهن يحرسن وديعة ماء، وهذه الصورة

في غاية الطرافة، وأظنها صورة غير مطروقة، أي ربما كانت من تجديدات هذا العصر.

ومن الصور البصرية التي أخذت مكاناً واسعاً، في شعر الحنين إلى الأطلال بالذات،

صورة الطلل برسومه، حيث شبّهت بأشياء عدة، منها: تصوير الطلل بالملابس ذات العلامات

[الكامل]

والخطوط والوشي، كقول البحتري:

دمن كمثل طرائق الوشي انجلت لمعاتهن من الرداء المنهَج<sup>(3)</sup>

[مجزوء الكامل]

وكقول ابن الرومي:

أشجتك أطلال لحو (م) لة كالمهراق دُرس<sup>(4)</sup>

من الصور البصرية المركبة للروض، وتشبيهه بالمطارف والثياب، قول الصنوبري:

[المتقارب]

إذا نشر الزهر أعلامه بها ومطارفه والعذب

غدا وحواشيه من فضة تروق وأوساطه من ذهب

زبرجده بين فيروز عجب، وبين عقيق عجب<sup>(5)</sup>

(1) ديوان البحتري، 354/1 .

(2) ديوان ابن المعتز، 512/1 .

(3) ديوان البحتري، 399/1 .

(4) ديوان ابن الرومي، 1193 .

(5) ديوان الصنوبري، 392 .

هذه الصورة يمكن للفنان أن يرسمها، لروض بعد إزهاره، كانت الأزهار البيضاء في حواشيه وأطرافه وكأنها فضة، وكانت الأزهار الصفراء في وسطه وكأنها الذهب، يتخلل ذلك بنفسج، وورود حمراء، وغير ذلك من الألوان.

ومن الصور التي ألح عليها الشعراء في وصف الأطلال، هي تصوير هذه الآثار

بالخط، والكتابة في الطروس، يقول البحرى: [الكامل]

أرسومُ دار أم سطورُ كتابٍ درستُ بشاشتُها مع الأحقَابِ<sup>(1)</sup>

فالرسم مندثر كسطور كتاب قديم، كثر استعماله،

وكذلك قول ابن المعتز: [الخفيف]

وعِراضٍ جرتُ عليها سوافي الر (م) يح حتى غُودرنَ كالأسطارِ<sup>(2)</sup>

ومن الصور البصرية الحضارية، وصف الروضة بأزهارها المختلفة، كرقعة فنية،

دون أن تشبه بشيء آخر، يقول الناشئ الأكبر: [الخفيف]

بين وردٍ و نرجسٍ و خزامى وبنفسٍ و سوسنٍ و بهارٍ

وأقاحٍ وكلِّ صنفٍ من النُو (م) رِ الشهيِّ الجنيِّ ومن جئنارِ<sup>(3)</sup>

لكن ابن المعتز يصف الأزهار في الروض، بأنها دنانير لشدة لمعانها وإشراقها،

يقول: [البسيط]

تُضاحك الشمسُ أنوارُ الرياضِ بها كأنما نثرتُ فيها الدنانيرُ<sup>(4)</sup>

والصورة البصرية كثيرة جداً في شعر الحنين في هذا العصر، لأنها انعكاس مباشر

لما يراه الشاعر، فيلجأ إلى تصويره كما هو، أو كما تثير هذه الصورة في نفسه من صور

(1) ديوان البحرى، 294/1 .

(2) ديوان ابن المعتز، 106/1 .

(3) ديوان الناشئ الأكبر، 158 ، المورد، م 11 / 11ع / 1982 م .

(4) ديوان ابن المعتز، 297/1 .



ذهنية وانفعالية مختلفة. و تدخل الصورة الحركية ضمن الصورة البصرية وهي ما يبين حركة شيء ما، وقت تصوير الشاعر له، أو ارتباط شيء يصفه في حنيه بصورة ذهنية يتذكرها الشاعر.

ففي حنيه إلى الطلل، يتحدث البحترى عن دمنة، فعلت فيها الريح فعلها، فأجاد

الحديث باستخدام الحركة، ليعبر عن تأثير الريح فيها، يقول:

[البسيط]

يا دمنةً جاذبتُها الريحُ بهجتها      تبيتُ تنشرها طوراً وتطويها<sup>(1)</sup>

وفي حنين لحظة إلى الطلل، يصف السحب كأنها عروس تجرّ ذيلها على الثرى،

يقول:

[الطويل]

سحائب يسحبن الذبولَ على الثرى      ويُضحى بهنّ الزهرُ رطبَ المحاجر<sup>(2)</sup>

وما أجمل الصورة التي عبر فيها ابن دريد عن لمعان البرق، حيث يوصف اللمعان

بالإشراق أو بالسرعة، لكن ابن دريد صورّه بتصوير خاص، حيث يقول: [الوافر]

أمنَ نحو العقيقِ شجاكَ برقٍ      كأنّ وميضه رجعُ الجفون<sup>(3)</sup>

وهي صورة أظنها مبتكرة جديدة، وهي مؤثرة موحية في الوقت نفسه.

## (2) الصورة السمعية:

وهي ما يتحدث به الشاعر عن أشياء لها علاقة بالسمع والأصوات، وقد كثرت هذه

الصور أيضاً في شعر الحنين في هذا العصر، ولما كانت الإطالة فيها غير محمودة، اكتفيت

بأمثلة دالة.

(1) ديوان البحترى، 2414/4 .

(2) النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، قسم 2 / ج 5 / 69 .

(3) ديوان ابن دريد، 110 .

ومن ذلك ما تحدث به الشعراء عن الأطلال، وتأثير الأمطار فيها، فوصفوا صوت

الرعود، وصوت نزول المطر، وصوت الريح، يقول ابن الرومي: [مجزوء الكامل]

أودتُ بهنَّ الباكيا (م) ت الضاحكات الرُّجَّسُ

والعاصفات القاصفا (م) ت المعصِرات الرُّمَّسُ<sup>(1)</sup>

فتأمل كيف جمع بين البكاء والضحك، فهي تبكي مُنزلةً الدموع وهي الأمطار، وتضحك لأن الخير فيها، والريح تعصف، فتأتي أيضاً بالمطر، لكنه قد يؤثر سلباً على تلك الديار، وهذا ما حدث.

ومن ذلك قول البحتري، في صورة جمعت بين الصوت والحركة، يصف فيها سحاباً

ثقلاً، يخيف صوته وبرقه النَّسور في السماء، يقول: [الكامل]

ماذا تحمّل من تهامة بارقٌ لَجِبٌ تسير مع الجنوب زحوفهُ

صخب العشي إذا تألّق برقهُ ذعر الأجدال في السماء حفيفهُ<sup>(2)</sup>

فالصخب فيه صوت، والحفيف هو صوت أيضاً.

كما أن الصورة السمعية عبّرت عن أصوات الحيوان، وبخاصة الطيور، وكثيراً ما

كان يجمع بين صوت الطير، وصوت الآلات الموسيقية والمغنين، ومن ذلك قول الناشئ

الأكبر: [الخفيف]

واغتبقتنا على صبوح ولهُوٍ وحنين النايّات والأوتار<sup>(3)</sup>

ومن الذين تجاوزوا مع طرب الحمام، ابن المعتز حين بكى من صوت الحمام، ثم بكى

وتوجّع، بل زاد على الحمام في ذلك، يقول: [الكامل]

(1) ديوان ابن الرومي، 1193/3 .

(2) ديوان البحتري، 1470/3 .

(3) ديوان الناشئ الأكبر، 159، المورد، م 11 / ع 1 / 1982 .

فبكِيت من طرب الحمام غدوة يدعو الهديل وما وجدن سميعاً

ساويتهن بنوحه وتوجع وفضلتهن تنفساً ودموعاً<sup>(1)</sup>

وقد جمع الصنوبري، الصور السمعية الثلاث: الطير، والآلة الموسيقية، والمغني، في

[البسيط]

بيت واحد، يقول:

يا طيب مجلسنا، والطير يطربنا والعود يسعدنا مع مُشدِّ حسن<sup>(2)</sup>

هكذا يصور الشاعر ما تسمعه أذنه، وما يصور له هذا المسموع من معان مرتبطة

بأشياء يحن إليها.

### (3) الصورة الشمية:

وهي ما ينقله الأنف، وتتلقاه حاسة الشم، من أشياء أكثر الشعراء منها، مثل وصف رائحة

الأزهار، أو ديار المحبوبة، لكن الغالب العام، كان في الحنين إلى الأماكن أو المجالس، التي

ارتبط بها الشاعر بشيء معين. ومن ذلك قول ابن الرومي: [مجزوء البسيط]

كأنا نُشْرَةُ أنفاسها تصدر عن حانوت عطار<sup>(3)</sup>

وهي صورة جامعة لكل أنواع الطيب؛ إذ صور ما شمّه من أنفاس هذه الروضة التي

يحن إليها ويتشوق، كأنها نفحة صادرة من حانوت العطار، وهي تحمل معها عبق أنواع

الروائح والمشمومات الطيبة كلها.

ومن طلل ابن المعتز تأتي الرياح، حاملة عباقراً يجمع بين المسك والكافور، يقول: [البسيط]

وتكسبُ الريح من أرجائها عباقراً كأن نفحته مسكاً وكافوراً<sup>(4)</sup>

(1) ديوان ابن المعتز، 135/1 .

(2) ديوان الصنوبري، 496 .

(3) ديوان ابن الرومي، 1036/3 .

(4) ديوان ابن المعتز، 297/2 .

ومن الذين أكثروا من الحديث عن مشمومات الأزهار: الصنوبري، في حنينه إلى

بساتين حلب ورياضها ومجالسها، بما تضم من رياحين وأزهار، ومن ذلك قوله: [الطويل]

وروضاً تلاقى بين أفناء نبتِه مُمسِكُ نورٍ يُجتني ومُعَبَّرٌ<sup>(1)</sup>

فرائحة المسك والعنبر، تأتي من أزهار هذه الروضة. فها هي الصورة في جانبها

الشمي تعضد الأقسام الأخرى: السمعية والبصرية، في إبراز حال الشاعر في مخاطبته للطلل،

وحنينه إليه، أو إلى المجلس، أو إلى المكان: برياضه وأزهاره.

#### (4) صور أخرى:

والمقصود بها: الأمور التي تتناول وصفاً مميزاً، قد يعود إلى الحركة أو البصر أو

السمع، وقد لا يعود إلى أحدها، ومن ذلك قول ابن المعتز: [المديد]

ظلّ يلحاه العذولُ ويأبى في عنان العذالِ إجماحاً<sup>(2)</sup>

فإن شرحت، قيل في شرحها: إنه يصور نفسه بين يدي العذال، كحصان في عنانه،

ولكنه يجمع على هذا العنان، والشاعر يرفض الخضوع للعذال، ومع ذلك فالصورة أجمل من

الشرح، وأروع من التفسير.

ومن ذلك قوله أيضاً: [الوافر]

إذا ما القَطْرُ جلاه تلاقَتْ على أطلاله أيدي الرياح<sup>(3)</sup>

أيضاً، فالشرح يسيء إلى الصورة. صحيح أن الشرح يوضح، لكن الصورة أجمل

وأبدع، حيث يقول عن الطلل: إنه حين يغسل بالمطر، وتتضح معالمه، تتعاون عليه الرياح

فتعفيه.

(1) ديوان الصنوبري، 426 .

(2) ديوان ابن المعتز، 463/1 .

(3) نفسه، 75/1 .

أرأيت كم هي الصورة أجمل من الشرح، وأعمق تأثيراً؟!

[الوافر]

ومن ذلك قوله أيضاً:

ألم تحزن على الربيع المحيل      وآثار وأطلال نحوول  
عَفْتَهُ الرِّيحُ بعدك كل يومٍ      وجالت فيه أفراس السيول<sup>(1)</sup>

فهل شرح أثر السيل في الطلل يساوي أو يؤثر في النفس، كما تؤثر فيه صورة:

(وجالت فيه أفراس السيول)؟ حقاً لا تفعل.

ومن أكثر الصور تأثيراً هي الصور المركبة، أي من دخل فيها العنصر البصري،

والعنصر السمعي، والعنصر الحركي، كما ورد في حنين الصنوبري لمدينة حلب، حيث يقول:

[المتقارب]

سقى حلباً سافكاً دمعاً      بطيء الرقوع إذا ما سفاك  
ميادينه بسطه ن الرياض      وساحاته بيتهن البرك  
ترى الريح تنسج من مائه      دروعاً مضاعفةً أو شبك  
كان الزجاج عليها أذيب      وماء اللجين بها قد سبك  
هي الجو من رقة غير أن      مكان الطير يطير السمك<sup>(2)</sup>

فلو جزئت هذه اللوحة، تتحدث عن صورة الروض بألوانه، وهي صورة بصرية، أو

صورة الريح مع ماء البركة، وهي صورة حركية، إذن لفسدت الصورة بهذا التجزيء، ولكن

هذه لوحة متكاملة، إذا تم شرحها فسدت .

وفي حنينه إلى الرقمتين، يتحدث الصنوبري في صورة جمعت بين الألوان، والنواحي

[الخفيف]

على صورة كلية يفسدها من يشرحها، يقول:

(1) ديوان ابن المعتز ، 166/1.

(2) ديوان الصنوبري، 432 .

أخضر اللون كالزمرّد في أحـ (م) مـرّ صافي الأديم كالأرجوانِ  
وأقاح كاللؤلؤ الرطبِ قد فُصِّـ (م) لـ، بين العقين بالمرجانِ  
وبهارٍ مثل الدنانير محفوـ (م) فـ، بزهر الخيري والحوذانِ  
وكأنّ النعمان حلّ عليها حلاً من شقائق النعمان<sup>(1)</sup>

وبعد، فحين يتحدث محمد مندور عن اعتبار الموسيقى الشعرية إحدى الوسائل المرهفة التي تمتلكها اللغة، للتعبير عن ظلال المعاني وألوانها<sup>(2)</sup>، فإن الصورة بلا شك هي من أعظم وسائل اللغة في إبراز المعنى، وكشف خفايا النفس، وإبرازها للمتلقّي، مؤثرة بصورة أعظم وأكثر مما تؤثر فيه اللفظة العادية، خارج إطار الصورة.

وهذا يفسر اعتماد الشعر بالدرجة الأولى على الصورة في إيهام السامع أو القارئ، حقيقة ما يدور في نفس الإنسان.

---

(1) ديوان الصنوبري ، 432 .  
(2) ينظر: الأدب وفنونه ، 26 .

## خامساً: التجربة الشعرية:

### 1) ماهيتها ومفهومها:

ليس كل ما ينظمه الشعراء من الشعر، يمكن أن يُعد من التجارب الشعرية الكاملة، فالتجربة الشعرية لها موادها وعناصرها التي يجب أن تستوفيها، حتى تكون عملاً شعرياً متكاملًا.

والتجربة الشعرية من الأعمال المعقدة التي تجانب البساطة والسهولة والتلقائية؛ إذ أنها تصدر عن النفس الإنسانية التي يصعب الحديث عن مكوناتها، لأنها تصدر عن عواطف الشاعر وأحاسيسه ومشاعره، بحيث تقوى هذه الأمور على أية تجربة شعرية<sup>(1)</sup>.

والتجربة بهذا الوصف، حدث وجداني عاطفي ينبع من نفس صاحبه وحواسه الظاهرة والباطنة، حدث عاشه الشاعر في بطن، منتقلاً بين جزء وآخر، "متمهلاً كمن يصعد إلى قمة جبل شامخ، فهو لا يجري مسرعاً نحو غايته، بل يسير بطيئاً ويرتاح قليلاً من حين إلى حين، حتى يأخذ الفرصة كاملة كي يقطع الطريق الصاعد الطويل، ولو أنه أسرع لأخذه التعب دون غايته، وعاد مجهوداً مكثوداً دون أن يظفر بغايته"<sup>(2)</sup>.

والمنظومة الشعرية يجب أن يكون لها موضوع معين، تأخذ منه طريقها، ووضوح معالمها، وتكون أجزاءها متلائمة في نفس الشاعر، كل جزء يقود إلى الآخر بتسلسل واضح، بحيث لا يحدث أي خلل في العمل، وليس أدلّ على ذلك من حواريات الشعراء الجاهليين. والقصيدة التي تخلو من هذا التسلسل المتكامل في البناء، لا يمكن أن تعد تجربة شعرية صحيحة؛ لأنها لا تشتمل على حدث فكري أو نفسي للشاعر، عاشه من بدايتها إلى نهايتها؛

(1) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 418. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

(2) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، 138.

لذلك فإن القصيدة ينبغي أن تكون ذات مضمون واضح، وليس مضامين متعددة، وإلا فهي من التجارب غير الكاملة.

والتجربة الشعرية لا يمكن أن تكون كاملة، مادام الشاعر يدور حول الموضوع، إلا إذا سبر غوره، وتعمق فيه، وفتش عن أسرارها، وتمثل بدقائقه، فإن التجربة الشعرية في هذه الحال تعد كاملة تامة، في حين أن الموضوع في التجربة الشعرية ليس مهماً دائماً، بل المهم هو "وقع الموضوع في نفس الشاعر، وتشبع وجدانه به،...، وما يتجلى في نفسه من أصدائه، وما يفيض على عقله من تأملاته فيه"<sup>(1)</sup>.

وعليه، فإن التجربة الشعرية لا يقصد بها وضع الألفاظ خدمة للمعاني التي يمثلها الشاعر وفق وزن وقافية وموسيقا، أو رصف للعبارات من أجل إنتاج قصيدة، إنما التجربة الشعرية - كما يقول محمد غنيمي هلال -: "الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور، تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه. وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي، وإخلاص فني، لا مجرد مهارته في صياغة القول، ليبحث بالحقائق، أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم"<sup>(2)</sup>.

وقد عرف مصطفى السحرتي التجربة الشعرية بقوله: "هي الحالة التي تنتشع فيها نفس الشاعر بموضوع من الموضوعات، أو مشاهدة من المشاهدات، أو فكرة من الأفكار، أو مرأى من المرآئي، يمتلئ بها وجدانه، متحفزة إلى التأمل والتفكير والاستغراق، بل الاندماج فيها"<sup>(3)</sup>.

(1) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، 144.

(2) النقد الأدبي الحديث، 384.

(3) الرجبي، عبد المنعم حافظ: الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 420. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م. نقلاً عن: الشعر المعاصر، 7.



## 2) عناصرها:

إن طبيعة أي عمل تقتضي أن يكون متماسكاً متلائماً، يقوم على أسس وعناصر تحفظه، ويعضد بعضها بعضاً لبقائه قائماً لا يتداعي، وكل عنصر من هذه العناصر يعبر عن الآخر، فإن حدث خلل في إحدى هذه العناصر، بدأ بالتداعي والسقوط، لذلك وجب أن يكون ثابتاً متماسكاً.

والقصيدة عمل أدبي، لها عناصرها وقواعدها التي تسيّر عليها، والتجربة الشعرية إحدى هذه العناصر، إلا أن التجربة لا تقوم بذاتها، إنما لها أركانها وعناصرها التي تحفظها من السقوط والتداعي وسبق أن أشرت إلى أن التجربة لا تعد كاملة إلا إن كان هناك اتحاد لعناصرها كاملة، وتمثل هذه العناصر في: الإحساس والشعور، والعقل والفكر، والخيال، والعاطفة، والموسيقا.

ومن خلال تلاحم هذه العناصر، تبدأ التجربة بالنمو والصعود شيئاً شيئاً، إلى أن تصل مبتغاه.

فالأحاسيس والمشاعر المفتاح الذي يسقط منه النغم، ولا بد أن يكون هذا النغم له صفة الدوام حتى يبقى ويخلد، وبالتالي تعد من أهم العناصر في التجربة الشعرية<sup>(1)</sup>. والإحساس والشعور ضروريان لعملية الإبداع الفني؛ لأنهما يبتان فيه الحياة؛ إذ لا حياة لأي عمل أدبي دون إحساس وشعور، لأنهما يشبهان الروح لهذا العمل<sup>(2)</sup>.

والعقل والفكر، يشرفان على الإحساس والمشاعر وينظمانها، فلو لا العقل لكانت التجربة الشعرية عملاً مضطرباً دون نظام؛ إذن فوظيفة العقل هنا تنظيم هذه الأحاسيس

(1) ينظر: ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، 146.  
(2) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 420. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

الفياضة عند الشاعر، ولكن ينبغي ألا يسيطر العقل السيطرة كلها على هذا العمل الأدبي، لأنه من سيُخرج الحرارة الصادقة من هذا العمل، لأنه أمام عمل عاطفي نفسي، فعلى الشاعر أن يحذر من العقل المسيطر على العمل، لأنه "يخرجه من دوائر الشعر إلى دوائر النثر"<sup>(1)</sup>.

ومن عناصر التجربة الشعرية: الموسيقى، فيرى شوقي ضيف أن الشعراء بإمكانهم أن يستغنوا عن الخيال في بعض أبياتهم، أو في بعض المقاطع في قصائدهم؛ إلا أنهم لا يستغنون عن الموسيقى مطلقاً؛ لأن الموسيقى والشعر لا يفترقان أبداً<sup>(2)</sup>.

والموسيقا وفق هذا التعليل، عنصر من عناصر التجربة الشعرية، لا تؤثر في الإنسان تأثيرها كله، بل إن اتحدت مع غيرها من العناصر: العاطفة والعقل والخيال والإحساس والشعور، كان لها التأثير القوي فتتمو القصيدة من خلال هذه العناصر مجتمعة نمواً عضوياً دقيقاً لا يشوبه نقص ولا خلل.

ولا بد من الإشارة إلى أن يوسف بكار قد ربط بين التجربة الشعرية وطول القصيدة؛ فلكل تجربة مدى معين يتناسب مع فكرتها وموضوعها، فهي تتحكم في طول القصيدة، يقول: "ينبغي أن يتسق الثوب الشعري، حتى يمكن نقلها كاملة بلا زيادة أو نقصان، تطول القصيدة بطولها، وتقصّر بقصرها، مع مراعاة نقلها كاملة"<sup>(3)</sup>.

والتجربة الفنية ينبغي أن تكون نفسية، يعمل فيها العقل بشرط ألا تخرج من عالم الأحلام والرؤى والصور الحسنة، لذلك كان الخيال من العناصر الهامة في التجربة الشعرية، وما ذاك إلا أنه يساعد على تمام هذه الأحلام والرؤى. يقول شوقي ضيف: "وبمقدار ما يجعلنا الشاعر نحلم، تكون قيمة قصيدته، إذ يخرجنا من عالمنا الحقيقي إلى عالمه النفسي،

(1) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، 149.

(2) ينظر: نفسه، 151.

(3) بناء القصيدة في النقد العربي القديم، 256.

وهو عالم من الصعب التعبير عنه، عالم لا بد لمن يدخل فيه من أي حلم حتى يحس أنه قد فارق عالمه المليء بالأشياء الوقتية والعارضة<sup>(1)</sup>.

وإذا كانت هذه التجربة حلمًا، فإنها تكون خيالاً تركيبياً، فيه يستخدم الشاعر مجازاته واستعاراته، إلا أنهم لا يستخدمونها زخرفة أو زينة، وإنما يكون استخدامها لاستكمال تعبيرهم إزاء علم النفس، إذا أحسوا أنهم قد قصروا في تعبيرهم<sup>(2)</sup>.

ولفظة الخيال من الألفاظ المحيرة في دلالتها، فاللغة تقول: إن الخيال يقوم على الظن، وما تشبه لك في اليقظة وال المنام من صورة، وكذلك الطيف<sup>(3)</sup>.

والخيال إحدى قوى العقل التي تتخيل بها الأشياء<sup>(4)</sup>، ويدور النقاد حول الكلمة دون تحديد دقيق لمدلولها، ومن هؤلاء من قال: إن الخيال هو "العنصر الذي تلجأ إليه العاطفة لتعبر عن نفسها، حيث تعجز العبارات الأخرى، دون تحقيق هذه الغاية الأدبية"<sup>(5)</sup>.

ويذهب شوقي ضيف في مكان آخر إلى اعتبار الخيال هو الصور التي يخلقها العقل، ويولفها من إحساسات سابقة<sup>(6)</sup>.

والخيال إذن، يقوم على الصورة، وقد كانت الصورة دائماً موضع الاعتبار في الحكم على الشاعر، حتى وإن لم ينصّ عليها في الدراسات النقدية العربية في كثير من العصور كاصطلاح نقدي<sup>(7)</sup>. ويرى محمد حسن عبد الله، أن ابن رشيق في كتابه "قراصة الذهب في نقد أشعار العرب" قد أقام منهجه على أساس الصورة الشعرية، مقررًا أن السرقة لا تقع إلا فيها، لأن المعاني معروفة للجميع<sup>(8)</sup>.

(1) في النقد الأدبي، 149.

(2) ينظر: نفسه، 149-150.

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خيل).

(4) ينظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (خيل).

(5) الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، 33.

(6) ينظر: في الأدب والنقد، 19.

(7) ينظر عبد الله، محمد حسن، الصورة والبناء الشعري، 17.

(8) ينظر: الصورة والبناء الشعري، 17.

أما العاطفة فإنها تعبر عن إحساس الإنسان تجاه شيء ما، يقوله أو يكتبه نشرًا أو شعراً، وقد تحدث أحمد أمين عن العاطفة، ضمن عناصر العمل الأدبي، حيث بين أن عناصره أربعة، هي: نظم الكلام وتأليفه، وهو ليس غاية بل وسيلة للتعبير عما لدينا من الأفكار والآراء، والثاني: هو المعاني، وهي أساس كل نوع من أنواع الفنون، والعنصر الثالث: الخيال، الذي بدونها يصعب أن تستثار العاطفة، والرابع: هو العاطفة، التي عدّها أظهر ميزة في الأدب، وتكون الحاجة إليها في بعض أنواع الأدب، أكثر من أي عنصر آخر<sup>(1)</sup>.

وقد تحدث ابن رشيق عن الشعر خاصة، وقال إن العاطفة الأدبية، أو ما يسمى قواعد الشعر أربعة: الرغبة، والرغبة، والطرب، والغضب. فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرغبة يكون الاستعطاف والاعتذار، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والعتاب والوعيد<sup>(2)</sup>.

والتجربة الشعرية لا تكتمل عناصرها إلا بوجود العاطفة، والعاطفة لها دور بارز لا يمكن أن يمر عنها الشاعر، أو يستغني عنها مطلقاً، إذ باختفاء العاطفة تنعدم الحياة في القصيدة، وتخرج منها الروح، "ويصبح بالتالي بعيداً عن أية قيمة فنية تعبيرية، خالياً من الماء والرونق اللذين هما بمثابة روح حياته وسر خلوده"<sup>(3)</sup>.

وقد قرن المحدثون بين العاطفة والانفعال؛ فأحمد الشايب -مثلاً- يرى أن العاطفة والانفعال ظاهرة وجدانية، وهما متقاربان، وللباحث أن يختار ما يراه مناسباً في استعماله<sup>(4)</sup>.

في حين وازن عبد المنعم الرجبى بين الانفعال والعاطفة، ورأى أن استخدام العاطفة أولى من الانفعال، لما في العاطفة من رقة وسلاسة، وفي الانفعال من صفات الثورة

(1) ينظر: النقد الأدبي، 28.

(2) ينظر: العمدة في صناعة الشعر ونقده، 386/1.

(3) الرجبى، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 421. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

(4) ينظر: أصول النقد الأدبي، 180.

الوجدانية، يقول: " أما نحن فنجد استعمال كلمة (العاطفة) على كلمة (انفعال)، لكونها أقرب من الرقة والسلاسة والهدوء، وكلها صفات أقرب إلى شعر الحنين. أما لفظ (انفعال) فتغلب عليه صفات الثورة الوجدانية، والاندفاع العاطفي، ولعله بموضوعات غير موضوعنا - أي الحنين - أجدر وألزم كموضوعات الهجاء والفخر والتمرد والثورة"<sup>(1)</sup>.

وقد جال النقاد في مجال هذه العواطف، فأرجعها بعضهم إلى عاطفة الجمال، وبعضهم إلى المشاركة في الحياة. ولكن كيف يمكن أن نقيس عنصر العاطفة في الأدب؟ مع الانتباه إلى أن صلاحية القطعة الأدبية لإثارة عواطف الناس، ليست دائماً برهاناً على جودتها، فكثيراً ما تثار عواطف الجمهور بشيء ليست له قيمة أدبية، بل هو مجرد تهريج، وهنا تكون الإثارة وقتية قليلة الدوام، وقد ذهب بعض النقاد إلى أن عنصر العاطفة يقدر بصحتها واعتدالها؛ أي أن تكون الأسباب التي أثارها صحيحة جيدة، أي: هل بنيت على أسس صحيحة؟ وتكون العاطفة شعرية إذا كانت أسبابها صحيحة، فالإثارة التي تكون بسبب عرض ألعاب نارية مثلاً، أساسها مزيف، ليس كالإثارة من تفتح زهرة، بما فيها من جمال أصيل، ورحيق فواح، وإبداع طبيعي منسّق، ففي هذه الحالة تكون العاطفة شاعرية، أما الأولى ففيها إعجاب مزيف ينتهي بانتهاء اللعبة النارية<sup>(2)</sup>.

وفي زاوية أخرى، يمكن أن تقدّر العاطفة بقوتها وحيويتها، مع التأكيد على أنه لا مقياس يمكن أن يقيس قوة العاطفة بدقة، لكنّ قوتها تلمح في طبيعة الشاعر، والنص الشعري، كما تقاس العاطفة أيضاً باستمرارها وبنباتها؛ فبعض القطع الأدبية يؤثر تأثيراً وقتياً، في حين

(1) الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 422. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.  
(2) ينظر: أمين، أحمد، النقد الأدبي، 30.

يبقى غيره طويلاً في الذاكرة، كما تقاس العواطف أيضاً بخصبها وغنائها وتنوعها، حتى يؤثر في الناس الذين تختلف أمزجتهم، واستجاباتهم لمصدر الجمال<sup>(1)</sup>.

وقد وضع أحد النقاد شرطاً للعاطفة الصادقة، هو أن يكون الشاعر قد عاش التجربة حقاً، وفي ذلك يقول حازم القرطاجي: "فقلما برع في رقة أسلوب النسيب، من لم تشط به عن أحبابه رحلة، ولا شاهد موقف غربة"<sup>(2)</sup> وليس يعنى هذا انعدام الإبداع والصدق العاطفي عند من لم تشط به الرحلة.

وأهم ما يجعل العاطفة مؤثرة، التجربة الشعرية الناجحة، التي تقوم على تجربة واقعية مربها الشاعر، أو على إبداع فني يوحى للسامع أو القارئ، أن الشاعر قد مرّ في هذه التجربة، فمرور الشاعر بالتجربة الشعرية الواقعية يعطيه مجالاً رحباً للحديث الصادق عنها، فيحس المتلقي أن الأديب ينقل له شيئاً عايشه، فيكون بذلك إحساسه بها أكثر<sup>(3)</sup>.

ولما كان الحنين والشوق، من أكثر الموضوعات التي تعبر عن الإحساس والعاطفة، فإن الدارس قد يطيل كثيراً إذا ذهب يستعرض هذه النصوص، ويبين ما فيها من صدق العاطفة أو عدم صدقها، قوتها أو ضعفها، تأثيرها أو قلة تأثيرها. فمن المعروف أن الشعراء في حنينهم إلى الديار والأحباب، إنما يتعاملون مع الجوانب الباسمة التي مرت، ولن تعود، فوسيلتهم هي المناجاة، وفي الوقت ذاته نراهم متمزقين ومكروبيين ومحزونين، فينعكس هذا على التعبير رقة وانفعالاً، وما شابه.

وحتى لا يطول الحديث، وتتشعب مسالكه، فإنني سأحدث عن التجربة الشعرية في

شعر الحنين، وعلاقتها بقوة العاطفة وصدقها، ما أمكنني الاستنتاج إلى ذلك سبيلاً.

(1) ينظر: نفسه، 31، وما بعدها..

(2) سراج الأدباء ومنهاج البلاغ، 65.

(3) ينظر: النواجي، عقود اللال في الموشحات والأزجال، مقدمة المحقق، 137.

إذا ما انتقلنا للحديث عن بكاء الأطلال بالذات، وجدناه تقليداً استهل به الشاعر قصائده، وبخاصة عند البحثري في قصائده المدحية، والمتأمل في هذه المقدمات الطللية، يجد منها صوراً للطلال حتى ليخيل إليه أنه يقرأ شعراً جاهلياً، مع فارق بسيط - كما سبق أن أوضحت في مجال اللغة - هو اختيار الألفاظ اليسيرة السهلة، بفعل عيشته الحضرية، أما ما نحن بصدده، وهي العاطفة، فلا أزعم كما لا أظن الشاعر نفسه يزعم، بأنه كان صادقاً في إحساسه، في التعبير عن حنينه لهذا الطلل، إذ لا أظن أنه وقف أمام طلل، ولا أظن أنه رحل عن طلل، وإنما هو تقليد يدل على شيئين:

الأول: حبه لعمود الشعر العربي، فحافظ على هذا التقليد، والثاني: حسن تصرفه في اللفظ والصورة والموسيقا. ولعل هذه المقدمة تنبه السامع إلى الموضوع المطروق بعدها، كما تهيئ المقدمة الموسيقية السامعين للأغنية التي تليها، مع فارق واضح بين مقدمات البحثري، والمقدمات الموسيقية؛ ففي مقدمات الأغاني تتنوع المقدمات الموسيقية، بينما في بكائه على الطلل وحنينه إليه، تتكرر قوالبه اللفظية وصوره وجزئيات الطلل.

فحين يريد الدارس أن يمثل على أي عنصر من عناصر الطلل هذه، فلن يطول به البحث في مقدمات البحثري، إذ إن كل مقدمة تنوب عن أختها في هذا المجال، وهذا ما يدفعني إلى القول: إن هذه المقدمات جميلة الصورة، متناسقة العناصر، جميلة الجرس والموسيقا، لكنها من العاطفة خاوية.

وليس البكاء على الأطلال كله من هذا الباب؛ فحين تقرأ نصاً كنص أحمد ابن أبي طاهر الآتي، لابد أنك تحسّ جهة الطلل إحساساً، يختلف عن ذلك الإحساس الذي اختلج في صدرك أمام مقدمات البحثري جميعها. يقول ابن أبي طاهر: [الكامل]

يا منزلاً لعب الزمان بأهله      طوراً يفرقهم وطوراً يجمعُ

أين الذين عهدتهم بك مرة      كان الزمان بهم يضرّ وينفعُ  
أصبحت تفرع من رآك وطالما      كُنّا إليك من الحوادث نـفـزـعُ  
أيام لا أغشى لأهلك مَرَبَعاً      إلا وفيه للمسـرّة مـرـبـعُ  
لهفي عليك، لو أنّ لهفأ ينفعُ      أو أنّ دهرأ راحمّ من يجزّعُ  
ما كان ذاك العيشُ إلا خُـسـةً      خَطَفًا كَرَجَعِ الطرفِ أو هو أسرعُ<sup>(1)</sup>

لم تخل هذه الأبيات من محسنات، وبخاصة الطباق في البيتين: الأول والثاني، لكنّ هذا الطباق جاء موظفاً لبيان حال هذا الزمان، وحاله أهله، فإذا تأملت هذه الأبيات لاحظت الجزع اللفظي مقروناً بالجزع الحقيقي، ولاحظت التلهف الكلامي مقروناً بالتلهف العاطفي؛ فوقفته على منزل أحبابه أرتته عبرة الزمان في التفريق و التجميع، ثم يتحدث عن أيامه، ويتلهف عليها بصورة توحى بإحساسه، وتنقله للمتلقى.

وعندما يبكي ابن المعتز طلل الأحبة، ويحنّ إليه، يحسّ القارئ أنه حزين موجع

مفجوع بشبابه، متألم لما آلت إليه حاله، يقول: [الكامل]

الدارُ أعرفها رُباً وربوعاً      لكن أساء بها الزمان صنيعاً  
فبكيتُ من طرب الحمائم غدوة      يدعو الهديلُ وما وجدنَ سميعة  
ساويتُهُنَّ بنوحَةٍ وتوجّع      وفضلتُهُنَّ تنفساً ودموعاً  
يا قلبُ ليس إلى الصبا من مرجع      فاحزنْ فلستَ بمثله مفجوعاً<sup>(2)</sup>

كثيرون هم من بكوا على الطلل، وحنوا إليه، لكنّ ابن المعتز يتألم من طرب الحمائم، فينوح ويتوجع، وتظهر عواطفه بقوة، في تنفسه وفجيئته، وأنت تلمح الصدق بوضوح في بيته

الأخير. وهذا ابن دريد يقول: [الوافر]

(1) القيسي، نوري حمودي، أربعة شعراء عباسيون، 313.  
(2) ديوان ابن المعتز، 136-134/1.



أمنَ نحو العقيق شجاك برقُ  
كأن وميضه رجع الجفون  
أيا برق العقيق أقم فما لي  
سواك على الصباية من معين  
أحنّ إلى العقيق وساكنيه  
وما يخلو المتيمّ من حنين<sup>(1)</sup>

لعلّ المتأمل يدرك هذا التعلق الشديد، والحنين الأكيد؛ لأن النص جاء خالياً من المحسنات المتقلّبة من جهة، ولأنه عبّر عن إحساس صادق من جهة أخرى، دلّ على ارتباط صاحبه بهذا المكان، وبخاصة أنه يصرّح بلفظ الحنين مرتين، وكأنه فيض في نفسه لهذا المكان.

فإذا ما عرّجنا على حنين المبعدين والمسافرين، يمكن أن نلمس قوة العاطفة وصدقها؛ لأن الإنسان مفارق لبلده، بعيد عن أحبائه، فما الذي يدفعه إلى التعبير عن هذا الشوق، وهذا الحنين، إلا صدق إحساسه بهذه العاطفة؛ لأن الشاعر ليس في معرض مديح يضطر فيه إلى القول، ولا في مكان رثاء يجد واجباً عليه القول فيه، إنما هو عاطفة تجيش في صدره شوقاً إلى بلد أو أخ أو صديق، أو إلف يعز عليه.

ولنتأمل قول خالد الكاتب:

[الكامل]

الله يعلم أني كمأد  
لا أستطيع أبث ما أجأد  
نفسان لي: نفس تضمنها  
بلد، وأخرى حازها بلد<sup>(2)</sup>

فيجد الإنسان الحرقة الواضحة، التي أعجزته عن التعبير عما يجد، وبخاصة أن إلفه هو نفسه الثانية، وكأنه بنفسين: واحدة في بلده، والأخرى في المكان البعيد. وكذلك قول محمد

بن أمية الكاتب:

[الخفيف]

يا غريباً يبكي لكل غريب  
لم يذق قبلها فراق الحبيب

(1) ديوان ابن دريد، 110.

(2) ابن المزبان، الحنين إلى الأوطان، 161. المورد، م 11/ ع 1/ 1987.

عزّه الصبر فاستراح إلى الدّم (م) مع، وفي الدّم راحة للقلوب

لبيت يوماً أراك فيه كما كنـ (م) ت قريباً، فأشتكي من قريب<sup>(1)</sup>

في مثل هذه الزفرات، لا يمكن للغريب الذي يسمعها، إلا أن يبكي معه، مع أن البكاء فيه راحة وشفاء.

وأي تزييف للعاطفة هذا الذي يمكن أن يكون في مثل أبيات ابن المعتز: [المتقارب]

أَلْفْتُ التَّبَاعِدَ والغَربَةَ      في كل يومٍ أطا تُربُّهُ  
وفي كل يومٍ أرى حادثاً      يؤدي إلى كبدي كُربُهُ  
أمرّ الزمانُ لنا طعمه      فما إن نرى ساعةً عذِّبُهُ<sup>(2)</sup>

بالتأكيد لا زيف فيها ولا ادعاء، كذلك إن من يبيت ليله ساهراً في الغربة، يرجو أموراً تحول بينها وبينه المناحس، لا يمكن أن يكون مزيقاً في عاطفته، وهذا ما ظهر في قول البحتري:

[الطويل]

أَبَيْتُ وُلَيْي في نصيبين ساهراً      لهمّ عنائي في نصيبين ناصبُهُ  
وإنّ اغترابَ المرء في غير بُغية      يطالبها من حين دهر يطالبُهُ  
أرجي وما نفعُ الرجاء إذا التقتُ      مناحسُ أمرٍ مجحفٍ ومعاطبُهُ<sup>(3)</sup>

فإذا ما طرقتنا باب الحنين في شعر المجاهدين، تظهر لنا العاطفة القوية الصادقة، لأنه موقف جلّ عن أن يزوّق فيه كلامٌ، أو أن يرسم شيءً بعيداً عن مشاهداته، صحيح أن الخوف قد يجعل التعبير مبالغاً فيه، لكن هذه المبالغة لا تخرجه من دائرة الإحساس الصادق؛ إذ إن

(1) الشابشتي، الديارات، 29 .  
(2) نفسه ، 99 ، ولم أجدها في ديوان الشاعر.  
(3) ديون البحتري، 219/3.

المبالغة ذاتها في التعبير عن الخوف، هي إحساس صادق وزائد بما يجري، وكيف لا يحكم

بالصدق على قول ابن الرومي حين شارك في الحملة على الزنج : [الطويل]

وكيف بمشتاق تضمّن جسمه      على شوقه مصرّ ومهجته مصرّ  
أقام لحرب الزنج في دار غربة      حوادثها في أهلها القتل والأسر  
ومن دونه هؤل ومن تحته ردى      ومن فوقه سيفٌ ومن تحته بحر<sup>(1)</sup>

فإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن حنين الشعراء إلى المدن التي دمّرت وخرّبت، ظهر لنا

من صدق العاطفة وقوتها، ما لا يمكن أن يوصف إلا بالصدق، فتأمل وصف ابن الرومي

للدمار الذي أحلّه الزنج بسكان البصرة، يقول: [الخفيف]

كم أغصّوا من شاربٍ بشرابٍ      كم أغصّوا من طاعمٍ بطعامٍ  
كم ضنين بنفسه رام منجى      فتلقّوا جبينه بالحسام  
كم أخٍ قد رأى أخاه صريعاً      تربّ الخدّ بين صرعى كرام  
كم أبٍ قد رأى عزيزَ بنيه      وهو يُعلّى بصارمٍ صنّصام  
كم مُفدى في أهله أسلموه      حين لم يحمه هناك حام  
كم رضيع هناك قد فطموه      بشبا السيف قبل حين الفطام<sup>(2)</sup>

ولم يرق العلوي إلى الجمال الفني عند ابن الرومي، وذلك في بكائه على المدينة المنورة،

وحنينه إليها، بعد أن أخرجت، لكنّ العاطفة بقيت واضحة في أبياته، يقول: [الخفيف]

أخرجت دار هجرة المصطفى البرّ (م) ر، فأبكى خرابها المسلمينا  
عين فابكي مقام جبريل والقّب (م) ر فبكي والمنبر الميموننا  
وعلى المسجد الذي أسه التقّ (م) وى، خلاء أضحى من العابدينا

(1) ديوان ابن الرومي، 1128/3.

(2) نفسه، 2377/6.

وعلى طيبة التي بارك الله — (م) — على عليها، بخاتم المرسلينا

قبح الله معشراً أخرجوها وأطاعوا مُشرداً ملعوناً<sup>(1)</sup>

ومهما حاول الدارس أن يبحث في النصوص السابقة، حول المدن والمباعد والمجاهدين، من انخفاض، لرنة العاطفة، فإنه لن يحظى في شعر السجون بمثل هذا الفتور للعاطفة، أو انخفاض درجتها؛ إذ إن السجن مكان الوحشة والألم، والتعبير عما يلاقه الإنسان في السجن لا يمكن أن يصدر إلا عن نفس متألمة، حزّ فيها الشجى، وآلمتها المحنة، فكانت أبيات الحنين من داخل السجن، نغمة صادقة، سرعان ما يتأثر بها المتلقي، ويشترك فيها

الشاعر المسجون، فهل نجد ضعفاً أو تكلفاً في قول سليمان بن وهب: [الخفيف]

هل رسول إلى أخي وشقيقي ليت أي مكان ذلك الرسول

يا أخي لو ترى مكاني في الحب — (م) — س وحالي وزفرتي وعويلي

وعثاري إذا أردت قياماً وعوداً في مثقلات الحديد

لرأيت الذي يغمك في الأعداء (م) ء، أن يسلكوا جميعاً سبيلي<sup>(2)</sup>

أو هل تجد ضعفاً أو فتوراً في تعبير العلوي عن حرقته وحزنه الشديد في قوله: [الكامل]

وبدا لهم من بعدما اندمل الهوى برق تائق موهناً لمعانهُ

فدنا لينظر أين لاح فلم يُطق نظراً إليه وصده سجانهُ<sup>(3)</sup>

وكيف تفتت العاطفة، أو تقل درجتها في قول عاصم الكاتب: [الكامل]

ما الحبس إلا بيت كل مهانة ومذلة ومكاره لا تنفد

يكفيك أن الحبس بيت لا ترى أحداً إليه من الخلاق يحسد

(1) المزرابي، معجم الشعراء، 186.

(2) التتوخي، الفرغ بعد الشدة، 174.

(3) الأصفهاني، الأغاني، 248/16.

فَصُرْتُ خَطَايَ وَمَا كَبُرْتُ وَإِنَّمَا  
فَصُرْتُ لَأَنِّي فِي الْحَدِيدِ مَصْفَدٌ  
فِي مَطْبَقٍ فِيهِ النَّهَارُ مُشَاكِلٌ  
لِلَّيْلِ وَالظُّلُمَاتُ فِيهِ سَرْمَدٌ  
وَعِذَا بَعْدَ الصُّومِ مَاءٌ مُفْرَدٌ  
كَمْ عَيْشٌ مِنْ يَغْذُوهُ مَاءٌ مُفْرَدٌ  
فَالِئِمِّي هَذَا الشَّقَاءَ مُؤَكَّدٌ  
وَإِلَى مَتَى هَذَا الْبَلَاءُ مُجَدَّدٌ<sup>(1)</sup>

هذه نماذج فقط من الحنين بشتى أنواعه، منها ما فترت فيه العواطف إذا كان متقللاً بالمحسنات، جهد الشاعر فكره إلى حشدها بدلاً من التعبير عن تجربته، وكذلك الحال في مقدمات البحثري لأنها توطئة فقط لما يتبعها من غرض. أما العامّ الغالب من حنين المحبوسين والمبعدين والمسافرين، فإنه كان صادقاً معبراً عما يحسه الشاعر، ومصوراً لتجربته الواقعية، ناقلاً هذه التجربة بصدق وانفعال إلى المتلقي.

فإن كان لا بد من التطبيق على التجربة الشعرية، فقد سبق الحديث عن الموسيقى والعاطفة والأسلوب، ولكن كان مجزاً، ولبيان التجربة الشعرية الشمولية في شعر الحنين في هذا العصر، يمكن القول أن معظم المقدمات الطللية كانت تمهيداً لأغراض مختلفة أغلبها المديح، كما هي الحال عند البحثري، فإذا كانت الموسيقى محمودة، والكلمات مختارة، والعبارات مترابطة، فإن عنصر العاطفة - وهو شيء رئيس - قد غاب عن هذه المقدمات، فأخل بالتجربة الشعرية من حيث صدق الإحساس بها، أو المشاركة فيها، وذلك لأنه اتخذها تقليداً لا أكثر.

أما نغفات المبعدين، فهي ومضة هنا، ومضة هناك، فيها حرقة الشوق، وحرارة العاطفة، وصدق التجربة، ولكن غاب عنها في كثير من الأحيان التوفيق في اختيار الفكرة، بحيث كانت سطحية إلى حد كبير، كما كانت تعبيراتها المطروحة سهلة، يمكن لأي مغترب أن

(1) الجاحظ، المحاسن والأضداد، 92.

يقولها، لكن الحال هنا في كون القائل شاعراً، فلا بد أن يحسن لفظه، ويبدع صورته، وأن تتعاضد تعبيراته مع التجربة الواقعية التي مر بها، حتى تكون التجربة الشعرية الشعورية في صورتها الكاملة.

وعند الحديث عن شعر السجن، فإن الصورة تكاد تختلف؛ فالشاعر قد مر بالتجربة الواقعية الحسية فعلاً، وعاطفته لا يشك أحد في صدقها، وقد صيغت عباراته بطريقة موحية، جمعت بين اللفظة الدالة، والعبارات المؤدية للمعنى، الحاملة لزفرات المسجون، ومع شمول في الصورة، من حيث تصوير السجن والقيود والسجان، والحالة النفسية للشاعر المسجون، فإذا ما أجاد الشاعر في موسيقاه ورويه، كانت الصورة أمثل، والتعبير أفضل.

وحتى لا أعيد ما قيل مفصلاً في مكانه، فسأكتفي بنموذج واحد من شعر السجن، وهو

قول سليمان بن وهب: [الخفيف]

هل رسول إلى أخي وصديقي      ليت أي مكان ذاك الرسول

يا أخي لو ترى مكاني في الحب (م)      س، وحالي وزفرتي وعويلي

وعثاري إذا أردت قياماً      وعوداً في مثقات الكبول

لرأيت الذي يغمك في الأعـ (م)      داء أن يسلكوا جميعاً سبيلي<sup>(1)</sup>

فقد بدأ أبياته بالسؤال بأن يجد رسولاً يبلغ أخاه واقعه الحزين، وقد أحسن استخدام (هل) في البداية. بما فيه من التساؤل والتحسر، متبعاً ذلك بالتمني أن يكون هو نفسه ذلك الرسول، وهو إحساس بالضيق حملته العبارة، فهو لا يكتفي بإخراج ما في صدره لأخيه، بل يريد أن يكون هذا الإخراج أكبر بكثير، من مجرد نفثات كلامية، وأي شيء أكبر منه شخصياً؟ فإن خروجه من السجن غاية الغايات.

(1) التنوخي، المحسن، الفرج بعد الشدة، 174.

ويتابع في تمنٍ مستمرٍ قائلاً: (يا أخي لو ترى مكاني في الحبس) فهو يريد -إن لم يستطع الخروج- من أخيه أن يشاركه بما هو فيه، فجعل التمني معكوساً عن التمني الأول، وذلك كله لينقل التجربة الواقعية لغيره، ليحس بها كما أحس هو. ولو كانت العملية إخباراً فقط لكفى هذا، ولكنه يفصل في حاله حين يقول: (وحالي، وزفرتي وعويلي وعثاري)، وهي أمور لا بد أن يدركها من يسمع كلمة الحبس، لكن الشاعر مصدور، ويريد أن يخرج ما في صدره تقاؤلاً بأن يشاركه أحد في هذا الإحساس الحزين، خاتماً هذه الأبيات بأن الإنسان لا يتمنى هذه الحالة لعدوه.

والملاحظ أن هذه الأبيات جاءت على الخفيف، وفيها ما فيها من حروف المد، فبلغت في البيت الثاني أحد عشر حرفاً -على سبيل المثال- وتسعة أحرف في البيت الثالث، وذلك كله ليحمل تجربة واقعية في أنات عبر هذه الحروف إلى أخيه، وحين نجد رويه اللام المكسورة، فكأن السامع يسمع (ويلي) في كل آخر بيت: (رسولي، عويلي، كبولي، سبيلي)، وهو روي مكسور كنفس صاحبه .

## الخاتمة:

بعد هذه الجولة مع شعر الحنين في العصر العباسي الثاني، بأنواعه وأشكاله المختلفة، تبين لي ما لهذا الشعر من أهمية، ربما كانت نتيجة كون هذا الشعر يعبر عن عاطفة إنسانية، وجدت مع وجود الإنسان، ولا تنتهي بنهايته، عبر الشعراء عنها بحنينهم إلى الوطن الذي هو رمز السكينة والهدوء، والمرأة التي هي رمز الهناء والراحة، والحرية التي هي أعلى ما يملكه الإنسان، كما لم يغفل شعراء الحنين في حنينهم إلى الأماكن، تلك المظاهر الطبيعية الخلابة التي كانت إحدى العوامل الرابطة لهم بهذا المكان، والباعثة على الحنين إليه، مثل: البساتين، والمنتزهات، والأنهار، والقصور، والأسواق، وما إلى ذلك.

و الصدق أحد عوامل بقاء هذا الشعر؛ فحين يمدح الإنسان من الممكن أن يكون غير صادق، ولكنه ربما دفع إلى المديح تملقاً أو تقرباً أو تكسباً، وكذلك الرثاء، فقد يرثي الشاعر تملقاً أيضاً، أو تقرباً لأهل المتوفى. وقد يدفع إلى الوصف تلبية لرغبة حاكم أو أمير، حين يبني قصراً أو يزين مجلساً، فيندفع الشعراء لوصف هذا أو ذاك، استجابة لرغبة هذا الشخص، وكذلك باقي أغراض الشعر. أما الحنين فلا يمكن أن يصدر تلبية لإيحاء خارجي، أو لرغبة الآخرين، أو تملقاً لهم، إنما هو نتيجة انفعال داخلي، وشوق حقيقي، إلا ما كان في مطالع القوائد كتمهيد فني تقليدي صرف، وبخاصة لدى البحثري. وعليه، فبقاء الحنين، هو بقاء النفس الإنسانية، ومشاعرها الفياضة، وأحاسيسها المرهفة.

وقد خرجت ببعض الملحوظات من الدراسة، منها: أن الحنين إلى الطلل في هذا العصر كان تقليدياً اتكأ عليه البحثري أكثر من الشعراء الآخرين، محافظةً على عمود الشعر العربي، وإبرازاً لمقدرته الشعرية على اقتحام عالم الطلل رغم البعد الزمني عن الفترة التي كان فيها الطلل يمثل حياة حقيقية عاشها الشاعر، فافتقدها حين غاب عنها فحن إليها، ورغم



البعد المكاني كما رسمها الشعراء الجاهليون ، لأنه عاش في الحواضر . لكن اللافت للنظر أن البحري قد هذب لغة الأطلال ؛ فنأى بها عن الكلام الغريب ، والألفاظ الحوشية ، وذلك من تأثير الحضارة حيث كان يقيم .

أما في الحنين إلى الديارات ، فالأمر مختلف ؛ إذ إن الشاعر يحن حقيقة إلى جلسة استمتع فيها مع الأحبة ، والندامى ، والمغنين ، وحين افتقدها في سفره أو إبعاده ، أو حتى ابتعاده عنها ، عبّر عنها بإحساس صادق وليس تقليدًا ، هذا مع التأكيد على أنها حياة حقيقية عاشها الشاعر في تلك الأماكن ، زيادة على أن تلك الديارات ومجالسها من الأمور التي كانت معروفة في هذا العصر ؛ فالشاعر يعبر عن أمر مارسه ، ويحن إليه في بعده عنه .

ويمكن ملاحظة أمر آخر له أهميته ، هو أن ابن الرومي ألحّ إلحاحًا شديدًا على الحنين إلى أيام الشباب ، وبكاها وتوجع لفقدانها ، حتى إن الدارس ليجد كثيرًا من قصائده قد افتتحت ببكاء الشباب والحنين إليه ، بدلًا من المقدمة الطللية ، والحنين إلى الأطلال . وقد علل هو نفسه هذا بأن الشباب أداة الحياة ، وعنوان القوة ، ومجال العطاء ، وأن فقده يوجع القلب ، ويورث الضعف في الجسم والروح ؛ لذلك بكاه بشدة وجزع .

ولما حنّ الشعراء إلى مدنهم العامرة التي فارقوها من أجل مجالس الأمراء ، أو مكرهين لسبب ما ، عبّروا عن ذلك بحنين إلى مجلس أو طبيعة أو أصدقاء أو محبوبه . لكنّ بكاءهم على المدن المدمرة ، مثل البصرة وسامراء والمدينة المنورة ، كان بدافع اشتراك الشاعر في المآسي الكبيرة العامة ، أو هو واجب لابد من تأديته ، وبمقدار ما كان للشاعر ارتباط أقوى بالمدينة ، كان تعبيره عن حنينه إليها ، وبكاؤه عليها أعمق وأقوى ، ويظهر ذلك حين يوازن الإنسان بين حنين ابن الرومي للبصرة ، وحنين ابن المعتز لسامراء ، وبكاء الشاعرين على المدينتين .

وفي مجال حنين المكرهين ، لا بد من أن القارئ يحس بحرق العاطفة ، وطغيانها على الأساليب والتنميق والزخرفة اللفظية ، حتى على الصورة الأدبية ؛ وذلك لتركيز الشعراء على عنصر العاطفة من التجربة الشعرية أكثر من التركيز على العناصر الأخرى ، مثل : توظيف اللغة ، والإبداع في الصياغة ، وترتيب الأفكار ؛ لذلك جاءت أشعار المبعدين مقطعات تعبر عن نفثات هنا وهناك ، هاجت عاطفة الشاعر في بعده فعبر عنها حنيناً في أبيات قليلة . والأمر ذاته يمكن أن يلاحظ في حنين المسجونين ؛ إذ إنّ التركيز كان منصّباً على الإحساس العاطفي ، لجلب التعاطف مع الشاعر ، وبخاصة أن الشاعر ركز على وصف حاله المأساوية ، والصعوبات التي يعانيتها ، والآلام المبرحة التي يقاسيها جراء الحبس . لكن ذلك كان أيضاً تركيزاً على العاطفة على حساب كثير من عناصر التجربة الشعرية الأخرى . ولم يخفِ معظم الشعراء المحبوسين فزعهم وجزعهم من الحبس ، حتى دفعهم ذلك إلى التذلل الزائد للحكام ، على صورة مديح وتذكير بأيام سعيدة قضاها الشاعر مع الممدوح . لكن الألفاظ تحوي الكثير من الخنوع والمسكنة ، والمهانة تتناقض مع الدعوة إلى الصبر والتجدد التي وردت في ثنايا قصائد الحنين للشعراء المسجونين .

ومما يلفت الانتباه أيضاً ، قلة شعر الحنين من الشعراء المجاهدين ، ولعل ذلك يعود إلى سببين : الأول : أن الجهاد قد قل في هذه الفترة ضد أعداء المسلمين . والثاني : أن خروج الشاعر للجهاد مع الحكام ، إنما كان ليحارب الخارجين على الدولة ، أي أننا يمكن أن نتصور أن الخروج كان إجبارياً في معظم حالاته ، وفي هذه الحال فإن الشاعر يقول ما يقول بدافع الواجب لا أكثر ، لكنه حين يصطلي بنار الحرب — كما هي الحال مع ابن الرومي في قتال الزنج — فإن الصدق يبرز في عباراته ، ويعبر عن خوفه وجزعه ، ويحن إلى دار

الاستقرار متمنياً العودة السريعة إليها . كما يمكن أن يكون الشاعر في داخل نفسه راضياً بصورة أو بأخرى ، عن الخارجين على الدولة ، فيكون خروجه بدافع الطاعة للأمير فقط .

ويلفت الانتباه أيضاً أن شعر الحنين في هذا العصر قد حوى كثيراً من الألفاظ الجديدة نسبياً ، كتلك الألفاظ التي تدور حول مجالس الشرب في الديارات ، وهنا لم تكن جديدة فهي نوعيتها بمقدار ما كانت جديدة في كميتها ، لكنني لاحظت أن الشعراء في حنينهم للدير كانوا يحنون إلى جلسة فيها مذكرات أدبية ، وهذه الفكرة لم تُطرق — بحسب علمي — في الحنين على مدى العصور السابقة .

كما أن الحنين إلى المدن العامرة كان مصحوباً بالحديث عن الأزهار والورود بأنواعها ، وهنا دخلت الألفاظ غير العربية ، مثل : النرجس ، والكافور ، والزبرجد وغيرها بكثرة ، وبخاصة لدى الصنوبري ، الذي فصل كثيراً في وصف الرياض خلال حنينه إلى دمشق وحلب والغوطة وغيرها ، حتى إنه كان يرسم صوراً حسية بصرية بالألوان لتلك الظواهر الجميلة .

وقد كان المكان الذي ورد في حنين الشعراء ، يمثل أمرين : الأول : المكان الذي يحمل للشاعر المسرة والفرح ، وهو مكان اجتماع الأحبة ، أو مجلس الأمير ، أو البلد الذي فارقه ، أو المكان الذي كان يتمتع فيه بحريته . الثاني : المكان الذي يحمل للشاعر الحزن والقلق والألم و الخوف ، وهو مكان النفي أو السجن أو الغربة . وقد عبّر الشاعر في حنينه عن الصورة التي بعثها كل من المكانين في نفسه .

ولم تكن المحسنات اللفظية ذات حضور كبير ، بحيث تغطي على المعنى ، وذلك عند معظم شعراء الحنين في هذا العصر ، مع أن معظمهم قد عبّر عن مراده بالصورة البيانية والحسية بأنواعها ، لإبراز الفكرة ، وإيصالها للسامع أو القارئ .

كما يُلاحظ أن الحروف المكسورة كانت أكثر من غيرها في رويّ شعر الحنين ،  
وكذلك القوافي المطلقة ؛ وذلك لأنها تحمل رنة الحزن ، وإطالة الصوت بالآنين .

وان كان لا بد من الحديث عن بعض الأمور التي أجد حاجة ملحّة لدراستها فهي : \*  
دراسة شعر المحبوسين دراسة فنية خالصة، حيث درس هذا الشعر غير مرة دراسة تاريخية،  
أو ضمن بواعث الحنين، لكن ما أعنيه: هو الوقوف على ألفاظه، ومدى تعبيرها عن المعاني  
التي يحسها الشاعر، هل قصرت عن ذلك أم بالغ فيها؟ وهل وفق في اختيار اللفظ أم لم يوفق؟  
وهل كانت الألفاظ منساقة في سياقها الطبيعي أم متكلفة؟ وكذلك الخيال مع الصور، هل أجاد  
الشاعر المحبوس رسمها بما يعبر عن حاله ونفسيته داخل السجن؟ وكذلك تتناول العواطف  
والأساليب.

\* دراسة شعر المبعدين، ليس من الباب التاريخي أو من الباب المكاني، وإنما التركيز على  
أسباب هذا الإبعاد، وبخاصة السبب النفسي الذي لمحت بعض جوانبه، خلال هذه الدراسة،  
وأهمها: نرجسية الحاكم، وتطلعه إلى الاستعطاف والتذلل من الشاعر المبعد، حين نعلم أن  
سبب الإبعاد الخارجي المعروف للناس تاريخياً، ليس بذلك السبب الذي يوجب هذا الإبعاد أو  
النفى.

\* دراسة نفسية الحكام والأمراء، في تعاملهم مع الشعراء المسجونين خاصة، المتمثل في  
حبهم للاستعطاف والتذلل، وكيف أثر هذا الوضع على شعر الشعراء المسجونين.

\* دراسة التجربة الشعرية دراسة خاصة لهذه الظاهرة، لأنها تتناول حقيقة أن يكون الشاعر  
قد عاش هذه التجربة حقيقة أم لا، إضافة إلى تناولها عاطفة الشاعر وصدق، وأحاسيسه،  
وكأنها ترسم سيرة حياة الشاعر من بدايتها في تلك المعاناة إلى نهايتها.

هذا جهدي المتواضع، مع هذه الظاهرة الإنسانية السامية، والعاطفة النبيلة، آملاً أن  
أكون قد أوضحت الصورة عن حنين الشعراء في العصر العباسي الثاني، بما ينفع الدارسين،  
والمكتبة العربية، كما أرجو أن أكون قد وفقت في هذا الجهد الكبير الذي بذلت، فإن كان ذلك  
فله الحمد والمنة، وإلا فمن نفسي، والتقصير سمة البشر.

## المصادر والمراجع

- 1- الأمدي، الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ): الموازنة بين أبي تمام والبحتري. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار المعارف، (د. ط)، القاهرة، 1924م.
- 2- الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850هـ): المستطرف في كل فن مستظرف. تحقيق: مفيد قميحة. دار الكتب العلمية، (د. ط) بيروت، (د. ت).
- 3- الأبياري، إبراهيم: الوطن في الأدب العربي. دار القلم، (د. ط)، القاهرة، 1962م.
- 4- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن عبد الكريم (ت 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، (د. ط)، بيروت، 1995م.
- 5- الأزهرى، محمد بن أحمد (ت 370هـ): تهذيب اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، (د. ط)، القاهرة، 1964م (1-16).
- 6- إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب. دار العودة ودار الثقافة، (د. ط)، بيروت، 1962م.
- 7- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ): أدب الغرباء. تحقيق: صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 1972م  
.....: الأغاني. تحقيق: إحسان عباس وزميليه. دار صادر، ط2، بيروت، 2004م. (1-25).
- .....: الديارات. تحقيق: جليل العطية. دار الرئيس للنشر، ط1، لندن، 1985م.

- 8- الأصفهاني، محمد بن داود (ت 296هـ): **الزُّهرة**. تحقيق: إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار، ط2، الزرقاء، 1985م. (2-1).
- 9- ابن أبي الإصبع، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد(ت 654هـ): **تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**. تحقيق: حفني محمد شرف. لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ط)، القاهرة، 1963م. (3-1)
- 10- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم السعدي(ت 668هـ): **عيون الأئباء في طبقات الأطباء**. تحقيق: نزار رضا. مكتبة الحياة، (د. ط)، بيروت، 1965م.
- 11- الأعشى، ميمون بن قيس (ت 7هـ): **ديوان الأعشى الكبير**. تحقيق: محمد محمد حسين. المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، (د. ط)، بيروت، 1968م.
- 12- امرؤ القيس، ابن حجر الكندي (ت 80 ق. هـ): **الديوان**. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. دار المعارف، ط2، مصر، 1964م.
- 13- أمين، أحمد: **ضحى الإسلام**. دار الكتاب العربي، ط10، بيروت، 1933م. (3-1).  
.....: **ظهر الإسلام**. دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، 1969م. (4-1).  
.....: **النقد الأدبي**. دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 1967م.
- 14- أنيس، إبراهيم: **الأصوات اللغوية**. مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، القاهرة، 1979م.  
.....: **موسيقى الشعر**. د. مكان نشر، ط5، 1981م.
- 15- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت 284هـ): **الديوان**. تحقيق: حسن كامل الصيرفي. دار المعارف، ط2، القاهرة، 1963م. (5-1).  
.....: **الحماسة**. علق عليها: كمال مصطفى. المكتبة التجارية، ط1، القاهرة، 1929م.

- 16- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): **صحيح البخاري**. دار الفكر، ط1، بيروت، 1983، (1-6).
- 17- بدوي، أحمد: **أسس النقد الأدبي عند العرب**. دار النهضة المصرية، (د. ط)، القاهرة، 1960م.
- 18- البديعي، يوسف (ت 1073هـ): **الصبح المنبى عن حيثة المتنبي**. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين. دار المعارف، ط1، القاهرة، 2000م.
- 19- البرزة، أحمد مختار: **الأسر والسجن في شعر العرب**. مؤسسة علوم القرآن، ط1، بيروت، 1985م.
- 20- بشر، كمال محمد: **علم اللغة العام-الأصوات-**. دار المعارف، (د. ط)، القاهرة، 1980م.
- 21- البصري، علي بن أبي الفرج (ت 656هـ): **الحماسة البصرية**. تحقيق: عادل سليمان جمال. مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1999م. (1-4).
- 22- البعلبكي، منير: **موسوعة المورد**. دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1980م. (1-11).
- 23- البغدادي، أحمد بن علي الخطيب (ت 463هـ): **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**. دار الكتاب العربي، (د. ط)، بيروت، (د. ت). (1-14).
- 24- البغدادي، إسماعيل بن محمد (ت 1339هـ): **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين**. طبعة إستانبول، تركيا، 1951م.
- 25- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ): **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1989م. (1-13).



- 26- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت 429هـ): **الفرق بين الفرق**. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت، 1995م.
- 27- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ): **مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار المعرفة، ط1، بيروت، 1954م.  
(3-1).
- 28- بكار، يوسف: **بناء القصيدة في النقد العربي القديم**. دار الثقافة، (د.ط)، مصر، 1979م.
- 29- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ): **سمط اللآلي شرح أمالي القالي**. تحقيق: عبد العزيز الميمني. لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1936م.  
(2-1).
- .....: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تحقيق: مصطفى السقا. عالم الكتب، ط3، بيروت، 1983م.
- 30- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت 320هـ): **المحاسن والمساوي**. تحقيق: عدنان علي. دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م.
- 31- التطاوي، عبد الله: **القصيدة العباسية: قضايا واتجاهات**. مكتبة غريب، (د.ط)، القاهرة، 1981م.
- 32- ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي (ت 874هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. تحقيق: جمال محرز وفهيم شلتوت. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1971م. (1-16).

- 33- التتوخي، عبد الباقي بن عبد الله (ت في ق 6هـ): القوافي. تحقيق: عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1978م.
- 34- التتوخي، المحسن بن علي (ت 384هـ): الفرج بعد الشدة. تحقيق: محمد حسن عبد الله. مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1993م.
- .....: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. تحقيق: عبود الشالجي. دار صادر، ط2، بيروت، 1995م. (8-1).
- 35- التوحيد، أبو حيان علي بن محمد (ت 400هـ): الإمتاع والمؤانسة. تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين. دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، (د.ت). (3-1).
- .....: الهوامل والشوامل. تحقيق: سيد كسروي. دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001م.
- 36- الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 430هـ): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق: مفيد قميحة. دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1983م. (4-1).
- 37- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ): البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، 1985م. (2-1).
- .....: الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1969م. (7-1).
- .....: رسالة في الحنين إلى الأوطان. تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، (د.ط)، القاهرة، 1964م.

- .....: المحاسن والأضداد. تحقيق: صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2003م.
- 38- جحا، فريد: الحنين واللقاء في شعر المهجر. مطبعة الضاد، (د.ط)، سوريا 1961م.
- 39- الجرجاني، علي بن عبد العزيز (ت 366هـ): الوساطة بين المتبني وخصومه. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي الجاوي. المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت، 1966م.
- 40- ابن جعفر ، قدامة (ت 337هـ) : نقد الشعر . تحقيق : كمال مصطفى . مكتبة الخانجي ، ط 3 ، القاهرة ، 1978م.
- 41- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ): الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1954م. (1-3).
- 42- ابن الجهم، علي (ت 249هـ): الديوان. تحقيق: خليل مردم بك. لجنة التراث العربي، (د.ط)، بيروت، 1949م.
- 43- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت هـ) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . وكالة المعارف الجلية ، ( د . ط ) ، إستانبول ، 1941 م . (1-2)
- 44- حسن، رشدي علي: شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني. دار عمار، ط1، عمان، 1988م.
- 45- الحطيئة، جروال بن أوس (ت 45هـ): الديوان: برواية ابن حبيب وشرح السكري، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1967م.
- 46- ابن حمدون، محمد بن حسن (ت 562هـ): التذكرة الحمدونية. تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس. دار صادر، ط1، بيروت، 1996م (1-10).

- 47- الحموي، ابن حجة تقي الدين أبو بكر علي (ت 837هـ): **خزانة الأدب وغاية الأرب**. تحقيق: عصام شعيتو. دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، بيروت، 2004م. (1-2).
- 48- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 622هـ): **معجم الأدياء**. تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993م. (1-7).
- .....: **معجم البلدان**. دار صادر، د.ط، بيروت، 1975م. (1-5).
- 49- الخضري، محمد: **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: الدولة العباسية**. تحقيق: إبراهيم أمين محمد. المكتبة التوفيقية، (د.ط)، القاهرة، (د.ط).
- 50- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1069هـ): **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**. تحقيق: محمد كشّاش. دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1998م.
- 51- الخفاجي، عبد الله بن محمد (ت 466هـ): **سر الفصاحة**. تحقيق: عبد المتعال الصعيدي. مطبعة محمد علي صبح، (د.ط)، القاهرة، 1952م.
- 52- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس. مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1950م. (8-1).
- 53- الخواجة، إبراهيم شحادة: **شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري**. الكويت، ط1، 1984.
- 54- ابن دريد، محمد بن الحسن (ت 320هـ): **الديوان**. تحقيق: السيد محمد بدر الدين العلوي. لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1946م.

- 55- دعبل، ابن علي الخزاعي (ت 246هـ): الديوان. تحقيق: عبد الكريم الأشتر. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1983م.
- 56- دعدور، أشرف علي: الغربية في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة. دار نهضة الشرق، ط1، القاهرة، 2002م.
- 57- ابن الدمينة، عبد الله بن عبيد الله (ت 130هـ): الديوان: صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب. تحقيق: أحمد راتب النفاخ. دار العروبة، (د.ط)، القاهرة، 1959م.
- 58- رتشاردز، إ.أ.: مبادئ النقد الأدبي. ترجمة: مصطفى بدوي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. مطبعة مصر، د.ط، 1963م.
- 59- رجب، محمود: الاغتراب سيرة ومصطلح. منشأة المعارف، (د.ط)، الإسكندرية، 1978م.
- 60- ابن رثيق، الحسين القيرواني (ت 456هـ): العمدة في صناعة الشعر ونقده. تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان. مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2000م. (1-2).
- 61- ابن الرومي، علي بن العباس (ت 283هـ): الديوان. تحقيق: حسين نصار. لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1947م. (1-6).
- 62- زامل، صالح: تحول المثال: دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي. المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2003م.
- 63- الزبيدي، محب الدين أبو الفضل السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ): تاج العروس في شرح القاموس. المطبعة الخيرية، ط1، القاهرة، 1886م. (1-8).
- 64- الزركلي، خير الدين: الأعلام. دار العلم للملايين، ط14، بيروت، 1999م. (1-8).

- 65- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ): أساس البلاغة. دار صادر ودار بيروت، (د.ط)، بيروت، 1965م.
- 66- الزهيري، محمود غناوي: الأدب في ظل بني بويه. مطبعة الأمانة، (د.ط)، القاهرة، 1949م.
- 67- السامرائي، يونس: آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي. مطبعة المعارف، ط1، بغداد، 1978م.
- 68- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ): طبقات الشافعية الكبرى. دار المعرفة، ط2، بيروت، (د.ت). (1-6).
- 69- سحيم، عبد بني الحساس (ت 40هـ): الديوان. تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1950م.
- 70- سلامي، سميرة: الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري. دار الينابيع، دمشق، ط1، 2000م.
- 71- السمان، محمود علي: العروض القديم. دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1984م.
- 72- السوداني، عبد الله عبد الرحيم: رثاء غير الإنسان في الشعر العباسي. المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1999م.
- 73- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ): الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1982م. (1-5).
- 74- ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت 458هـ): المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. تحقيق: مصطفى السقا وحسين نصار. معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1، القاهرة، 1958م. (1-7).

- 75- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ): **الإتقان في علوم القرآن**. دار الفكر، (د.ط)، بيروت، (د.ت). (2-1).
- .....: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- 76- الشابشتي، علي بن محمد (ت 388هـ): **الديارات**. تحقيق: كوركيس عواد . مكتبة المثنى، ط2، بغداد، 1966م.
- 77- شاخنت، ريتشارد: **الاغتراب**. ترجمة: كامل يوسف حسين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1980م.
- 78- الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**. مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، 1942م.
- 79- الشكعة، مصطفى: **رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، القسم الثالث: المرحلة العباسية**. دار النهضة العربية، (د. ط)، بيروت، 1983م.
- 80- الشمشاطي، علي بن محمد (ت بعد 377هـ): **الأنوار ومحاسن الأشعار**. تحقيق: السيد محمد يوسف. وزارة الإعلام بالكويت، (د.ط)، الكويت، 1977م. (2-1).
- 81- شوشة، فاروق: **أحلى 20 قصيدة حب في الشعر العربي**. مكتبة مدبولي، (د.ط)، القاهرة، 1973م.
- 82- شوقي، أحمد: **الشوقيات**. دار الكتاب العربي، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (4-1).
- 83- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ): **المَلل والنحل**. تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل. دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- 84- الصفدي، خليل بن أبيك (ت 764هـ): **الوافي بالوفيات**. ج4، تحقيق: س. ديدرنيغ. فرانز شتاينر، ط2، فيسبادن، 1974م.

- ج(7)، تحقيق: إحسان عباس. فرانز شتاينر، ط1، شتوتغارت، 1992.
- ج(10)، تحقيق: جاكلين سوبلة وعلي عمارة، فرانز شتشتاليز، ط2، شتوتغارت، 1992م.
- ج(19)، تحقيق: رضوان السيد. فرانز شتاينر، ط1، شتوتغارت، 1993م.
- ج(27)، تحقيق: أوتفريد فاينترت. الشركة المتحدة للتوزيع، ط1، بيروت، 1997م.
- (30-1).
- 85- الصنوبري، أحمد بن محمد بن الحسن (ت 334هـ): الديوان. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1998م.
- 86- الصولي، محمد بن يحيى (ت 335هـ): أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق. تحقيق: ج. هيورث. دن. دار المسيرة، ط2، بيروت، 1979م.
- 87- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى (ت 178هـ): المفضليات. تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1942م.
- 88- ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني. دار المعارف، ط2، القاهرة، 1973م.
- .....: الفن ومذاهبه في الشعر العربي. مكتبة الأندلس، ط3، بيروت، 1956م.
- .....: في الأدب والنقد. دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1999م.
- .....: في النقد الأدبي. دار المعارف، ط3، القاهرة، 1962م.
- 89- ابن طباطبا، محمد بن أحمد (ت 322هـ): عيار الشعر. تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام. مطبعة المكتبة التجارية الكبرى، (د.ط)، القاهرة، 1956م.
- 90- طبانة، بدوي: البيان العربي. مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، القاهرة، 1962م.



- 91- الطبري، محمد بن جرير(ت 325هـ): تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. دار المعارف، ط5، القاهرة، 1987م. (13-1).
- 92- ابن الطقطقي، محمد بن علي (ت 309هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. طبعة بيروت، 1960م.
- 93- طنوس، وهيب: الوطن في الشعر العربي. مديرية الكتب والمطبوعات بجامعة حلب، (د.ط)، سوريا، 1980م.
- 94- العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين (ت 1031هـ): الكشكول. تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998م. (2-1).
- 95- عباس، إحسان: فن الشعر. دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1996م.
- 96- العباسي، عبد الرحيم بن أحمد (ت 963هـ): معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. عالم الكتب، (د.ط)، بيروت، 1947. (4-1).
- 97- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- 98- عبد القادر، عبد الجليل: الأصوات اللغوية. دار صفاء، ط1، عمان، 1998م.
- 99- عبد الله، محمد حسن: الصورة والبناء الشعري. دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1981م.
- 100- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم(ت 210هـ): الديوان. تحقيق: مجيد طراد. دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1997م.

- 101- عتيق، عبد العزيز: علم العروض والقوافي. دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1969م.
- 102- العجاج، عبد الله بن روية(ت 90هـ): الديوان برواية الأصمعي. تحقيق: عزة حسن. دار الشرق، (د.ط)، بيروت، 1971م.
- 103- العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي(ت 852هـ): تهذيب التهذيب. دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1906م. (1-12).
- .....: الديوان. تحقيق: فردوس نور. دار الفضيلة، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- .....: لسان الميزان. مؤسسة الأعلمي، ط2، بيروت، 1971م. (1-7).
- 104- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395هـ): ديوان المعاني. دار الأضواء، ط1، بيروت، 1989م. (1-2).
- .....: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. تحقيق: مفيد قميحة. دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1989م.
- 105- ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد (ت 663هـ): ضرائر الشعر. تحقيق: خليل المنصور. دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م.
- 106- عطوان، حسين: مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني. دار الجيل، ط1، بيروت، 1982م.
- 107- العقاد، عباس محمود: ابن الرومي حياته وشعره. المكتبة التجارية الكبرى، ط5، القاهرة، 1963م.
- 108- العكبري، عبد الله بن الحسن (ت 616هـ): التبيان في شرح الديوان. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين. دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، (د.ت). (1-4).

- 109- ابن العماد، عبد الحي الحنبلي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الآفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت، (د.ت). (1-8).
- 110- عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1976م.
- 111- عنتر، ابن شداد (ت 22ق.هـ): الديوان. تحقيق: فوزي عطوي. دار المعرفة، ط1، بيروت، 1968م.
- 112- فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث. دار القلم، ط2، بيروت، 1981م.
- 113- الفيل، توفيق: القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز. منشورات جامعة الكويت، (د.ط)، 1984م.
- 114- القالي، إسماعيل بن القاسم (ت 356هـ): الأمالي. دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2002م. (1-3).
- 115- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ): الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار الحديث، (د.ط)، القاهرة، 2003م. (1-2).
- 116- القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت 170هـ): جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار نهضة مصر، ط1، القاهرة، 1967م. (1-2).
- 117- القرطاجني، حازم (ت 684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة. دار الكتب الشرقية، (د.ط)، 1964م.
- 118- القزويني، محمد بن عبد الرحمن (ت 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: رحاب عكاوي. دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 2000م.

- 119- القفطي، علي بن يوسف (ت 646هـ): أنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1986م. (4-1).
- .....: المحمدون من الشعراء وأشعارهم. تحقيق: حسن معمرى. دار اليمامة، (د.ط)، الرياض، 1970م.
- 120- القيرواني، إبراهيم بن علي (ت 453هـ): زهر الآداب وثمر الألباب. تحقيق: زكي مبارك. دار الجيل، ط4، بيروت، 1972م. (4-1).
- 121- القيسي، نوري حمودي وهلال ناجي: أربعة شعراء عباسيون. دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994م.
- 122- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): الغربة والاعتراب. إدارة الطباعة المنيرية، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- 123- كباية، وحيد صبحي: الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحسّ. منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، القاهرة، 1999م.
- 124- الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ): فوات الوفيات والذيل عليها. تحقيق: إحسان عباس. دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1974م. (5-1).
- 125- ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت 275هـ): السنن. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1952م.
- 126- مبارك، زكي: مدامع العشاق. المكتبة العصرية، ط3، بيروت، 1971م.
- 127- المبرد، محمد بن يزيد (ت 285هـ): التعاوي والمراثي. تحقيق: محمد الديباجي. دار صادر، ط2، بيروت، 1992م.

- .....: الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1986م. (4-1).
- 128- المتلمس، جرير بن عبد العزى (ت 50 ق.هـ): الديوان برواية الأصمعي. تحقيق: محمد التونجي. دار صادر، ط1، بيروت، 1998م.
- 129- مجاهد، مجاهد عبد المنعم: الاغتراب في الفلسفة المعاصرة. سعد الدين للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1985م.
- 130- ابن المرزبان، محمد بن إسماعيل (ت 330هـ): الشوق والفراق. تحقيق: جليل العطية. دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م.
- 131- المرزباني، محمد بن عمران (ت 384هـ): معجم الشعراء. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. الهيئة المصرية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2001.
- 132- المرزوقي، أحمد بن محمد (ت 421 هـ): الأزمنة والأمكنة. تحقيق: محمد نايف الدليمي. عالم الكتب، ط1، بيروت، 2002م. (2-1).
- ..... شرح ديوان الحماسة. نشره: أحمد أمين و عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط 2 ، القاهرة ، 1967م . (4-1)
- 133- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة، ط4، القاهرة، 1964م. (4-1).
- 134- مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط. المكتبة الإسلامية، ط2، إستانبول، 1972م. (2-1).
- 135- ابن المعتز، عبد الله (ت 296هـ): الديوان بصنعة الصولي. تحقيق: يونس السامرائي. عالم الكتب، ط1، بيروت، 1997م. (3-1).

- 136- المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت 449هـ): **سقط الزند**. دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1963م.
- 137- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالبشاري (ت بعد 387هـ): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1991م.
- 138- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ): **الخطط والمواظع**. دار التحرير للنشر، (د.ط)، بيروت، 1968م. (1-2).
- 139- مندور، محمد: **الأدب وفنونه**. دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- 140- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ): **لسان العرب**. دار صادر، ط6، بيروت، 1997م. (1-15).
- 141- موافي، عثمان: **الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها**. دار المعرفة الجامعية، ط2، القاهرة، 1984م.
- 142- ميتز، آدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة. مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1967م.
- 143- الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري (ت 518هـ): **مجمع الأمثال**. دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، 1961م. (1-2).
- 144- النابغة، زياد بن معاوية (ت 18 ق.هـ): **الديوان بصنعة ابن السكيت**. تحقيق: شكري فيصل. دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1990م.
- 145- النجار، إبراهيم: **شعراء عباسيون منسيون**. دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997م. (1-7).

- 146- ابن النديم ، محمد بن أبي يعقوب (ت385هـ) : **الفهرست** . تحقيق : رضا تجدد (د) مكان نشر) ، ط 1 ، طهران ، 1971م .
- 147- النميري، عبيد بن حصين الراعي (ت 90هـ): **الديوان**. تحقيق : محمد نبيل طريفي. دار صادر، ط1، بيروت، 2000م.
- 148- أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت195هـ): **الديوان**. تحقيق: أحمد الغزالي . دار الكتاب العربي ، ط1 ، بيروت ، 1984م .
- 149- النوري، محمد جواد وعلي خليل حمد: **فصول في علم الأصوات**. مطبعة النصر، (د.ط)، نابلس، (د.ت).
- 150- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ): **نهاية الأرب في فنون الأرب**. تحقيق: مفيد قميحة. دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004م. (1-33).
- 151- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الأنصاري (ت 213هـ): **السيرة النبوية**. تحقيق: مصطفى الشعرار وصاحبيه. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، القاهرة، 1955م. (1-4).
- 152- هلال، عبد الغفار: **أصوات اللغة العربية**. مكتبة وهبة، ط3، القاهرة، 1996م.
- 153- هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**. دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، 1973م.

## الدوريات:

- 1- بدوي، عبده: *الغربة المكانية في الشعر العربي*، (13-40). مجلة عالم الفكر، الكويت، م 15، ع 1، 1984م.
- 2- التميمي، حسام عمر: *جماليات المكان في شعر البحتري* (280-321). مجلة كلية الآداب بالجامعة الإسلامية بغزة، 12، 2001م.
- 3- جعفر، محمد راضي: *الغربة والاعتراب في التراث*، (64-69)، مجلة المورد، م 25، ع 1، 1997م.
- 4- حسن، عزة: *شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث*. (823-813)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. م 44، ج 1-2، 1969م.
- 5- حسن، محمد عبد الغني: *الشعر العربي وأدب الاعتراب واللقاء*، (249-258). مجلة الكلمة سوريا، السنة 49، العددان: 1-2، 1974م.
- 6- الحماني العلوي، علي بن محمد (ت 262هـ): *الديوان*. (180-248). تحقيق: محمد حسين الأعرجي. مجلة المورد، م 3، ع 2، 1974م.
- 7- الحمادني، هادي: *شعر السجون والأسر في الأدب العربي*. (550-577). مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع 13، 1970م.
- 8- محمد، ذ. الولي: *تحديد الصورة وأهميتها في الخطاب الشعري*. (195-205) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، ع 9، 1987م.
- 9- ابن المرزبان، محمد بن سهل (ت 330هـ): *كتاب الحنين إلى الأوطان*. (129-174). تحقيق: جليل العطية. مجلة المورد، م 16، ع 1، 1987م.



10- الناشئ الأكبر، عبد الله بن محمد (ت 293هـ): الديوان (43-74): تحقيق: هلال ناجي.

مجلة المورد. م 11، ع 3، 1982م.

## الرسائل الجامعية:

- 1- حيرب، حنان أمين: الاغتراب في الشعر الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين. دكتوراه، جامعة دمشق، سوريا، 1997م.
- 2- الخطيب، رشا عبد الله: تجربة السجن في الشعر الأندلسي. ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1996م.
- 3- الرجبي، عبد المنعم حافظ: الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي. دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1979م.
- 4- صالح، بلال يعقوب: الاغتراب في شعر المتنبي. ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2004م.
- 5- النواجي، شمس الدين محمد بن حسن (ت 859هـ): عقود اللال في الموشحات والأزجال. تحقيق: عبد المنعم محمد قباجا. ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 2006م.

## الفهرس التحليلي

الإهداء (ب).

الشكر (ت).

المقدمة (ج).

التمهيد : ظاهرة الغربة والحنين المعنى والتطور 1، الحنين المعنى اللغوي 2، الغربة وتطورها الدلالي 5، الغربة من حيث اللغة 6، عوامل الاغتراب 11: العامل السياسي 11، العامل الاقتصادي 16، العامل الاجتماعي 18، أنواع الغربة: الاغتراب عن الوطن 21، الاغتراب عن المجتمع 22، الاغتراب السياسي 23، الاغتراب عن الذات 24، الاغتراب الروحي 25، تأصيل ظاهرة الغربة والحنين 27.

**الفصل الأول: موضوعات شعر الغربة والحنين 30، توطئة 31.**

**أولاً: حنين بكاء الأطلال والديار 37:**

1- الوقوف على الأطلال 38، 2- السلام والتحية 42، 3- سؤال الأطلال وجوابها 44، 4- الآثار والدمن 47، 5- البرق والرعد والمطر والريح 51، 6- الحيوان 56، 7- البكاء على الأطلال 59، 8- لوم اللائمين 63، 9- معاناة الشاعر وألمه لدى وقوفه بالطلال 64، 10- الدعاء بالسقيا 65، 11- ذكر أيام الصبا والشباب والذكريات الخوالي 67.

أولاً: الديارات 76، 1- جمال المكان 78، 2- الساقى والندامى 79، 3- الرهبان 80، 4- المحبوب 81، 5- الأيام والليالي 82، 6- الدعاء 82 .

ثانياً: المدن 84، 1- الحنين إلى المدن العامرة 84، 2- الحنين إلى المدن المنكوبة 89.

**ثانياً : حنين المكرهين 95 :**

(1) المسجونون 95، موضوعات شعر الحنين لدى الشعراء المسجونين 101، 1- وصف مكان السجن 101، 2- وصف المأساة 104، 3- الأشخاص خارج السجن 106، 4- المكابرة والتجلد 109، 5- الفخر 111، 6- القضاء والقدر 112، 7- العتاب والاستعطاف 113.

(2) المطرودون أو المنفيون 116، موضوعات شعر المطرودين أو المنفيين 117،

1- مفارقة الأهل والأصحاب 117، 2- التسليم بقضاء الله 119، 3- التضجر من طول الليل 119، 4- الانقياد لأمر الخليفة 120. (3) حنين المسافرين 121.

ثالثاً: حنين المجاهدين 123.

## الفصل الثاني: المكان في شعر الغربة والحنين 128،

أولاً : المكان مبعثاً للذة عند شعراء الحنين 131، المكان يعني اللذة/ المحبوبة 132،  
المكان مرتعاً للصبا والشباب 134، المكان يعنى متعة الخمرة والندامى 136، المكان  
هو الأيام الخوالي بذكرياتها 138، المكان هو جمال الطبيعة 139، المكان رمزاً للهدوء  
والأمن 143، المكان يعني ساكنيه 143 .

ثانياً: المكان مبعثاً للألم لشعراء الحنين 145، 1- المكان موطناً للحزن وباعثاً له 145،  
2- المكان مصدرًا للوحشة وباعثاً لها 151، 3- المكان موطناً للغربة وآلامها 159، 4-  
المكان موطناً للذعر والخوف والقلق 160.

## الفصل الثالث: الدراسة الفنية 162:

أولاً: البناء العام للقصيدة 163، أ - المقطعات 163، ب - القصائد 166.

1- المطلع 166، 2- التخلص أو الانتقال 171، 3- الخاتمة 175.

ثانياً: اللغة والأسلوب 177، ثالثاً : الموسيقى 193: (1) الموسيقى الخارجية 194،  
البحور الشعرية 194، القافية 197، التصريح 200، أ - في مطلع القصيدة 201، ب  
- التصريح الداخلي 202، التوازن 203، التقسيم 204 الضرائر الشعرية 205، (2)  
الموسيقا الداخلية 207 رابعاً: الصورة الشعرية 208، الصورة البيانية 209، الصورة  
الحسية 211، 1- الصورة البصرية 211، 2- الصورة السمعية 214، 3-  
الصورة الشمية 216، 4- صور أخرى 217.

خامساً: التجربة الشعرية 220، 1 - ماهيتها ومفهومها 220، 2 - عناصرها 222.

الخاتمة 237.

المصادر والمراجع 243.

الدوريات 261.

الرسائل الجامعية 263.

ملخص باللغة الإنجليزية 266.

## Abstract

Home is the nest where the family is born, grows and lives, it is the place where man sucks the milk of love, loyalty and freedom. Homesickness is a human innate emotion. It has been the desire of poets to write about that for many years. How can one live away from a place where he spent the sweetest days of his childhood without longing to it !

I'm not the first to tackle this topic in my study. It was studied by many scholars and researches before. For example **Ibraheem Hewer** talked about the pre- Islamic period (Al a'asr Aljahili) then Abd Elmina'am Al rajabi studied the period from the pre- Islamic period to the end of the Ummayyad period . **Sameera Salami** studied this phenomenon during the fourth Hijri century . To my knowledge there is a researcher who is studying the phenomenon in the first Abasi Period .My study is about homesickness poetry in the second Abasi period hoping that other researcher will come and continue this series until the end of the Abasi period.

I followed the integrated approach in my study which includes the historical ,psychological, physiological and descriptive approaches.

The study contains an introduction ,an abstract ,three sections and conclusion.

**In the introduction**, I discussed the language development related this phenomenon, its forms and reasons.

**The first section**, I devoted to the topics that homesickness poetry talked about. I divided these topics in to homesickness to the land of the obliged, constrained, and the homesickness of al Mujahideen (fighters).

**In the second section**, I approached the place and its importance to the poet since most homesickness is about the homeland in its different forms. This kind of poetry was advanced into two parallel lines.

The first was the place which represents safety, security and tranquillity to which the poet pines for and misses and the second is the place where the poet represents anxiety, uneasiness and pain.

**In the third section**, I approached the techniques, the homesickness poets used in their writings. I studied the language, the poem general construction, the style, the figures of speech, music and the poetry practice.

**In the conclusion** I talked about the results of the study which show the importance of the homesickness poetry, since it is humane, innate and emotional which has been found as far as human being exists. Since then Poets used it to express their pining to their homeland which represents security, tranquillity and native land

It is the mirror in which one can see happiness, relief and comfort and above all freedom which is the most valuable.

The honesty of the Homesickness poets is considered one of the factors that help this kind of poetry survive because it expresses true emotions not fabricated or created as it is in eulogy and depiction poetry

I found that there is an extreme need for many issues to be studied. The most important are:-

- a- The poetry of prisoners, it needs a clear technical study in terms of language, style, emotions, figures of speech and how it expresses the real situation of the poet ( prisoner ).
- b- The poetry of deportees, the focus should be on the reason for deportation and the psychological condition of the poet. There is no need to study this kind of poetry in terms of history and place

c- The psychology of the judges and kings, in particular, how they treat the imprisoned- poets, when they asked for sympathy and entreaty and how being in prison affects the poet.